التيسير في التفسير للقرآن

برواية أهل البيت

الجزء الثالث

الشيخ ماجد ناصر الزبيدي

دار المحجة البيضاء

التيسير في التفسير

للقرآن

برواية أهل البيت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٣١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

التيسير في التفسير للقرآن

برواية أهل البيت (ع)

الشيخ ماجد ناصر الزبيدي

الجزء الثالث

دار المحجة البيضاء

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

❁ س١: ما هو فضل سورة الأنفال؟!

الجواب/ وردت روايات عديدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام في فضل هذه السورة نذكر منها:

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: مَنْ قرأ سورة براءة والأنفال في كلِّ شهر لم يدخُلْه نفاقٌ أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حقّاً، وأكل يوم القيامة من موائد الجنّة مع شيعته حتّى يفرغ الناسُ من الحساب»[١].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من قرأ هذه السورة فأنا شفيعٌ له يوم القيامة، وشاهِدٌ أنّه بريءٌ من النّفاق، وكُتبت له الحسنات بعدد كلِّ مُنافِق، ومن كتبها وعلّقها عليه لم يقِفْ بين يدي حاكم إلاّ وأخذ حقَّه وقضى حاجته، ولم يتعدَّ عليه أحدٌ ولا يُنازعه أحدٌ إلاّ وظفِر به، وخرَج عنه مسروراً، وكان له حِصْناً»[٢].

❁ س٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١] وما هو سبب نزولها؟!

الجواب/ قال إسحاق بن عمّار: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الأنفال،

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٤٦، وثواب الأعمال: ص١٠٦.

(٢) خواص القرآن: ص٤١ (مخطوط).

فقال: «هي القُرى التي قد خربت وانجلى أهلُها، فهي لله وللرَّسول، وما كان للمُلوك فهو للإمام، وما كان من أرضٍ خربةٍ، وما لم يُوجف عليها بخيلٍ ولا ركابٍ، وكلُّ أرضٍ لا ربّ لها والمعادنُ منها، ومَنْ مات وليس له مولى، فما لهُ من الأنفال»[١].

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو للإمام من بعده يضعُه حيثُ يشاء»[٢].

وقال عليه السلام: «من مات وترك ديناً فعلينا دينه وإلينا عياله، ومَنْ مات وترك مالاً فلورثته، ومَنْ مات وليس له موالٍ فمالُه من الأنفال»[٣].

أما سبب نزولها:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «نزلتْ يوم بدرٍ لما انهزم الناسُ، وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله على ثلاث فرقٍ: فصنف كانوا عند خيمة النبيّ صلى الله عليه وآله، وصنفٌ أغاروا على النُّهب، وفرقةٌ طلبت العدُوّ وأسروا وغنمُوا، فلما جمعوا الغنائم والأسارى، تكلّمت الأنصارُ في الأسارى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤]. فلمّا أباح الله لهم الأُسارى والغنائم تكلّم سعدُ بنُ مُعاذ، وكان ممَّن أقام عند خيمة النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، ما منعنا أن نطلُب العدو زهادة في الجهاد، ولا جبناً من العدو، ولكنا خفنا أن نعدو موضعك فتميل عليك خيل المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار ولم يشكّ أحدٌ منهم، والناسخ كثير ـ يا رسول الله ـ والغنائم قليلة، ومتى تُعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيءٌ. وخاف أن يقسّم رسول الله صلى الله عليه وآله الغنائم وأسلاب القتلى بين مَنْ قاتل، ولا يُعطي

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٥٤.

(٢) الكافي: ج١، ص٤٥٣، ح٣.

(٣) الكافي: ج٧، ص١٦٨، ح١.

(٤) الأنفال: ٦٧.

من تخلّف عند خيمة رسول الله ﷺ شيئاً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لمَنْ هذه الغنائم؟ فأنزل الله ﴿يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ فرجع الناسُ وليس لهم في الغنيمة شيء.

ثمّ أنزل الله بعد ذلك ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] فقسّم رسول الله ﷺ بينهم، فقال سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله، أتُعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النبي ﷺ: ثكلتك أمّك، وهل تُنصرون إلاّ بضعفائكم؟».

قال: «فلم يُخمّس رسول الله ﷺ ببدرٍ، قسّمه بين أصحابه، ثمّ استقبل يأخُذ الخُمُس بعد بذر، ونزل قولُه ﴿يسئلونك عن الأنفال﴾ بعد انقضاء حرب بدر، فقد كتب ذلك في أوّل السورة، وذكر بعده خرُوج النبي ﷺ إلى الحرب»[2].

❁ س٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٦]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم القميّ: قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٥٤.

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾: إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأبي ذرّ وسلمان والمقداد.

وقال: ثمّ ذكر بعد ذلك الأنفال وقسمة الغنائم وخُروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحرب، فقال: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك﴾ - إلى قوله - ﴿وهم ينظرون﴾ وكان سببُ ذلك أنّ عِيراً لقريش خرجتْ إلى الشّام فيها خزائنُهم، فأمر رسولُ الله أصحابهُ بالخُروج ليأخُذوها، فأخبرهم أنّ الله قد وعدهُ إحدى الطائفتين: إمّا العِير، وإمّا قُريش إن ظفر بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجُلاً، فلمّا قارب بدراً كان أبو سُفيان في العير فلمّا بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد خرج يتعرّض للعير خاف خوفاً شديداً، ومضى إلى الشام، فلمّا وافى بُهرة[1] اكترى ضمضم الخُزاعيّ بعشرة دنانير وأعطاه قلُوصاً[2]، وقال له: امْضِ إلى قريش وأخبرهم أنَّ محمداً والصُّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم، فأدركوا العير، وأوصاه أن يخرج ناقته، ويقطع أذنها حتى يسيل الدم، ويشقّ ثوبه من قبلٍ ودبر، فإذا دخل مكة ولى وجهه إلى دبر البعير، وصاح بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة[3]، العير العير، أدركوا أدركوا، وما أراكم تدركون، فإنّ محمداً والصُّباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم. فخرج ضمضم يبادر إلى مكة.

ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيام كأن راكباً قد دخل مكّة، وهو ينادي: يا آل غالب، يا آل غالب، اغدوا إلى مصارعكم، صبح ثالث. ثم وافى بجمله على أبي قبيس، فأخذ حجراً

---

(١) بُهرة: موضع بنواحي المدينة، أو موضع في اليمامة.

(٢) القلُوص من النُوق: الشابّة.

(٣) اللطيمة: العير التي تحمل الطيب وبزّ التجّار، ومنه: يا قوم اللطيمة اللطيمة، أي أدركوها «أقرب الموارد - لطم - ج٢، ص١١٤٥».

فدهدهه من الجبل، فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابه منه فلذة، وكان وادي مكة قد سال من أسفله دماً، فانتبهت ذعرةً، فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش.

وفشت الرُؤيا في قريش، وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: ما رأت عاتكة هذه الرؤيا، وهذه نبية ثانية في بني عبد المطلب، واللات والعزى لننتظرنّ ثلاثة أيام، فإن كان ما رأت حقاً فهو كما رأت، وإن كان غير ذلك لنكتبن بيننا كتاباً أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساء من بني هاشم. فلما مضى يوم، قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى. فلما كان اليوم الثاني، قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا، فلما كان اليوم الثالث، وافى ضمضم ينادي في الوادي: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا، أدركوا، وما أراكم تدركون، فإن محمداً والصُباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم التي فيها خزائنكم.

فتصايح الناس بمكّة وتهيّأوا للخروج، وقام سهيل بن عمرو وصفوان بن أميّة وأبو البختري بن هشام ومنبّه ونبيه ابنا الحجّاج ونوفل بن خويلد، فقالوا: يا معاشر قريش، والله ما أصابكم مصيبةٌ أعظم من هذه، أن يطمع محمد والصُباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم التي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشيّ ولا قرشيّة إلاّ ولها في هذا العير نشٌّ[1] فصاعداً، وإن هو إلاّ الذُلّ والصَغار أن يطمع محمد في أموالكم، ويفرّق بينكم وبين متجركم، فاخرجوا.

وأخرج صفوان بن أميّة خمس مائة دينار وجهّز بها، وأخرج سهيل بن عمرو [خمس مائة]، وما بقي أحدٌ من عظماء قريش إلاّ أخرجوا مالاً،

(١) النّش: نصف أُوقيّة، ويعادل عشرين درهماً. «الصحاح ـ نشش ـ ٣: ١٠٢١» وفي المصدر: شيء.

وحملوا ووقروا، وأخرجوا على الصّعبة والذّلول، لا يملكون أنفسهم، كما قال الله تعالى: ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان[2]، يشربون الخمر ويضربون بالدفوف.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما كان بقرب بدرٍ على ليلةٍ منها بعث عديّ بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو يتجسّسان خبر العير، فأتيا ماء بدر وأناخا راحلتيهما، واستعذبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبّثت إحداهما بالأخرى تطالبها بدرهم كان لها عليها، فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا، وهي تنزل غداً ها هنا، وأنا أعمل لهم وأقضيك. فرجعا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبو سفيان بالعير، فلما شارف بدراً تقدّم العير، وأقبل وحده حتى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجلٌ من جهينة، يقال له مجدي الجهني، فقال له: مجديّ، هل لك علم بمحمد وأصحابه؟ قال: لا. قال: واللاّت والعزّى، لئن كتمتنا أمر محمد لا تزال قريش لك معادية إلى آخر الدهر، فإنه ليس أحدٌ من قريش إلاّ وله شيءٌ في هذه العير نش فصاعداً، فلا تكتمني. فقال: والله ما لي علمٌ بمحمد، وما بال محمد وأصحابه بالتجّار، إلاّ أني رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا واستعذبا من الماء، وأناخا راحلتيهما في هذا المكان ورجعا، فلا أدري من هما. فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده، فوجد فيها النّوى، فقال: هذه علائف يثرب، هؤلاء والله عيون محمد. فرجع مسرعاً، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق ومرّوا مسرعين.

---

(١) الأنفال: ٤٧٨.

(٢) القِيان: جمع قينة: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية. «الصحاح - قين - ٦: ٢١٨٦».

ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره أن العير قد أفلتت، وأنّ قريشاً قد أقبلت لتمنع عن عيرها، وأمره بالقتال، ووعده النّصر، وكان نازلاً بالصّفراء[١]، فأحبَّ أن يبلو الأنصار لأنهم إنما وعدوه أن ينصروه في الدار، فأخبرهم أن العير قد جازت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عيرها، وأنّ الله قد أمرني بمحاربتهم. فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ». فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت حق من عند الله! والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا أو شوك الهراس[٢] لخضنا معك، ولا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[٣] ولكنا نقول: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فجزاه النبي ﷺ خيراً، ثم جلس.

ثم قال: «أشيروا عليّ». فقام سعد بن معاذ، فقال: بأبي أنت وأمّي ـ يا رسول الله ـ كأنّك قد أردتنا؟ فقال: «نعم». قال: فلعلّك خرجت على أمرٍ قد أمرت بغيره؟ قال: «نعم». قال: بأبي أنت وأمّي، يا رسول الله، إنا قد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقٌّ من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والذي أخذت منه أحبُّ إلي من الذي تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك. فجزاه خيراً، ثم قال سعد: بأبي أنت وأمّي، يا رسول الله، والله ما أخذت هذا الطريق قطّ، وما لي به علمٌ، وقد خلّفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشدّ جهاداً

---

(١) الصفراء: وادٍ من ناحية المدينة، كثير النخل والزرع، بينه وبين بدر مرحلة. «معجم البلدان ٣: ٤١٢».

(٢) الهَرَاس: شوكٌ كأنه حسك «لسان العرب ـ هرس ـ ٦٠: ٢٤٧».

(٣) المائدة: ٢٤.

لك منهم، ولو علموا أنها الحرب لما تخلفوا، ونحن نعدُّ لك الرواحل ونلقى عدوّنا، فإنا نصبر عند اللقاء، أنجادٌ في الحرب، وإنا لنرجو أن يقر الله عينك بنا، فإن يك ما تحبُّه فهو ذاك، وإن يك غير ذلك قعدت على راحلتك فلحقت بقومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «أو يحدث الله غير ذلك، كأنّي بمصرع فلان ها هنا وبمصرع فلان ها هنا، وبمصرع أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجّاج، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله الميعاد». فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ بهذه الآية ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[1].

فأمر رسول الله ﷺ بالرّحيل حتى نزل عشاءً على ماء بدر، وهي العدوة الشاميّة، فأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء، فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وحبسوهم، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن عبيد قريش. قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير. فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله ﷺ يُصلّي، فانفتل من صلاته، فقال: «إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم! عليَّ بهم». فأتوا بهم، فقال لهم: «من أنتم؟» فقالوا: يا محمد، نحن عبيد قريش. قال: «كم القوم؟» قالوا: لا علم لنا بعددهم. فقال: «كم ينحرون في كل يوم جزوراً؟» قالوا: تسعة إلى عشرة. فقال: «تسع مائة إلى ألف» قال: «فمن فيهم من بني هاشم؟» فقالوا: العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب. فأمر رسول الله ﷺ بهم فحبسوا، وبلغ قريشاً ذلك، فخافوا خوفاً شديداً.

---

(١) الأنفال: ٥ ـ ٨.

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام، فقال له: أما ترى هذا البغي؟ والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قط قومٌ بغوا، ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كله، ولم نسر هذا المسير.

فقال له أبو البختري: إنك سيدٌ من سادات قريش فسر في الناس وتحمّل العير التي أصابها محمد وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرمي، فإنّه حليفك.

فقال عتبة: أنت تشير علي بذلك، وما على أحدٍ منا خلاف إلا ابن حنظلة - يعني أبا جهل - فسر إليه وأعلمه أني قد تحمّلت العير التي قد أصابها محمد بنخلة، ودم ابن الحضرميّ.

قال أبو البختري: فقصدت خباءه، فإذا هو قد أخرج درعاً له، فقلت له: إن أبا الوليد بعثني إليك برسالةٍ. فغضب ثمّ قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟ فقلت له: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت، ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة، فغضب غضبةً أخرى، وقال: تقول: سيد العشيرة؟!

فقلت: أنا أقول وقريش كلُها تقول، أنه قد تحمّل العير، وما أصابه محمد بنخلة، ودم ابن الحضرمي.

فقال: إن عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم في الكلام، ويتعصّب لمحمد، فإنه من بني عبد مناف وابنه معه، ويريد أن يخذل الناس، لا، واللات والعزّى حتى نقحم عليهم بيثرب، ونأخذهم أسارى فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه.

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ كثرة قريش، ففزعوا فزعاً شديداً، وبكوا واستغاثوا، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

فلمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه الليل، ألقى الله على أصحابه النُّعاس حتى ناموا، وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم الماء، وكان نزول رسول الله ﷺ في موضع لا تثبت فيه القدم، فأنزل الله عليهم السماء ولبّد[٢] الأرض حتى تثبت أقدامهم، وهو قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٣] وذلك أن بعض أصحاب النبي ﷺ احتلم ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[٤] وكان المطر على قريش مثل العزالي[٥]، وعلى أصحاب رسول الله ﷺ رذاذاً بقدر ما لبّد الأرض، وخافت قريش خوفاً شديداً، فأقبلوا يتحارسون، يخافون البيات[٦].

فبعث رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وقال: «ادخلا في القوم، واتياني بأخبارهم». فكانا يجولان في عسكرهم، لا يرون إلاّ خائفاً ذعراً، إذا صهل الفرس ثبت على جحفلته[٧]، فسمعوا منبّه بن الحجّاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتاً
لا بد أن نموت أو نميتا

---

(١) الأنفال: ٨: ٩ ـ ١٠.

(٢) لبّد المطرُ والندى الأرض: ألصق بعض ترابها ببعض فصارت قويّةً لا تسوخ فيها الأرجل.

(٣) الأنفال ٨: ١١.

(٤) الأنفال ٨: ١١.

(٥) يقال للسّحابة إذا انهمرت بالمطر: قد حلّت عزاليها وأرسلت عزاليها. «لسان العرب ـ عزل ـ ١١: ٤٤٣».

(٦) بيّتهم العدو بياتاً: أي أوقع بهم ليلاً. «الصحاح ـ بيت ـ ١: ٢٤٥».

(٧) الجحفلة لذي الحافر: كالشّفة للإنسان. «مجمع البحرين ـ جحفل ـ ٥: ٣٣٤».

قال ﷺ: «قد ـ والله ـ كانوا شباعى، ولكنهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله في قلوبهم الرُّعب، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[(١)]».

فلما أصبح رسول الله ﷺ عبأ أصحابه، وكان في عسكره ﷺ فرسان: فرسٌ للزُّبير بن العوّام، وفرس للمقداد، وكان في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنوي على جمل [يتعاقبون عليه]، والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربع مائة فرس، فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه بين يديه، وقال: «غضوا أبصاركم، ولا تبدأوهم بالقتال، ولا يتكلّمن أحد».

فلما نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: ما هم إلاّ أكلة[(٢)] رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد. فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمير بن وهب الجمحي، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ، ثمّ صعد الوادي وصوّت، ثم رجع إلى قريش، فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح[(٣)] يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمُّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتى يقتلوا، ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم. فقال أبو جهل: كذبت وجبنت، وانتفخ سحرك[(٤)] حين نظرت إلى سيوف يثرب.

وفزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوّتهم، فأنزل

---

(١) الأنفال: ٨: ١٢.

(٢) أي قليل يشبعهم رأسٌ واحد.

(٣) الناضح: البعير يستقى عليه، والجمع نواضح. «الصحاح ـ نضح ـ ١: ٤١١».

(٤) انتفخ سحرك: أي رئتك، يقال ذلك للجبان «النهاية ٢: ٣٤٦».

الله على رسوله: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١) وقد علم الله أنّهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السّلم، وإنما أراد سبحانه بذلك لتطيب قلوب أصحاب النبيّ ﷺ. فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش، فقال: «يا معشر قريش، ما أحد من العرب أبغض إلي من أن أبدأكم، فخلّوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري، فارجعوا».

فقال عتبة: والله، ما أفلح قومٌ قطّ ردُّوا هذا. ثمّ ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر وينهى عن القتال، فقال: «إن يكن عند أحدٍ خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، فإن يطيعوه يرجعوا ويرشدوا». فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش، اجتمعوا واسمعوا. ثم خطبهم، فقال: يمنٌ مع رحب، ورحبٌ مع يمن. يا معشر قريش، أطيعوني اليوم، واعصوني الدّهر، وارجعوا إلى مكّة واشربوا الخمور، وعانقوا الحور، فإنّ محمداً له إلّ(٢) وذِمّة، وهو ابن عمّكم، فارجعوا ولا تردّوا رأيي، وإنّما تطالبون محمداً بالعير التي أخذوها بنخلة، ودم ابن الحضرمي، وهو حليفي وعليّ عقله. فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاضه، وقال: إنّ عتبة أطول الناس لساناً، وأبلغهم كلاماً، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيد قريش إلى آخر الدهر. ثم قال: يا عتبة، نظرت إلى سيوف بني عبد المطلب وجبنت وانتفخ سحرك، وتأمر الناس بالرجوع وقد رأينا ثأرنا بأعيننا. فنزل عتبة عن جمله، وحمل على أبي جهل، وكان على فرسٍ، فأخذ بشعره، فقال الناس: يقتله. فعرقب فرسه، فقال: أمثلي يجبن، وستعلم قريش اليوم أيّنا ألأم وأجبن، وأيّنا المفسد لقومه، لا يمشي إلا أنا وأنت إلى الموت عياناً. ثم قال:

---

(١) الأنفال ٨: ٦١.

(٢) الإل: العهد والقرابة. «مختار الصحاح: ٢٢».

هـذا جـنـاي وخـيـاره فـيـه
وكـلّ جـانٍ يـده إلى فـيـه

ثم أخذ بشعره يجرّه، فاجتمع إليه الناس، وقالوا: يا أبا الوليد، الله الله لا تفتّ في أعضاد الناس، تنهى عن شيءٍ وتكون أوّله. فخلّصوا أبا جهل من يده.

فنظر عتبة إلى أخيه شيبة، ونظر إلى ابنه الوليد، فقال: قم يا بنيّ. فقام ثمّ لبس درعه، وطلبوا له بيضةً تسع رأسه، فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتجر بعمامتين، ثم أخذ سيفه وتقدم هو وأخوه وابنه، ونادى: يا محمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار: عوذ[1] ومعوّذ وعوف من بني عفراء، فقال عتبة: من أنتم، انتسبوا لنعرفكم؟ فقالوا: نحن بنو عفراء، أنصار الله، وأنصار رسوله. فقال: ارجعوا، فإنّا لسنا إيّاكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش. فبعث إليهم رسول الله: «أن ارجعوا». فرجعوا، وكره أن يكون أول الكرّة بالأنصار، فرجعوا ووقفوا موقفهم.

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، وكان له سبعون سنة، فقال له: «قم يا عبيدة». فقام بين يديه بالسّيف، ثم نظر إلى حمزة بن عبد المطّلب، فقال: «قم يا عمّ» ثم نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: «قم يا علي» وكان أصغرهم، فقاموا بين يدي رسول الله ﷺ بسيوفهم وقال: «فاطلبوا بحقّكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفيء نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره». ثم قال رسول الله ﷺ: «يا عبيدة، عليك بعتبة» وقال لحمزة: «عليك بشيبة» وقال لعليّ عليه السلام: «عليك بالوليد بن عتبة». فمرّوا حتى انتهوا إلى القوم، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا حتى نعرفكم. فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن

(١) في مغازي الواقدي ١: ٦٨ مُعاذ، بدل عوذ.

عبد المطّلب. فقال: كفؤ كريم، فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب. فقال: كفؤان كريمان، لعن الله من واقفنا وإيّاكم هذا الموقف. فقال شيبة لحمزة: من أنت؟ فقال: أنا حمزة بن عبد المطّلب، أسد الله وأسد رسوله. فقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك، يا أسد الله.

فحمل عبيدة على عتبة، فضربه على رأسه ضربةً فلق بها هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً، فحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وكل واحد يتقي بدرقته، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه، فخرج السيف من إبطه. قال علي عليه السلام: «فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي، فظننت أن السّماء وقعت على الأرض». ثم اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا عليّ، أما ترى الكلب قد أبهر عمّك؟ فحمل عليه علي عليه السلام، ثم قال: «يا عمّ طأطئ رأسك» وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطنّ نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه. وحمل عبيدة بين حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر إليه رسول الله، فاستعبر، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، ألستُ شهيداً؟ قال: «بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي».

فقال: «أما لو كان عمك حيّ لعلم أني أولى بما قال منه، قال: «وأيّ أعمامي تريد؟» قال: أبا طالب، حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبزى[1] محمدٌ
ولمّا نطاعن دونه ونناضل

---

(١) يُبزى: أي يقهر ويغلب، أراد لا يُبزى، فحذف (لا) من جواب القسم، وهي مراده، أي لا يُقهر ولم نقاتل عنه وندافع. «النهاية ١: ١٢٥».

ونـســلـمـه حـتـى نـصـرّع حـولـه ... ونـذهـل عـن أبـنـائـنـا والحـلائـل

فقال رسول الله ﷺ: «أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة». فقال: يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة. فقال: «ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذلك».

وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجل وبطر أبناء ربيعة، عليكم بأهل يثرب، فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة، فنعرّفهم ضلالتهم التي كانوا عليها. وكان فتيةٌ من قريش أسلموا بمكة، فاحتبسهم آباؤهم، فخرجوا مع قريش إلى بدرٍ وهم على الشّك والارتياب والنّفاق، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه، والحارث بن ربيعة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن المنبّه. فلما نظروا إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: مساكين هؤلاء غرّهم دينهم فيقتلون الساعة. فأنزل الله على رسوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] وجاء إبليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: أنا جارٌ لكم ادفعوا إليّ رايتكم. فدفعوها إليه، وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب رسول الله ﷺ، ويخيّل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس، معه الراية، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «غُضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ، ولا تسلّوا سيفاً حتى آذن لكم».

ثم رفع يده إلى السّماء، فقال: يا ربّ، إن تهلك هذه العصابة لم تعبد،

---

(١) الأنفال ٨: ٤٩.

وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد. ثم أصابه الغشيّ فسُرّي عنه وهو يسلت[١] العرق عن وجهه، ويقول: «هذا جبرئيل قد أتاكم بألفٍ من الملائكة مردفين». قال: فنظرنا فإذا بسحابةٍ سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكرِ رسول الله ﷺ، وقائلٌ يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم. وسمعنا قعقعة السلاح من الجوّ، ونظر إبليس إلى جبرئيل عليه السلام فتراجع ورمى باللّواء، فأخذ منبّه بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثم قال: ويلك، يا سراقة، تفتُّ في أعضاد الناس، فركله إبليس ركلةً في صدره، ثم قال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله. وهو قول الله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢]. ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣].

قال: وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر، وقال: يا ربّ، أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين.

روي في الخبر: أنّ إبليس التفت إلى جبرئيل عليه السلام وهو في الهزيمة، فقال: يا هذا، أبدًا لكم فيما أعطيتمونا؟ فقيل لأبي عبد الله عليه السلام: أترى كان يخاف أن يقتله؟ فقال: «لا، ولكنه كان يضربه ضربةً يشينه منها إلى يوم القيامة».

وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٤] قال: أطراف الأصابع، فقد جاءت قريش بخيلائها

(١) أي يمسحه ويُزيله. «انظر: المعجم الوسيط - سلت - ١: ٤٤١».

(٢) الأنفال ٨: ٤٨.

(٣) الأنفال ٨: ٥٠.

(٤) الأنفال: ٨: ١٢.

وفخرها تريد أن تطفىء نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره، وخرج أبو جهل من بين الصفّين، وقال: اللهمّ، إن محمداً أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحِنْه[1] الغداة، فأنزل الله على رسوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. ثم أخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى ورمى به في وجوه قريش، وقال: «شاهت الوجوه» فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش، فكانت الهزيمة. فقال رسول الله ﷺ: «اللهمّ لا يفلتنّ فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام، فقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، والتقى عمرو بن الجموح مع أبي جهل، فضرب عمرو أبا جهل على فخذه، وضرب أبو جهل عمراً على يده، فأبانها من العضد، فتعلّقت بجلدةٍ فاتّكأ عمرو على يده برجله، ثم نزا في السّماء حتى انقطعت الجلدة، ورمى بيده.

وقال عبد الله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يشتحّط في دمه، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك، فرفع رأسه، فقال: إنما أخزى الله عبد بن أمّ عبد، لمن الدائرة ويلك. قلت: لله ولرسوله، وإني قاتلك، ووضعت رجلي على عنقه. فقال: ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، أما إنه ليس شيءٌ أشدّ من قتلك إياي في هذا اليوم، ألا تولّى قتلي رجلٌ من المُطيَّبين أو رجل من الأحلاف[3]. فاقتلعت بيضة كانت على رأسه فقتلته، وأخذت رأسه وجئت به

---

(١) الحَيْن: الهلاك، وأحِنْهُ: أهلكه «القاموس المحيط ٤ : ٢١٩».

(٢) الأنفال ٨ : ١٩.

(٣) لما أرادت بنو عبد مُناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحِجابة والرِّفادة واللواء والسّقاية، وأبت عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا، فاجتمع بنو عبد مناف وبنو زهرة وتيم وأسد، وجعلوا طيباً في جفنةٍ وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسمّوا المطيّبين، وتعاقدت بنو عبد الدار مع جُمح ومخزوم وعديّ وكعب وسهم حلفاً آخر مؤكّداً، فسمُّوا الأحلاف لذلك. «النهاية ١ : ٤٢٥ و٣ : ١٤٩».

إلى رسول الله ﷺ، وقلتُ: يا رسول الله، البشرى هذا رأس أبي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً.

وأسر أبو بشر الأنصاري العبّاس بن عبد المطّلب، وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «هل أعانك عليهما أحد؟» قال: نعم، رجل عليه ثيابٌ بيض. فقال الرسول ﷺ: «ذلك من الملائكة».

ثم قال رسول الله ﷺ للعبّاس: «افد نفسك وابن أخيك». فقال: يا رسول الله، قد كنت أسلمت، ولكن القوم استكرهوني. فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقّاً فإن الله يجزيك عليه، وأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا». ثم قال ﷺ: «يا عبّاس، إنكم خاصمتم الله فخصمكم». ثم قال: «أفد نفسك وابن أخيك». وقد كان العباس أخذ معه أربعين أوقيّةً من ذهب، فغنمها رسول الله ﷺ، فلمّا قال رسول الله ﷺ للعبّاس: «افدِ نفسك». قال: يا رسول الله، احسبها من فدائي. فقال رسول الله ﷺ: «لا، ذاك شيءٌ أعطانا الله منك، فافد نفسك وابن أخيك» فقال العبّاس: فليس لي مال غير الذي ذهب مني. فقال: «بلى، المال الذي خلّفته عند أُمّ الفضل بمكّة، فقلت لها: إن حدث عليّ حدث فاقسموه بينكم». فقال له: تتركني وأنا أسأل الناس بكفّي. فأنزل الله على رسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، ثمّ قال: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ في عليّ ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ثم قال رسول الله ﷺ لعقيل: «قد قتل الله ـ يا أبا يزيد ـ أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجاج ونوفل بن

---

(١) الأنفال: ٨: ٧٠.

(٢) الأنفال ٨: ٧١.

خويلد، وأسر سهيل بن عمرو والنّضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط» وفلان وفلان.

فقال عقيل: إذن لا تنازعوا في تهامة، فإن كنت قد أثخنت القوم وإلاّ فاركب أكتافهم. فتبسّم رسول الله ﷺ من قوله.

وكان القتلى ببدرٍ سبعين والأسرى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين عليه السلام سبعةً وعشرين، ولم يأسر أحداً، فجمعوا الأُسارى وقرنوهم في الحبال، وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجالٍ، فيهم سعد بن خيثمة، وكان من النقباء.

فرحل رسول الله ﷺ، ونزل الأُثيل[1] عند غروب الشمس، وهو من بدر على ستّة أميال، فنظر رسول الله ﷺ إلى عقبة بن أبي معيط والنّضر بن الحارث بن كلدة، وهما في قرانٍ واحد، فقال النّضر لعقبة: يا عقبة، أنا وأنت مقتولان. قال عقبة: من بين قريش! قال: نعم، لأنّ محمداً قد نظر إلينا نظرةً رأيتُ فيها القتل. فقال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، عليَّ بالنّضر وعقبة» وكان النّضر رجلاً جميلاً عليه شعر، فجاء علي عليه السلام فأخذ بشعره فجرّه إلى رسول الله ﷺ. فقال النّضر: يا محمّد، أسألك بالرَّحم الذي بيني وبينك إلاّ أجريتني كرجلٍ من قريش إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني. فقال رسول الله ﷺ: «لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام، قدّمه يا علي فاضرب عنقه». فقدّمه وضرب عنقه. فقال عقبة: يا محمّد، ألم تقل: لا تصبر قريش! أي لا يقتلون صبراً. قال: «أفأنت من قريش! إنما أنت علج من أهل صفُّورية[2]، لأنت من الميلاد أكبر من أبيك

---

(١) الأُثيل: موضع قرب المدينة. «معجم البلدان ١: ٩٤».

(٢) صَفُّورية: بلدة بالأردن. «القاموس المحيط ـ صفر ـ ٢: ٧٣».

الذي تدعى إليه، ليس منها، قدّمه يا علي فاضرب عنقه» فقدّمه وضرب عنقه.

فلمّا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النّضر وعقبة خافت الأنصار أن يقتل الأُسارى كلهم، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، قد قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين، وهم قومك وأساراك، هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم. فأنزل الله عليه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾(١) فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم، وشرط أن يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منهم الفداء، فرضوا منه بذلك، فلمّا كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سبعون رجلاً، فقال من بقي من أصحابه: يا رسول الله، ما هذا الذي أصابنا، وقد كنت تعدنا بالنّصر؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها﴾ ببدرٍ قتلتم سبعين، وأسرتم سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(٢) بما اشترطتم»(٣).

❁ س٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧ ـ ٨]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: رجع الحديث إلى تفسير الآيات التي لم تكتب في قوله: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾. قال: العِير، أو قريش. قال: وقوله: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ قال:

---

(١) الأنفال ٨: ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) آل عمران ٣: ١٦٥.

(٣) تفسير القميّ ج١، ص٢٥٥.

ذات الشوكة: الحَرب. قال: تودّون العير لا الحرب. ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ قال: الكلمات الأئمة عليهم السلام[١]. أقول: وهو نفس المعنى روي عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.

وقال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «تفسيرها في الباطن يريد الله فإنّه شيء يريده ولم يفعله بعد. وأمّا قوله: ﴿يحق الحق بكلماته﴾ فإنّه يعني يُحقّ حقّ آل محمد، وأمّا قوله: ﴿بكلماته﴾ قال: كلماته في الباطن عليّ عليه السلام هو كلمة الله في الباطن، وأمّا قوله: ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ فهم بنو أميّة هم الكافرون، يقطع الله دابرَهُم، وأمّا قوله: ﴿ليحق الحق﴾ فإنّه يعني ليُحقّ حقّ آل محمد حين يقوم القائم عليه السلام، وأمّا قوله: ﴿ويبطل الباطل﴾ يعني القائم عليه السلام، فإذا قام يُبطل باطل بني أُميّة، وذلك قوله: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾»[٢].

❁ س٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩]؟!

الجواب/ قال الطبرسي: قيل: إن النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة، وقال: «اللهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض». فما زال يهتف ربّه مادّاً يديه، حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأنزل الله: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية. قال: وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام[٣].

---

(١) تفسير القميّ ج١، ص٢٧٠.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٠، ح٢٤.

(٣) مجمع البيان: ج٤، ص٨٠٧.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي، ج٤، ص٣٨٠.

س٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾، أي: وما جعل الله الإمداد والوعد به. فالهاء عائدة على غير مذكور باسمه، وهو معلوم بدلالته عليه، لأن يمدد يدل على الإمداد. وبشرى لكم أي: بشارة لكم لتستبشروا به، ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ أي: ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدو، وقلة عددكم. ﴿وما النصر﴾ أي: وما المعونة ﴿إلا من عند الله﴾ ومعناه: أن الحاجة إلى الله تعالى لازمة في المعونة، وأن أمدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين، في تقوية قلوبكم، وخذلان عدوكم، بضعف قلوبهم إلى غير ذلك، وقيل: إن معناه وما هذا النصر بإمداد الملائكة، إلا من عند الله ﴿العزيز﴾ أي: القادر على انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين ﴿الحكيم﴾ في تدبيره للمؤمنين وللعالمين. وإنما قال ذلك ليعلمهم أن حربهم للمشركين إنما هو لإعزاز الدين. وقيل: العزيز المنيع باقتداره، والحكيم: في تدبيره للخلق(١).

س٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: اشربوا ماء

---

(١) الكافي: ج٦، ص٣٨٧، ح٢، المحاسن: ص٥٧٤، ح٢٥.

السَّماء فإنه يطهِّر البدن ويدفع الأسقام، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾»[١].

وقال جابر سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن هذه الآية في الباطن.

قال: «السَّماء في الباطن: رسول الله صلى الله عليه وآله، والماء: عليّ عليه السلام جعله الله من رسول الله صلى الله عليه وآله، فذلك قوله: ﴿ماء ليطهركم به﴾ فذلك عليّ يطهِّرُ الله به قلب من والاه. وأمّا قوله: ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ من والى عليّاً عليه السلام يذهب الرجز عنه، ويُقوّي قلبه، ﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ فإنه يعني عليّاً عليه السلام، من والى عليّاً عليه السلام يربط الله على قلبه بعليّ عليه السلام فيثبت على ولايته»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾: «لا يدخلنا ما يدخل الناس من الشكّ»[٣].

❁ س٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ

---

(١) تفسير العياشي: ج٢، ص٥٠، ح٢٥.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص٥٠، ح٢٧.

(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص٥٠، ح٢٦.

مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً
حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾
إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟
نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

[الأنفال: ١٢ ـ ١٩]؟!

الجواب/ قال يوسف أبو محمّد: سألت أبا جعفر عليه السلام، فقلت: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم﴾، فقال: «إلهام»(١).

وقال عليّ بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ أي عادوا الله ورسوله، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا﴾ أي يدنو بعضكم من بعض(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الرّعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضّلال، ضلالٌ في الدّين، وسلبٌ للدُّنيا، مع الذل والصغار، وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار﴾(٣).

وقال أبو أُسامة زيد الشّحّام، قلتُ لأبي الحسن عليه السلام: جُعِلتُ فداك، إنّهم يقولون: ما منع عليّاً إن كان له حقّ أن يقوم بحقّه؟

فقال: «إنّ الله لم يُكلّف هذا أحداً إلاّ نبيّه صلى الله عليه وآله قال له: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ

---

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٧٠.

(٢) الكافي: ج٥، ص٣٨، ح١.

(٣) النساء ٤: ٨٤.

ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[١] وقال لغيره: ﴿إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة﴾ فعليّ عليه السلام لم يجد فئةً، ولو وجد فئةً لقاتل - ثمّ قال -: لو كان[٢] جعفر وحمزة حيَّين، بقي رجلان قال: ﴿متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة﴾ قال: متطرّداً يريد الكرّة عليهم، أو متحيّزاً، يعني متأخّراً إلى أصحابه من غير هزيمةٍ، فمن انهزم حتى يجوز صفَّ أصحابه فقد باء بغضبٍ من الله»[٣].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال﴾ يعني يرجع ﴿أو متحيزا إلى فئة﴾ يعني يرجع إلى صاحبه وهو الرّسول أو الإمام ﴿فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾، ثمّ قال: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ أي أنزل الملائكة حتى قتلوهم، ثمّ قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ يعني الحصى الذي حمله رسول الله صلى الله عليه وآله ورمى به في وجوه قريش، وقال: «شاهت الوجوه»[٤].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «ناول رسول الله صلى الله عليه وآله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام قبضةً من تراب التي رمى بها في وجوه المشركين، فقال الله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾»[٥].

---

(١) قال العلامة المجلسي: قوله «لو كان» كلمة (لو) للتمنّي، أو الجزاء محذوف، أي لم يترك القتال، أو يكون تفسيراً للفئة، والمراد بالرجلين عباس وعقيل. بحار الأنوار: ج٨، ص١٤٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥١، ح٣١.

(٣) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٧٠.

(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٢، ح٣٤.

(٥) المناقب: ج١، ص١٨٩، فرائد السمطين: ج١، ص٢٣٢، ح١٨١، الدر المنثور: ج٤، ص٤٠.

وقال ابن عبّاس: ﴿وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ يعني وهزم الكفّار ليغنم النبيّ والوصيّ[١].

وقال الطُّبرسيّ في (الاحتجاج): قال أمير المؤمنين عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾: «سمّى فعل النبيّ صلى الله عليه وآله فِعلاً له، ألا ترى تأويله على غير تنزيله»[٢].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾: أي مضعف كيدهم وحيلتهم ومكرهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قد تقدم ذكره في القِصّة[٤].

❁ س٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي:

ثمّ أمر الله سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾ خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله، وإن كانت واجبة على غيرهم أيضاً، لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم، ويجوز أن يكون إنما خصهم إجلالاً لقدرهم، ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ﴿ولا تولوا عنه﴾ أي: ولا تعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ﴿وأنتم

---

(١) الاحتجاج: ٢٥٠.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٧١.

(٣) تقدم في الحديث من تفسير الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

(٤) مجمع البيان: الشيخ الطبرسيّ، ج٤، ص٤٤٨.

تسمعون﴾ دعاءه لكم وأمره ونهيه إياكم. . .

وقيل معناه: وأنتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله، وطاعة الرسول.

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ في الكلام حذف، ومعناه: ولا تكونوا كهم في قولهم هذا المنكر، فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه، وفي ذلك غاية البلاغة. ومعنى قولهم ﴿سمعنا وهم لا يسمعون﴾ أنهم سمعوه سماع عالم قابل له، وليسوا كذلك. والسماع بمعنى القبول كما في قوله ﴿سمع الله لمن حمده﴾ وهؤلاء الكفار هم المنافقون. . .

وقيل: هم أهل الكتاب من اليهود، وقريظة، والنظير. . .

وقيل: إنهم مشركو العرب، لأنهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا. . .[1].

❁ س١٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢)﴾

[الأنفال: ٢٢]؟!

الجواب/ قال في (جوامع الجامع): قال الباقر عليه السلام: «هم بنو عبد الدار، لم يُسلم منهم غير مصعب بن عمير وسويد بن حرملة، وقيل حليف لهم[2] يقال له «سُويبط»، وكانوا يقولون: نحن صمٌّ بُكمٌ عُميٌ عما جاء به محمّد، وقد قُتلوا جميعاً بأحد، كانوا أصحاب اللواء»[3].

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٨١٨ .

(٢) جوامع الجامع: ص١٦٧.

(٣) التبيان: ج٥، ص٩٩.

❁ س١١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: معنى الآية ان الله تعالى اخبر انه لو علم فيهم. يعني هؤلاء الكافرين انهم يصلحون لما يورده عليهم من حججه وآياته لاسمعهم إياها ولم يخلف عنهم شيئا منها وإن كان قد أزاح علتهم في التكليف بما نصب لهم من الادلة الموصولة إلى الحق، ولكنهم لا يصلحون بل يتولون وهم معرضون. وقيل: لاسمعهم الحجج والمواعظ سماع تفهم. وقيل: لاسمعهم كلام الموتى الذين طلبوا إحياءهم من قصي بن كلاب وغيره وقال الزجاج: لاسمعهم جواب كل ما يسألون عنه. والاعراض خلاف الاقبال وهو الانصراف بالوجه عن جهة الشئ والاقبال الانصراف بالوجه إلى جهته والاستماع إيجاد السماع بايجاده والتعريض له. فان الله تعالى يسمعهم بأن يوجد السماع لهم. والانسان يسمعهم بأن يعرضهم للسماع الذي يوجد لهم، هذا على مذهب من قال: إن الادراك معنى، ومن قال: انه ليس بمعنى، فمعنى الاسماع هو ان يوجد من كلامه الدال على ما يجب أن يسمعوه لكونهم أحياء لا آفة بهم في حواسهم. وقال الزجاج المعنى «ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم» كلما يسألون عنه ولو اسمعهم كلما يخطر ببالهم لتولوا وهم معرضون. وقال الحسن: هو إخبار عن علمه كما قال «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه». وفي الآية دلالة على بطلان قول من يقول: يجوز ان يكون في مقدوره لطف لو فعله بالكافر لأمن[١].

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٧١.

❁ س١٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾، يقول: «ولاية علي بن أبي طالب، فإن اتباعكم إيّاه وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم».

وأمّا قوله: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾، يقول: «يحول بين المرء ومعصيته أن تقوده إلى النار، ويَحولُ بين الكافر وطاعته أن يستكمل بها الإيمان، واعلموا أنّ الأعمال بخواتيمها»[(١)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾، قال: «يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق»[(٢)].

وقد قيل: إن الله تبارك وتعالى يحول بين المرء وقلبه بالموت. وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى ينقل العبد من الشقاء إلى السّعادة، ولا ينقله من السعادة إلى الشّقاء»[(٣)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «يشتهي بسمعه وبصره ويده ولسانه وقلبه، أمّا إن هو غشي شيئاً ممّا يشتهي، فإنّه لا يأتيه إلاّ وقلبه منكرٌ، لا يقبل الذي يأتي، يعرف أن الحقّ غيره»[(٤)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يستيقن القلب أن الحقّ باطل أبداً، ولا يستيقن أن الباطل حق أبداً»[(٥)].

---

(١) المحاسن: ص٢٣٧، ح٢٠٥.
(٢) التوحيد: ص٣٥٨، ح٦.
(٣) المحاسن: ص٢٧٦، ح٣٨٩.
(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٣، ح٣٩.
(٥) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٣، ح٤٠.

❁ س١٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥]؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام، في قوله: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.

«أصابت الناس فتنةٌ بعد ما قبض الله نبيَّه صلى الله عليه وآله حتى تركوا علياً عليه السلام وبايعوا غيره، وهي الفتنةُ التي فُتنوا بها، وقد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله باتّباع عليّ عليه السلام والأوصياء من آل محمّد عليهم السلام».

قال أبو عبد الله عليه السلام، قال: «قال تعالى في بعض كتابه: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ في ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]. وقال في بعض كتابه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾[2] يقولُ في الآية الأولى: إنّ محمداً صلى الله عليه وآله حين يموت يقول أهلُ الخلاف.. لأمرِ الله عزّ وجلّ: مضَت ليلة القدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذه فتنةٌ أصابتهم خاصّةً، وبها ارتدّوا على أعقابهم، لأنّهم إن قالوا: لم تذهب فلا بدّ أن يكون لله عزّ وجلّ فيها أمرٌ، وإذا أقرّوا بالأمر لم يكن لهم من صاحبٍ بُدّ»[3].

❁ س١٤: بمن نزل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ

---

(١) القدر: ٩٧: ١.
(٢) آل عمران: ٣: ١٤٤.
(٣) الكافي: ج١، ص١٩٣، ح٤.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦] وما هو تفسيرها؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: إنّها نزلت في قريش خاصّة[١].

قال الشيخ الطبرسيّ: ثم ذكر سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وإنعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير، فقال ﴿واذكروا﴾ معشر المهاجرين ﴿إذ أنتم قليل﴾ في العدد، وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام ﴿مستضعفون﴾ يطلب ضعفكم بتوهين أمركم ﴿في الأرض﴾ أي: في مكة، . . .

﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ أي: يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها. وقيل: إنه يعني بالناس كفار قريش. . . ، وقيل: فارس والروم. . .

﴿فأواكم﴾ أي: جعل لكم مأوى ترجعون إليه، يعني المدينة دار الهجرة. ﴿وأيدكم بنصره﴾ أي: قواكم. ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الغنائم أحلها لكم، ولم يحلها لأحد قبلكم. وقيل: هي عامة في جميع ما أعطاهم من الأطعمة اللذيذة ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي: لكي تشكروا، والمعنى: قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن، تلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة، فتشكروا عليها[٢].

س١٥: ما هو سبب النزول قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]؟!

الجواب/ قال الطّبرسي: عن الباقر والصادق عليهما السلام: نزلت في أبي لبابة

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٧١.

(٢) مجمع البيان: ج٤، ص٤٤٨، الشيخ الطبرسيّ.

بن عبد المنذر الأنصاريّ، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصُلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النَّضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلاّ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأنّ عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم، فقالوا: ما ترى - يا أبا لبابة - أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه، أنه الذَّبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية فيه، فلما نزلت شدَّ نفسه على ساريةٍ من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي. فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خرَّ مغشياً عليه، ثمّ تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة، قد تيب عليك. فقال: لا والله، لا أحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني. فجاءه وحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: إنّ من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي. فقال النبيّ ﷺ: «يجزيك الثُلث أن تصدَّق به»[1].

✿ س١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]؟!

الجواب/ قد تقدم ذكر سبب نزول هذه الآية والتي قبلها، أما معناها:

قال الشيخ الطبرسي: وقوله ﴿واعلموا﴾ أي: وتحققوا وأيقنوا ﴿إنما

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٨٢٣.

أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: بلية عليكم، ابتلاكم الله تعالى بها، فإن أبا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في أيديهم، وأولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ لمن أطاعه، وخرج إلى الجهاد، ولم يخن الله ورسوله، وذلك خير من الأموال والأولاد.

بين سبحانه بهذه الآية أنه يختبر خلقه بالأموال والأولاد، ليتبين الراضي بقسمه، ممن لا يرضى به، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن ليظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: ﴿لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة﴾ لأنه ليس أحد إلاّ وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن الله تعالى يقول: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ . . .[1].

❁ س١٧ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: يعني العلم الذي تُفرِّقُون به بين الحقّ والباطل[2].

❁ س١٨ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]؟!

الجواب/ قال أحدهما عليهما السلام : «أنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطنٍ

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٥٦، الطبرسي.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٢٧٢.

أناسٌ، ثم انطلقوا إلى دار النَّدوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هم بشيخ قائم على الباب، فإذا ذهبوا إليه ليدخلوا، قال: أدخلوني معكم. قالوا: ومَن أنت، يا شيخ؟ قال: أنا شيخٌ من بني مُضَر، ولي رأيٌ أُشير به عليكم، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالسٌ، وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه. فقال: هذا ليس لكم برأي إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم. قالوا: صدقت ما هذا برأيٍ.

ثمّ تشاوروا وأجمعوا أمرهم على أن يوثقوه. قال: هذا ليس بالرأي، إن فعلتم هذا ـ ومحمّد رجل حلو اللسان ـ أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم، وما ينفع أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه وامرأته.

ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، ويخرجوا من كل بطنٍ منهم بشابٍ، فيضربوه بأسيافهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك﴾» إلى آخر الآية[١].

وقال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿والله خير الماكرين﴾.

قالا: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان لقي من قومه بلاءً شديداً حتى أتوه ذات يوم وهو ساجدٌ حتى طرحوا عليه رحم شاةٍ، فأتتهُ ابنته وهو ساجد لم يرفع رأسَه، فرفعته عنه ومسحته، ثمّ أراه الله بعد ذلك الذي يُحبّ، إنّه كان ببدرٍ وليس معه غير فارس واحد، ثم كان معه يوم الفتح اثنا عشر ألفاً، حتى جعل أبو سفيان والمشركون يستغيثون، ثمّ لقي أمير المؤمنين عليه السلام من الشدّة والبلاء والتظاهر عليه، ولم يكن معه أحد من قومه بمنزلته، أمّا حمزة فقتل يوم أُحد، وأمّا جعفر فقُتل يوم مؤتة»[٢].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٣، ح٤٢. (٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٤، ح٤٣.

❁ س١٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]؟!

الجواب/ قال الطبرسيّ: ثم أخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق، فقال: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿قالوا قد سمعنا﴾ أي: أدركنا بأذاننا، فإن السماع إدراك الصوت بحاسة الأذن ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بسورة مثله بعد التحدي، عداوة وعناداً، وقد تحمل الإنسان شدة العداوة على أن يقول ما لا يعلم. وقيل: إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل، إذ القرآن كان مركباً من كلمات جارية على ألسنتهم، فطمعوا أن يأتي لهم في ذلك المستقبل، بخلاف صيرورة العصاحية، في أنه قد انقطع طمعهم في الإتيان بمثله، إذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم.

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ معناه ما هذه إلا أحاديث الأولين تتلوها علينا، وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كلدة، وأسر يوم بدر، فقتله رسول الله ﷺ وعقبة بن أبي معيط قال: يا علي! علي بالنضر أبغيه، فأخذ علي بشعره، وكان رجلاً جميلاً له شعر، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! أسألك بالرحم بيني وبينك إلا أجريتني كرجل من قريش، إن قتلتهم قتلتني، وإن فاديتهم فاديتني!

فقال ﷺ: لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام، قدمه يا علي فاضرب عنقه. فضرب عنقه، ثم قال: يا علي! علي بعقبه. فأحضر، فقال: يا محمد ألم تقل! لا تصبر قريش؟ أي لا يقتلون صبراً، فقال ﷺ: وأنت من قريش، إنما أنت علج من أهل صفورية، والله لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له، قال: فمن للصبية؟ قال ﷺ: النار. ثم قال: حن قدح ليس

منها. قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة نفر من قريش صبراً: المطعم بن عدي، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط[1].

❁ س٢٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٢ ـ ٣٣]؟!

الجواب/ قال العلاّمة الحلّي (قدّس سره) في كتاب (الكشكول): قال المُفضّل بن عمر الجعفي، سألت مولاي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

فقال جعفر بن محمد عليه السلام: «الحجّة البالغة التي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمُها بجهله كما يعلمُها العالم بعلمه، لأن الله تعالى أكرم وأعدل من أن يُعذِّب أحداً إلاّ بحجّة».

ثمّ قال جعفر بن محمد عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[3] ثمّ أنشأ جعفر بن محمد عليه السلام مُحدِّثاً، وذكر حديثاً طويلاً، وقال عليه السلام فيه: «أقبل النّضر بن الحارث فسلّم، فردّ عليه النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إذا كنت سيّد ولد آدم وأخوك سيّد العرب، وابنتك فاطمة سيّدة نساء العالمين، وابناك الحسن والحسين سيّدي شباب أهلِ الجنّة، وعمُّك حمزة سيّد الشهداء، وابن عمّك ذا جناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء، وعمُّك العبّاس جلدة بين عينيك وصنو أبيك، وبنو شيبة لهم

---

(١) مجمع البيان: ج٤، الطبرسي: ص٤٦٠.

(٢) الأنعام: ٦ :١٤٩.

(٣) التوبة: ٩ :١١٥.

السِّدانة، فما لسائر قومك من قريشٍ وسائر العرب؟ فقد أعلمتنا في بدء الإسلام أنا إذا آمنّا بما تقول كان لنا مالكَ، وعلينا ما عليك. فأطرق رسول الله ﷺ طويلاً، ثمّ رفع رأسه، ثم قال: ما أنا والله فعلت بهم هذا، بل الله فعل بهم، فما ذنبي؟ فولّى النّضر بن الحارث وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ. فأنزل الله عليه مقالة النّضر بن الحارث، وهو يقول: ﴿اللهم إن كان هذا هوَ الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذاب أليم﴾ ونزلت هذه: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وهم يستغفرون﴾.

فبعث رسول الله ﷺ إلى النّضر بن الحارث الفهريّ، وتلا عليه الآية، فقال: يا رسول الله، إني قد أسررت ذلك جميعه، أنا ومن لم تجعل له ما جعلته لك ولأهل بيتك من الشّرف والفضل في الدنيا والآخرة، فقد أظهر الله ما أسررنا، أمّا أنا فأسألك أن تأذن لي فأخرج من المدينة، فإني لا أطيق المقام. فوعظه النبي ﷺ فقال: إنّ ربّك كريم، فإن أنت صبرت وتصابرت لم يخلك من مواهبه، فارض وسلّم، فإن الله يمتحن خلقه بضروبٍ من المكاره، ويخفّف عمّن يشاء، وله الأمر والخلق، مواهبه عظيمة، وإحسانه واسع. فأبى النّضر بن الحارث وسأله الإذن، فأذن له رسول الله ﷺ.

فأقبل إلى بيته، وشدّ على راحلته راكباً متعصّباً، وهو يقول: اللهمّ، إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء، أو ائتنا بعذابٍ أليم. فلمّا مرّ بظهر المدينة، وإذا بطيرٍ في مخلبه حجرٌ فجدله، فأرسله إليه، فوقع على هامته، ثمّ دخل في دماغه، وخرّت في بطنه [حتى خرجت من دبره، ووقعت على ظهر راحلته وخرّت حتى خرجت من بطنها] فاضطربت الراحلة وسقطت وسقط النّضر بن الحارث من عليها ميّتين، فأنزل الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين﴾ بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وآل

محمّد (صلوات الله عليهم) ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾(١) فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك إلى المُنافقين الذين اجتمعوا ليلاً مع النَّضر بن الحارث، فتلا عليهم الآية، وقال: اخرُجوا إلى صاحبكم الفهريّ، حتى تنظروا إليه، فلمّا رأوه انتحبوا وبكوا، وقالوا: من أبغض عليّاً وأظهر بغضه قتله بسيفه، ومن خرج من المدينة بُغضاً لعليّ أنزل الله ما ترى»(٢).

س٢١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٤ ـ ٣٥]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾: «يعني أولياء البيت، يعني المشركين ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ حيث كانوا هم أولى به من المشركين ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾. قال ـ: التصفير والتصفيق»(٣).

وكتب أبو الحسن لمحمد بن سِنان في جواب مسائله: «سُميتْ مكّةُ مكّة، لأنّ الناس كانوا يمكُون فيها»(٤). وكان يُقال لمن قصد مكّة قد مكا، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وما كان صلاتُهمْ عند البيت إلاّ مُكاءً وتصديةً﴾

---

(١) المعارج ٧٠: ١ ـ ٣.

(٢) الكشكول فيما جرى على آل الرسول: ص١٧٩.

(٣) معاني الأخبار: ص٢٩٧، ح١.

(٤) أي يصفرون من مكا يمكوا: إذا صفر بفيه أو شبّك بأصابع يديه ثمّ أدخلها في فيه ونفخ فيها.

فالمُكاء: التصفيرُ، والتصديةُ: صفقُ اليدين»[١].

❁ س٢٢: بمن نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: نزلت في قريش لما وافاهم ضمضم، وأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ في طلب العِير، فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا، وخرجوا إلى محاربة رسول الله ﷺ ببدر، فقُتلوا وصاروا إلى النار، وكان ما أنفقوا حسرةً عليهم[٢]، وتقدَّم في القصَّة[٣].

❁ س٢٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ معناه: ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾ أي: ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض ﴿فيركبه﴾ أي: فيجمعه ﴿جميعا﴾ في الآخرة ﴿فيجعله في جهنم﴾ فيعاقبهم به كما قال ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ الآية. وقيل معناه: ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة، والنصر، والأسماء الحسنة، والأحكام المخصوصة، وفي الآخرة بالثواب والجنة...

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٩٠، ح١.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٧٧.

(٣) تقدم الحديث من تفسير الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

وقيل: بأن يجعل الكافر في جهنم، والمؤمن في الجنة، ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم، يضيقها عليهم فيركمه جميعاً أي: يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم، بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها، فيجعله في جهنم أي: فيدخله جهنم ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ قد خسروا أنفسهم لأنهم اشتروا بإنفاق الأموال في المعصية عذاب الله في الآخرة(١).

س٢٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨]؟!

الجواب/ قال عليّ بن درّاج الأسدي: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقلتُ له: إنّي كنت عاملاً لبني أميّة، فأصبتُ مالاً كثيراً، فظننتُ أنّ ذلك لا يحلّ لي. قال: «فسألت عن ذلك غيري؟» قال: قلتُ: قد سألتُ، فقيل لي: إنّ أهلك ومالك وكلّ شيءٍ لك حرام. قال: «ليس كما قالوا لك؟».

قال: قلتُ: جُعلتُ فداك فلي توبة؟ قال: «نعم، توبتُك في كتاب الله ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾»(٢).

س٢٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩]؟!

الجواب/ قال عبد الأعلى الحلبي: قال أبو جعفر عليه السلام: «يكونُ

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٦٥، الشيخ الطبرسي.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٥، ح٤٧.

لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشّعاب ـ ثمّ أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى ـ حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقى بعض أصحابه، فيقول: كم أنتم ها هنا؟ فيقولون: نحو أربعين رجلاً. فيقول: كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله لو يؤوينا الجبال لأويناها معه. ثم يأتيهم من القابل، فيقول: سيروا إلى ذَوي شأنكم وأخياركم عشرة. فيسيرون له، فينطلق بهم حتى يأتوا صاحبهم، ويعدهم إلى الليلة التي تليها».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والله، لكأنّي أنظُر إليه، وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقَّه، ثمّ يقول: يا أيّها الناس، من يُحاجّني في الله فأنا أولى الناس بالله، ومن يحاجّني في آدم عليه السلام فأنا أولى الناس بآدم، يا أيّها الناس، من يحاجّني في نوح عليه السلام فأنا أولى الناس بنوح، يا أيّها الناس من يُحاجّني في إبراهيم عليه السلام فأنا أولى الناس بإبراهيم، يا أيّها الناس من يحاجّني في موسى عليه السلام فأنا أولى الناس بموسى، يا أيّها الناس من يُحاجّني في عيسى عليه السلام فأنا أولى الناس بعيسى، يا أيّها الناس، من يُحاجّني في محمد صلى الله عليه وآله فأنا أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله، يا أيّها الناس، من يحاجّني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ثم ينتهي إلى المقام، فيصلّي عنده ركعتين، ثم ينشد الله حقّه».

قال أبو جعفر عليه السلام: «هو والله المضطرُّ في كتاب الله، وهو قول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾(١) وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض، فيكون أوّل خلق الله يبايعه جبرئيل، ويبايعه الثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً».

---

(١) النمل ٢٧: ٦٢.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «فمن ابتلي في المسير وافاه في تلك الساعة، ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه ـ ثم قال: ـ هو والله قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: المفقودون عن فرشهم، وهو قول الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[1] أصحاب القائم الثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً ـ قال: ـ هم والله الأُمّة المعدودة التي قال الله في كتابه: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[2] ـ قال: ـ يجمعون في ساعةٍ واحدة قزعاً كقزع[3] الخريف، فيصبح بمكّة، فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، فيُجيبه نفرٌ يسير، ويستعمل على مكّة، ثم يسير فيبلغه أن قد قتل عامله، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة، ولا يزيد على ذلك شيئاً، يعني السّبي.

ثمّ ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيّه (عليه وآله السلام) والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، والبراءة من عدوّه، ولا يسمّي أحداً حتى ينتهي إلى البيداء[4]، فيخرُج إليه جيش السُّفياني، فيأمر الله الأرض فتأخذهم من تحت أقدامهم، وهو قول الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾[5] يعني بقائم آل محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾[6] يعن بقائم آل محمّد، إلى آخر السورة، فلا يبقى منهم إلاّ رجلان، يقال لهما وتر ووتيرة من مراد، وجوههما في أقفيتهما، يمشيان القهقرى[7]، يخبران

---

(١) البقرة ٢: ١٤٨.

(٢) هود ١١: ٨.

(٣) القَزَع: قطع السحاب المتفرّقة في السماء.

(٤) البيداء: اسم الأرض بين مكّة والمدينة. (معجم البلدان ١: ٥٢٣».

(٥) سبأ ٣٤: ٥١ ـ ٥٢.

(٦) سبأ ٣٤: ٥٣.

(٧) القَهْقَرى: الرجوع إلى الخلف. «الصحاح ـ قهر ـ ٢: ٨٠١».

الناس بما فعل بأصحابهما.

ثم يدخل المدينة فتغيب عنهم عند ذلك قريش، وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام: والله لودّت قريش أن عندها موقفاً واحداً جزر جزورٍ بكلّ ما ملكت وكلّ ما طلعت عليه الشّمس أو غربت. ثم يحدث حدثاً، فإذا هو فعل ذلك قالت قريش: اخرجوا بنا إلى هذه الطاغية، فوالله لو كان محمديّاً ما فعل، ولو كان علويّاً ما فعل، ولو كان فاطميّاً ما فعل، فيمنحه الله أكتافهم، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذرّيّة، ثم ينطلق حتى ينزل الشّقرة فيبلغه أنّهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة إليها بشيء، ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من عدوّه، حتى إذا بلغ إلى الثعلبيّة[1]، قام إليه رجل من صلب أبيه، وهو من أشدّ الناس ببدنه، وأشجعهم بقلبه، ما خلا صاحب الأمر، فيقول: يا هذا، ما تصنع؟ فوالله إنك لتجفل الناس إجفال النّعم، أفبعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، أم بماذا؟ فيقول المولى الذي ولي البيعة: والله لتسكتن أو لأضربنّ الذي فيه عيناك.

فيقول له القائم عليه السلام: اسكُت يا فلان، إي والله إن معي عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله، هاتِ لي ـ يا فلان ـ العيبة والطبقة واللّواء بعجلة، فيأتيه بها، فيقرئه العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: جعلني الله فداك، أعطني رأسك أقبّله، فيعطيه رأسه فيقبّله بين عينيه، ثم يقول: جعلني الله فداك، جدّد لنا بيعةً، فيجدّد لهم بيعته».

قال أبو جعفر عليه السلام: «لكأنّي أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه،

---

(١) الثعلبية: قرية من منازل طريق مكة. «معجم البلدان ٢: ٧٨».

وميكائيل عن يساره، يسير الرُّعب أمامه شهراً وخلفه شهراً، أمدّه الله بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوّمين حتى إذا صعد النجف قال لأصحابه: تعبَّدوا ليلتكم هذه، فيبيتون بين راكعٍ وساجدٍ، يتضرّعون إلى الله حتى إذا أصبح، قال: خذوا بنا طريق النخيلة[1]. وعلى الكوفة خندق مخندق وجند مجنّد».

قلت: وجند مُجنّد؟ قال: «إي والله حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم عليه السلام بالنُّخيلة، فيصلّي فيه ركعتين، فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السُّفياني، فيقول لأصحابه: استطردوا لهم، ثم يقول: كرُّوا عليهم» قال أبو جعفر عليه السلام: «ولا يجوز ـ والله ـ الخندق منهم مخبر».

«ثمّ يدخُل الكوفة فلا يبقى مؤمنٌ إلا كان فيها، أو حنّ إليها، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ يقول لأصحابه: سيروا إلى هذه الطاغية، فيدعوه إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، فيعطيه السُّفياني من البيعة سلماً، فيقول له كلب، وهم أخواله: ما هذا؟ ما صنعت؟ والله ما نبايعك على هذا أبداً. فيقول: ما أصنع؟ فيقولون: استقبله، ثم يقول له القائم: خذ حذرك، فإنني أدّيت إليك وأنا مقاتلك. فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأتي السُّفياني أسيراً، فينطلق به ويذبحه بيده.

ثمّ يرسل جريدة خيلٍ[2] إلى الرّوم ليستحضروا بقيّة بني أميّة، فإذا انتهوا إلى الرُّوم، قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملّتنا عندكم، فيأبون، ويقولون: والله لا نفعل، فتقول الجريدة: والله لو أمرنا لقاتلناكم. ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم، فإن هؤلاء

---

(١) النخيلة: موضعٌ قرب الكوفة. «معجم البلدان ٥: ٢٧٨».

(٢) الجريدة من الخيل: الجماعة التي جُرِدَت من سائرها لوجهٍ. «الصحاح ـ جرد ـ ٢: ٤٥٥».

قد أتوا بسلطان. وهو قول الله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾[1] - قال -: «يعني الكنوز التي كنتم تكنزون ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[2] لا يبقى منهم مخبر.

ثم يرجع إلى الكوفة فيبعث الثلاث مائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم، فلا يتعايون[3] في قضاء، ولا تبقى في الأرض قرية إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً رسول الله ﷺ، وهو قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[4] ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله ﷺ، وهو قول الله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

قال أبو جعفر عليه السلام: «يُقاتلون - والله - حتى يوحّد الله، ولا يشرك به شيئاً، وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد، ويخرج الله من الأرض بذرها، وينزل من السماء قطرها، ويخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهدي عليه السلام ويوسّع الله على شيعتنا، ولولا ما يدركهم من السعادة لبغوا.

فبينا صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام، وتكلّم ببعض الكلام، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه، فيقول لأصحابه: انطلقوا. فيلحقونهم في التمارين، فيأتون بهم أسرى ليأمر بهم فيذبحون، وهي آخر خارجةٍ تخرج على قائم آل محمد ﷺ»[5].

---

(١) الأنبياء ٢١: ١٢، ١٣.

(٢) الأنبياء ٢١: ١٤، ١٥.

(٣) عيّ بالأمر: عجز عنه، أو جهله.

(٤) آل عمران ٣: ٨٣.

(٥) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥٦، ح٤٩.

س٢٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ﴿وإن تولوا﴾ عن دين الله وطاعته ﴿فاعلموا﴾ أيها المؤمنون ﴿أن الله مولاكم﴾ أي: ناصركم، وسيدكم، وحافظكم. ﴿نعم المولى﴾ أي: نعم السيد والحافظ ﴿ونعم النصير﴾ هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته، ولا يخذل من هو ناصره[(١)].

س٢٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١]؟!

الجواب/ قال العبد الصّالح عليه السلام: «الخُمُس من خمسة أشياء: من الغنائم، والغوص، ومن الكنوز، ومن المعادن، والملاّحة[(٢)]، يؤخذ من كل هذه الصنوف الخمس، فيجعل لمن جعله الله تعالى له، ويقسم الأربعة أخماس بين من قاتل عليه وولي ذلك، ويقسم بينهم الخمس على ستة أسهم: سهم لله، وسهمٌ لرسوله، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السّبيل.

فسهم الله وسهم رسوله لأولي الأمر من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وراثةً، فله ثلاثة أسهُم: سهمان وراثة، وسهمٌ مقسوم له من الله، وله نصف الخمس كملا، ونصف الخمس الباقي بين أهل بيته، فسهمٌ ليتاماهم، وسهم لمساكينهم، وسهمٌ لأبناء سبيلهم، يقسم بينهم على الكتاب والسنّة، ما

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٦٧.

(٢) الملاّحة: منبت الملح. «الصحاح ـ ملح ـ ١: ٤٠٨».

يستغنون به في سنتهم، فإن فضل منهم شيء فهو للوالي، وإن عجز أو نقص عن استغنائهم كان على الوالي أن ينفق من عنده بقدر ما يستغنون به، وإنما صار عليه أن يمونهم لأن له ما فضل عنهم.

وإنما جعل الله هذا الخمس خاصة لهم دون مساكين النّاس وأبناء سبيلهم، عوضاً لهم عن صدقات الناس، تنزيهاً من الله لهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، وكرامة من الله لهم عن أوساخ الناس، فجعل لهم خاصة من عنده، وما يغنيهم به من أن يصيّرهم في موضع الذُلّ والمسكنة، ولا بأس بصدقة بعضهم على بعض.

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ ﷺ، الذين ذكرهم الله فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم، الذكر منهم والأنثى، ليس فيهم من أهل بيوتات قريش، ولا من العرب أحد، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم، وقد تحلّ صدقات الناس لمواليهم، وهم الناس سواء، ومن كانت أمّه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش فإنّ الصدقات تحل له، وليس له من الخمس شيء، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾[2]»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: فنحن والله الذين عنى الله بذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فينا خاصّة، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، وأكرم الله نبيّه ﷺ وأكرمنا أن يعطينا أوساخ الناس، والحمد لله ربّ العالمين»[4].

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الأحزاب: ٥.

(٣) الكافي: ج١، ص٤٥٣، ح٤.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ص١٢٦.

❁ س٢٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

[الأنفال: ٤٢ ـ ٤٣]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾ يعني قريشاً حيث نزلوا بالعدوة اليمانيّة، ورسول الله صلى الله عليه وآله حيث نزل بالعدوة الشّاميّة. ﴿والركب أسفل منكم﴾ وهي العير التي أفلتت[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿والركب أسفل منكم﴾.

قال: «أبو سفيان وأصحابه»[٢].

وقال علي بن إبراهيم: ﴿ولو تواعدتم﴾ الحرب لما وفيتم، ولكن الله جمعكم من غير ميعادٍ كان بينكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾ قال: يَعلم من بقي أن الله نصره.

قال: قوله: ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾ المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله والمعنى لأصحابه، أراهم الله قريشاً في نومهم قليلاً ولو أراهم كثيراً لفزعوا[٣].

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٢٧٨.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٦٥، ح٦٩.

(٣) تفسير القمّي: ج١، ص٢٧٨.

س٢٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام لزرارة: «كان إبليس يوم بدرٍ يُقلّل المسلمين في أعين الكفّار، ويكثّر الكر في أعين المسلمين، فشدَّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسّيف فهرب منه، وهو يقول يا جبرئيل، إنّي مؤجّل، حتى وقع في البحر».

قال زُرارة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: لأيّ شيءٍ كان يخاف وهو مؤجّل؟ قال: «يقطع بعض أطرافه»[1].

س٣٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ أي: جماعة كافرة ﴿فاثبتوا﴾ لقتالهم، ولا تنهزموا، وإنما أطلق الفئة، لأن من المعلوم أن المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة أو الباغية، فحذف للإيجاز ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ مستعينين به على قتالهم، ومتوقعين النصر من قبله عليهم.

وقيل معناه: واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا، والثواب في الآخرة، ليدعوكم ذلك إلى الثبات في القتال ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي: لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم، وبالثواب عند الله

---

(١) الكافي: ج٨، ص٢٧٧، ح٤١٩.

يوم القيامة. ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيما يأمرانكم ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ أي: لا تتنازعوا في لقاء العدو، ولا تختلفوا فيما بينكم، فتجبنوا عن عدوكم، وتضعفوا عن قتالهم ﴿وتذهب ريحكم﴾ معناه: تذهب صولتكم وقوتكم.

وقيل: نصرتكم، وقيل: دولتكم. والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر، وجريانه على المراد، تقول العرب: هبت ريح فلان: إذا جرى أمره على ما يريد. وركدت ريحه: إذا أدبر أمره. وقيل: إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: ﴿نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور﴾.

﴿واصبروا﴾ على قتال الأعداء ﴿إن الله مع الصابرين﴾ بالنصر والمعونة[1].

س٣١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧]؟!

الجواب/ تقدّم تفسيرها في حديث القصّة[2].

س٣٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨]؟!

الجواب/ قال أبو المُقدَم ثعلبة بن زيد الأنصاريّ، سمعت جابر بن عبد

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٧٦.

(٢) تقدم في الحديث من تفسير الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

الله بن حرام الأنصاري (رحمه الله) يقول: تمثّل إبليس (لعنه الله) في أربع صور: تمثّل يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، فقال لقريش: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم﴾. وتصوّر يوم العقبة في صورة منبّه بن الحجّاج، فنادى أن محمداً والصُباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: «لا تخافوا فإن صوته لن يعدوه». وتصوّر يوم اجتماع قريش في دار النَدوة في صورة شيخ من أهل جد، وأشار عليهم في أمرهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[١]. وتصوّر يوم قبض رسول الله ﷺ في صورة المغيرة بن شعبة، فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كسروانيّة ولا قيصرانيّة، وسّعوها تتّسع، فلا تردّوا إلى بني هاشم فتنتظر بها الحُبالى[٢].

وقال الطّبرسي: قيل: إنهم لما التقوا، كان إبليس في صفّ المشركين، آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث بن هشام: يا سراقة، إلى أين، أتخذلنا على هذه الحالة؟ فقال له: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾. فقال: والله، ما نَرى إلاّ جعاسيس[٣] يثرب، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس، فلمّا قدموا مكة، قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله، ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فقالوا: إنك أتيتنا يوم كذا، فحلف لهم، فلمّا أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان. قال: روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام[٤].

---

(١) الأنفال ٨: ٣٠.

(٢) الأمالي ١: ١٨٠.

(٣) الجعاسيس: جمع جُعسوس، اللئيم في الخِلقة والخُلق. «لسان العرب ـ جعس ـ ٦: ٣٩».

(٤) مجمع البيان: ج٤، ص٨٤٤.

وروى ذلك أيضاً ابن شهر آشوب، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام إلاّ أنّ في روايته: «فقال له الحارث: يا سراقة بن جعشم، أتخذلنا على هذه الحالة؟»[١] وقد مضى أيضاً في حديث القصّة[٢].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «لمّا عطش القوم يوم بدرٍ انطلق عليّ عليه السلام بالقربة يستسقي، وهو على القليب، إذ جاءت ريح شديدة ثم مضت، فلبث ما بدا له، ثمّ جاءت ريحٌ أخرى ثم مضت، ثم جاءته أخرى كادت أن تشغله وهو على القليب، ثم جلس حتى مضت. فلمّا رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله. أمّا الرّيح الأولى فيها جبرئيل مع ألفٍ من الملائكة، والثانية فيها ميكائيل مع ألفٍ من الملائكة، والثالثة فيها إسرافيل مع ألفٍ من الملائكة، وقد سلّموا عليك، وهم مددٌ لنا، وهم الذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه، يمشي القهقرى حين يقول: ﴿إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾»[٣].

❁ س٣٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩]؟!

الجواب/ تقدّم معنى الآية في حديث القصة[٤].

❁ س٣٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ

---

(١) المناقب: ج١، ص١٨٨.

(٢) تقدم في الحديث (٢) من تفسير الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٦٥، ح٧٠.

(٤) تقدم في الحديث من تفسير الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا أراد قبض روح الكافر قال: يا ملك الموت، انطلق أنت وأعوانك إلى عدوّي، فإني قد ابتليته فأحسنتُ البلاء، ودعوتُه إلى دار السلام فأبى إلاّ أن يشتمني، وكفر بي وبنعمتي وشتمني على عرشي، فاقبض روحه حتى تُكبّه في النّار ـ قال ـ فيجيئه ملك الموت بوجهٍ كريهٍ كالحٍ، عيناه كالبرق الخاطف، وصوته كالرّعد القاصف، لونُه كقطع الليل المُظلم، نفسه كلهب النّار، رأسه في السّماء الدنيا، ورجلٌ في المشرق ورجلٌ في المغرب، وقدماه في الهواء، معه سفود[١] كثير الشُّعب، معه خمس مائة ملك أعواناً، معهُم سياطٌ من قلب جهنّم، لينُها لين السّياط، وهي من لهب جهنّم، ومعهم مسحٌ[٢] أسود وجمرةٌ من جمر جهنّم، ثمّ يدخل عليه ملك من خُزّان جهنّم يقال له: سحفاطيل فيسقيه شربة من النار، لا يزال منها عطشاناً، حتى يدخُل النّار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصرُه وطار عقلُه، قال: يا ملك الموت، أرجعون». قال: «فيقول ملك الموت: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[٣].

قال: «فيقول: يا ملك الموت، فإلى من أدعُ مالي وأهلي ووُلدي وعشيرتي وما كنتُ فيه من الدُنيا؟ فيقول: دعهُم لغيرك واخرُج إلى النار».

قال: «فيضربه بالسَّفود ضربةً فلا يُبقي منه شُعبةً إلاّ أثبتها في كلّ عرقٍ ومفصل، ثمّ يجذبُه جذبةً فيسُلّ روحه من قدميه نشطاً[٤]، فإذا بلغت الرُّكبتين أمر أعوانه فأكبُّوا عليه بالسّياط ضرباً، ثمّ يرفعه عنه، فيُذيقه سكراته وغمراته

---

(١) السفّود: حديدةٌ ذات شعبٍ معقفة، يُشوى به اللحم.

(٢) المسحُ: هو كساءٌ من الشَّعر.

(٣) المؤمنون: ١٠٠.

(٤) أي ينتزعها بسرعة واختلاس.

قبل خُروجها كأنّما ضُرِبَ بألفِ سيف، فلو كان له قُوّة الجنّ والإنس لاشتكى كلُّ عرقٍ منه على حياله بمنزلة سفُود كثير الشُّعب ألقي على صوفٍ مبتلّ، ثمّ يطوّقه، فلم يأتِ على شيء إلا انتزعهُ، كذلك خروج نفس الكافر من عرقٍ وعُضوٍ ومفصلٍ وشعرةٍ، فإذا بلغت الحُلقوم ضربت الملائكةُ وجهه ودُبُره، وقيل: ﴿اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[1] فيقولون: حراماً عليكم الجنّة مُحرّماً».

وقال: «تخرج روحُه فيضعُها ملك الموت بين مطرقة وسندان فيفضخ أطراف أنامله، وآخر ما يُشدخ منه العينان، فيسطع لها ريحٌ مُنتنٌ يتأذّى منه أهلُ السّماء كلُّهم أجمعون، فيقولون، لعنة الله عليها من رُوحٍ كافرةٍ مُنتنةٍ خرجت من الدنيا. فيلعنه الله، ويلعنه اللاعنون. فإذا أُتي بروحِه إلى السّماء الدُنيا أُغلقت عنه أبواب السُّماء، وذلك قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2] يقول الله: رُدّوها عليه فمنها خلقتُهم وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرِجُهم تارةً أُخرى»[3].

وقال عليه السلام - في حديث مرفوع - في قوله تعالى: ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾: «إنّما أراد وأستاههُم، إنّ الله كريمٌ يُكنّي»[4].

❁ س٣٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ [الأنفال: ٥١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ﴿ذلك﴾ أي: ذلك العقاب لكم ﴿بما قدمت أيديكم﴾ أي: بما قدمتم وفعلتم. وإنما أضاف إلى اليد على التغليب

---

(١) الفرقان: ٢٢.
(٢) الأعراف: ٤٠.
(٣) الاختصاص: ٣٥٩.
(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٦٥، ح٧١.

لأن أكثر الأفعال تكون باليد، والمراد بذلك: بجنايتكم الكفر والمعاصي ﴿وإن الله ليس بظلام للعبيد﴾ أي: لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث إنه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم[١].

أقول: وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في أنه يخلق الكفر، ثم يعذب عليه، وأنه يجوز أن يعذب من غير ذنب، وأن يأخذ بذنب غيره، لأن هذا غاية الظلم، وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه، بقوله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾.

❁ س٣٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال: ٥٢ ـ ٥٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم، فقال: ﴿كدأب آل فرعون﴾ أي: عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمّد ﷺ، كعادة آل فرعون ﴿والذين من قبلهم﴾ في الكفر بالرسل وما أنزل إليهم. وقيل: معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لآل فرعون، وآل فرعون: أتباعه: والفرق بين آل فرعون، وأصحاب فرعون أن الأصحاب مأخوذ من الصحبة، وكثر في الموافقة في المذهب، كما يقال أصحاب الشافعي، وأبي حنيفة، يراد به: الموافقة في المذهب، ولا يقال آل الشافعي، إلا لمن يرجعون إليه بالنسب الأوكد الأقرب. ﴿كفروا بآيات الله﴾

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٧٩.

كما كفر هؤلاء ﴿فأخذهم الله﴾ أي: فعاقبهم الله ﴿بذنوبهم إن الله قوي﴾ أي: قادر لا يقدر أحد على منعه عن إحلال العقاب بما يريد ﴿شديد العقاب﴾ لمن استحقه. ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد، لأن الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه، وإنما وصف العقاب بالشدة دون نفسه، وشبه حال المشركين في تكذيبهم آيات الله بحال آل فرعون. لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك، كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب لهم ﴿بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ معناه: بأن الله لم يكن يزيل نعمة أنعمها على قوم، حتى يتغيروا هم عن أحوالهم المرضية إلى أحوال لا يجوز لهم أن يتغيروا إليها، وهو أن يستبدلوا المعصية بالطاعة، وكفران النعمة بشكرها، وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة، لا على وجه العقاب، امتحاناً لمصلحة يعلمها في ذلك، ولكن لا يسلبها بفعل النقمة على وجه العقاب، إلا عمن استحق العقاب.

قال السدي: النعمة التي أنعمها الله عليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنعم الله به على قريش، فكفروا به، وكذبوه، فنقله إلى الأنصار ﴿وأن الله سميع﴾ لأقوالهم ﴿عليم﴾ بضمائرهم وبكل شيء ﴿كدأب فرعون والذين من قبلهم﴾ أي: كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء ﴿كذبوا بآيات ربهم﴾ أي: بحججه وبيناته ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي: استأصلناهم ﴿وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ أي: كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم، فلم نعاقب فريقاً منهم إلا عن استحقاق، وإنما كرر قوله ﴿كدأب آل فرعون﴾ لأنه أراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة، وفي الثاني: بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا، وقيل: إن في الأول تشبيه حالهم بحال أولئك في التكذيب. وفي الثاني: تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال. وقيل: إن الأول في أخذهم بالعذاب. والثاني: في كيفية العذاب.

وقيل: إن آل فرعون كانوا على أحوال مختلفة في المعصية، فبين مشاركة هؤلاء إياهم في تلك الأحوال[١].

س٣٧: بمن نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال: ٥٥]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «نزلت في بني أمية، فهم شر خلق الله، هم الذين كفروا في باطن القرآن، فهم لا يؤمنون»[٢].

س٣٨: من هم الذين جاء ذكرهم في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: ٥٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: هم أصحابه الذين فرّوا يوم أُحد[٣].

س٣٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال: ٥٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود، فقال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ معناه: فإما تصادفنهم في الحرب أي: إن ظفرت بهم وأدركتهم ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: فنكل بهم تنكيلاً، وأثر فيهم تأثيراً، يشرد بهم من بعدهم، ويطردهم، ويمنعهم من نقض العهد، بأن ينظروا فيهم، فيعتبروا بهم، فلا ينقضوا العهد، ويتفرقوا في

---

(١) مجمع البيان: ج٤، الطبرسي، ص٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٧٩.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٢٧٩.

البلاد، مخافة أن تعاملهم بمثل ما عاملتهم به، وأن يحل بهم ما حل بهم. . .

وقيل، معناه: افعل بهم فعلاً من القتل تفرق بهم من خلفهم.

وقيل: إن معنى ﴿شرد بهم﴾: سمع بهم بلغة قريش، قال الشاعر:

أطـوف فـي الـنـواطـح كـل يـوم
مخـافـة أن يـشـرد بي حـكـيـم[1]

﴿لعلهم يذكرون﴾ أي: لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك[2].

❁ س٤٠: بمن نزل قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨]، وما هو تفسيره؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: نزلت في معاوية لما خان أمير المؤمنين عليه السلام[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثٌ من كنَّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف. إن الله عزّ وجلّ قال في كتابه: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾، وقال: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[4]، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[5].

---

(١) وفي اللسان الأباطح بدل النواطح. وحكيم رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٢) مجمع البيان: ج٤، الطبرسي، ص٤٨٤.

(٣) تفسير القمي: ج١، ص٢٧٩.

(٤) النور: ٢٤: ٧.

(٥) الكافي: ج٢، ص٢٢١، ح٨، الآية من سورة مريم ١٩: ٥٤.

س٤١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال: ٥٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: لما تقدم الأمر بقتال الكفار، عقبه سبحانه بوعد النصر، والأمر بالإعداد لقتالهم، فقال: ﴿ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا﴾ معناه: لا تحسبن يا محمد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله، وأعجزوه، وأنهم قد فاتوك، فإن الله سبحانه يظفرك بهم، كما وعدك، ويظهرك عليهم. والسبق والفوت بمعنى واحد.

وقيل معناه: لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب أنه قد يسبق إلى الحياة... والخطاب للرسولﷺ والمراد به غيره.

وقيل: إنه إنما قاله تطييباً لقلبه في الهاربين، كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين. وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون أنفسهم سابقين، لا يحسبن الكافرون أنهم سابقون. ﴿إنهم لا يعجزون﴾ أي: لا يعجزون الله، ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة. وقيل معناه: لا يعجزونك(١).

س٤٢: ما هو معنى (القوة) في قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: السلاح(٢).

---

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٨٧، الطبرسي.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٧٩.

وقال رسول الله ﷺ: «الرّمي»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «دخل قومٌ على الحسين بن علي (صلوات الله عليه) فرأوه مختضباً بالسّواد، فسألوه عن ذلك، فمدّ يده إلى لحيته، ثمّ قال: أمر رسول الله ﷺ في غزاةٍ غزاها أن يختضبوا بالسّواد ليقووا به على المشركين»[٢].

❁ س٤٣: ما هو (السلم) في قوله تعالى:

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

[الأنفال: ٦١]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله، في قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ قلت: ما السلم؟ قال: «الدخول في أمرِنا»[٣].

❁ س٤٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

[الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣]؟!

الجواب/ قال رسول الله ﷺ: «مكتوبٌ على العرش: أنا الله لا إله إلاّ أنا، وحدي لا شريك لي، ومحمّد عبدي ورسولي، أيدته بعليّ، فأنزل عزّ وجلّ: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ فكان النّصر عليّاً، ودخل مع

---

(١) الكافي: ج٥، ص٤٩، ح١٢.

(٢) الكافي: ج٦، ص٤٨١، ح٤.

(٣) الكافي: ج٥، ص٣٤٣، ح١٦. وقد تقدم تفسيرها في الآيات (٢ ـ ٦) من هذه السورة.

المؤمنين، فدخل في الوجهين جميعاً»[١].

وقال أبو جعفرعليه السلام : «إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من قريش، فقال الله: ﴿ فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ فهم الأنصار، كان بين الأوس والخزرج حرب شديدة وعداوة في الجاهلية، فألف الله بين قلوبهم، ونصر بهم نبيهﷺ ، فالذين ألّف بين قلوبهم هم الأنصار خاصة»[٢].

س٤٥: بمن نزل، قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤]؟!

الجواب/ قال شرف الدين النجفي: تأويله ذكره أبو نعيم في (حلية الأولياء) بطريقه إلى أبي هريرة، قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالبعليه السلام ، وهو المعنيّ بقوله: ﴿ المؤمنين﴾ [٣].

س٤٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن

---

(١) الأمالي: ص١٧٩، ح٣، شواهد التنزيل: ج١، ص٢٢٣، ح٢٩٩، كفاية الطالب: ص٢٣٤، ترجمة الإمام عليعليه السلام من تاريخ ابن عساكر ج٢، ص٤١٩، ح٩٢٦، الدر المنثور ج٤، ص١٠٠، وتأويل الآيات ج١، ص١٩٥، ح٩، عن حلية الأولياء، ولم نجده في الحلية، وروضة الواعظين: ص٤٢.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٧٩.

(٣) تأويل الآيات ج١، ص١٩٦، ح١١، شواهد التنزيل ج١، ص٢٣٠، ح٣٠٥ و٣٠٦، النور المشتعل: ج٩٢، ص١٨، ١٩.

مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٥ ـ ٦٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قال: كان الحكم في أوّل النبوّة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الرجل الواحد وجب عليه أن يقاتل عشرة من الكفّار، فإن هرب منهم فهو الفارُّ من الزَّحف، والمائة يقاتلون ألفاً، ثم علم الله أن فيهم ضعفاً لا يقدرون على ذلك، فأنزل الله: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾، ففرض الله عليهم أن يقاتل رجل من المؤمنين رجلين من الكفار، فإن فرَّ منهما فهو الفارُّ من الزَّحف، فإن كانوا ثلاثة من الكفار وواحداً من المسلمين، ففرَّ المسلم منهم، فليس هو الفارُّ من الزَّحف[1]. وهو نفس المضمون ذكر عن أبي عبد الله عليه السلام[2].

وقال جدّ عمرو بن أبي المقدام: ما أتى عليّ يومٌ قطّ أعظم من يومين أتيا عليّ، فأمّا اليوم الأول فيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأما اليوم الثاني فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة، عن يمين أبي بكر، والناس يبايعونه، إذ قال له عمر: يا هذا، ليس في يديك شيء ما لم يبايعك عليّ، فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك، فإنما هؤلاء رعا. فبعث إليه قنفذاً فقال له: اذهب فقل لعليّ: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. فذهب قنفذ، فما لبث أن رجع فقال لأبي بكر: قال لك: «ما خلّف رسول الله أحداً غيري».

قال: ارجع إليه فقل: أجب، فإنّ الناس قد أجمعوا علي بيعتهم إياه، وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه، وقريش، وإنما أنت رجل من المسلمين، لك ما لهم وعليك ما عليهم. فذهب إليه قنفذ، فما لبث أن

---

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٧٩. (٢) التهذيب: ج٦، ص١٧٤، ح٣٤٢.

رجع، فقال: قال لك: «إن رسول الله ﷺ قال لي وأوصاني أن إذا واريته في حفرته لا أخرج من بيتي حتى أؤلّف كتاب الله، فإنه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل». قال: قال عمر: قوموا بنا إليه.

فقام أبو بكر وعمر وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة ابن الجرّاح، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم، فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة (صلوات الله عليها) أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشك أن لا يدخل عليها إلاّ بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليّاً عليه السلام مُلبباً[١]. فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: «يا أبا بكر، أتريد أن ترمّلني من زوجي، والله لئن لم تكفَّ عنه لأنشرنَّ شعري، ولأشقنَّ جيبي ولآتينَّ قبر أبي ولأصيحنَّ إلى ربي» فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام وخرجت تريد قبر النبيّ ﷺ، فقال عليّ عليه السلام لسلمان: «أدرك ابنة محمد، فإني أرى جنبي المدينة يكفيان، والله إن نشرت شعرها، وشقّت جيبها، وأتت قبر أبيها، وصاحت إلى ربها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها».

فأدركها سلمان فقال: يا بنت محمد، إن الله إنّما بعث أباك رحمةً، فارجعي. فقالت: «يا سلمان، يريدون قتل عليّ، ما على عليّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري، وأشقّ جيبي، وأصيح إلى ربي». فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة، وعليٌّ بعثني إليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي، فقالت: «إذن أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع».

فأخرجوه من منزله ملبّباً، ومرّوا به على قبر النبيّ ﷺ قال: فسمعته

---

(١) لببته: إذا جعلت في عنقه ثوباً أو غيره وجررته به، وأخذت بتلبيب فلان: إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبضت عليه تجره. «النهاية ٤: ٢٢٣».

يقول: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾[١] إلى آخر الآية، وجلس أبو بكر في سقيفة بني ساعدة، وقدم عليٌّ عليه السلام فقال له عمر: بايع. فقال له عليٌّ عليه السلام: «فإن أنا لم أفعل، فمه؟» فقال له عمر: إذن أضرب، والله، عنقك. فقال له عليّ: «إذن، والله، أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله صلى الله عليه وآله». فقال عمر: أمّا عبد الله المقتول فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، حتى قالها ثلاثاً.

فبلغ ذلك العبّاس بن عبد المطلب، فأقبل مسرعاً يهرول، فسمعته يقول: أرفقوا بابن أخي، ولكم عليّ أن يبايعكم. فأقبل العبّاس وأخذ بيد عليّ عليه السلام فمسحها على يد أبي بكر، ثم خلّوه مغضباً، فسمعته يقول: «اللهمّ، إنك تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال لي: إن تمّوا عشرين فجاهدهم، وهو قولك في كتابك: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾» قال: وسمعته يقول: «اللهمّ، وإنّهم لم يتمّوا عشرين». حتى قالها ثلاثاً، ثم انصرف[٢].

❁ س٤٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ما كان لنبي أن يحبس كافراً للفداء والمن حتى يثخن في الأرض، والأثخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل. وقيل: الأثخان القتل. والثخن والغلظ والكثافة نظائر.

وقوله ﴿يريدون عرض الدنيا﴾ يعني تريدون الفداء والعرض متاع الدنيا

---

(١) الأعراف ٧: ١٥٠.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٦٦، ح٧٦.

وسماه عرضاً لقلة لبثه لأنه بمعنى العرض في اللغة.

وقوله ﴿والله يريد الآخرة﴾ معناه والله يريد عمل الآخرة من الطاعات التي تؤدي إلى الثواب وإرادة الله لنا خير من إرادتنا لأنفسنا.

وقوله: ﴿والله عزيز حكيم﴾ معناه يريد عمل الآخرة، فإنه يعزكم ويرشدكم إلى إصلاحكم، لأنه عزيز حكيم، فلا تخافوا قهراً مع إعزازه إياكم...[(١)].

❁ س٤٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨]؟!

الجواب/ قيل في معناها قولان:

١ ـ لولا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أنه لا يعذبهم على ذلك. وقيل: لولا ما كتب الله فيه أنه يغفر لأهل بدر ما تقدم وما تأخر.

٢ ـ يعني ما ذكره من قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(٢)]. فكأنه قال: لا أعذب إلا بعد المظاهرة في البيان وتكرير الحجة به...[(٣)].

❁ س٤٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

[الأنفال: ٦٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: أباح الله تعالى للمؤمنين بهذه الآية أن يأكلوا مما غنموه من أموال المشركين بالقهر من دار الحرب. ولفظه وإن كان

---

(١) التبيان: ج٥، الطوسي، ص١٥٥.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) التبيان: ج٥، ص١٥٧.

لفظ الأمر. فالمراد به الإباحة ورفع الحظر. والغنيمة ما أخذ من دار الحرب بالقهر. والفيء ما رجع إلى المسلمين، وانتقل إليهم من المشركين. والأكل تناول الطعام بالفم مع المضغ والبلع، فمتى فعل الصائم هذا فقد أكل في الحقيقة. والفرق بين الحلال والمباح أن الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ، وشبه الحلال به فسمي طيباً. واللذة نيل المشتهى. وقيل: الفاء في قوله ﴿فكلوا﴾ على تقدير قد أحللت لكم الغداء فكلوه.

وقوله ﴿واتقوا الله﴾ معناه اتقوا معاصيه فإن الله غفور رحيم لمن أطاعه وترك معاصيه[١].

❁ س٥٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠)﴾ [الأنفال: ٧٠]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام في هذه الآية: «نزلت في العباس وعقيل ونوفل».

وقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدرٍ أن يقتل أحدٌ من بني هاشم وأبو البختري[٢]، فأُسروا، فأرسل علياً عليه السلام فقال: انظر من ها هنا من بني هاشم؟ - قال: - فمرَّ علي عليه السلام على عقيل بن أبي طالب فحاد عنه، فقال له عقيل: يا بنَ أمّ علي[٣]، أما والله لقد رأيت مكاني - قال: - فرجع إلى

---

(١) نفس المصدر: ص١٥٩.

(٢) أبو البختري: هو العاص بن هشام، قيل: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتله لأنّه لبس السلاح بمكة يوماً ومنع القوم من إيذائه صلى الله عليه وآله وكان ممّن اهتمّ في نقض صحيفة المقاطعة المعروفة. راجع المغازي للواقدي ١: ٨٠، الكامل في التاريخ ٢: ١٢٨.

(٣) أي أقبل عليّ.

رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان.

فقام رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى عقيل، فقال له: يا أبا يزيد، قتل أبو جهل. فقال: إذن لا تنازعون في تهامة، فقال: إن كنتم أثخنتم القوم، وإلاّ فاركبوا أكتافهم».

قال: «فجيء بالعباس، فقيل له: أفد نفسك، وافد ابن أخيك. فقال: يا محمد، تتركني أسأل قريشاً في كفّي؟ فقال: أعطِ مما خلّفته عند أمّ الفضل، وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيءٌ فأنفقيه على نفسك وولدك. فقال له: يا بن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني [به] جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ ذكره. فقال: ومحلوفه[1] ما علم بهذا أحدٌ إلا أنا وهي، أشهد أنك رسول الله».

قال: «فرجع الأُسارى كلهم مشركين إلا العبّاس وعقيل ونوفل كرم الله وجوههم، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا﴾ إلى آخر الآية»[2].

❁ س٥١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [الأنفال: ٧١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: معنى الآية أن هؤلاء الأسارى إن علم الله

(١) قال المجلسي في (مرآة العقول ٢٦: ١١٥) قوله: «ومحلوفه» الظاهر أنه حلف باللات والعُزى، فكَرِه ﷺ التكلّم به فعبّر عنه بمحلوفه، أي بالذي حلف به، وفي الكشّاف أنه حلف بالله. وفي «لسان العرب ـ حلف ـ ٩: ٥٣» ويقولون: محلوفة بالله ما قال ذلك، ينصبون على إضمار يحلف بالله محلوفة أي قسماً، والمحلوفة هو القسم.

(٢) الكافي: ج٨، ص٢٠٢، ح٢٤٤.

في قلوبهم خيراً أخلف عليهم خيراً مما أخذ منهم. وإن عزموا على الخيانة، ونقض العهد وفعلوا خلاف ما وقع عليه العقد من تأدية فرض الله، فقد خانوا الله من قبل هذا. والمعنى فقد خانوا أولياء الله، لأن الله لا يمكن أن يخان، لأنه عالم بالأشياء كلها لا يخفى عليه خافية. والخيانة ها هنا نقض الطاعة لله ورسوله التي شهدت بها الدلالة.

وقوله: ﴿فأمكن منهم﴾ المعنى لما خانوا بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين، فقد أمكن الله منهم بأن غلبوا وأسروا. فإن خانوا ثانياً فيمكن الله منهم مثل ذلك. والإمكان هو القدرة على الشيء مع ارتفاع المانع، وما لو حرص عليه صاحبه أتم الحرص لم يصح أن يقع منه لا يكون إمكاناً، فالإمكان ينافي المنع والإلجاء كما ينافي العجز القدرة.

وقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾: معناه عالم بما تقولونه وما في نفوسكم وبجميع الأشياء ﴿حكيم﴾ فيما يفعله. والحكيم هو العالم بوجوه الحكمة في الفعل مما يصرف عن خلافها والأصل في الحكمة المنع فهي تمنع الفعل من الخلل والفساد(١).

❁ س٥٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال: ٧٢]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: الحُكم في أوّل النبوّة أن المواريث كانت على الأخوة لا على الولادة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة آخى بين

---

(١) التبيان: الشيخ الطوسي، ج٥، ص١٦٠ ـ ١٦١.

المهاجرين والأنصار، فكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدّين، ويأخذ المال، وكانا ما ترك له دون ورثته. فلما كان بعد ذلك أنزل الله ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾[1] فنسخت آية الأخوة بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[2]. ونفس مضمون الحديث رواه الباقر عليه السلام[3].

وقال زُرارة، وحُمران، ومحمد بن مسلم سألنا أبا جعفر، وأبا عبد الله عليهما السلام، سألناهما عن قوله: ﴿والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾، قال: «بأنّ أهل مكة لا يرثون أهل المدينة»[4].

وقال علي بن إبراهيم: إنها نزلت في الأعراب، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله صالحهم على أن يدعهم في ديارهم ولم يهاجروا إلى المدينة، وعلى أنه إن أرادهم رسول الله صلى الله عليه وآله غزا بهم، وليس لهم من الغنيمة شيء، وأوجبوا على النبيّ صلى الله عليه وآله أنه إذا دهاهم من الأعراب من غيرهم، أو دهاهم داهمٌ من عدوّهم أن ينصرهم، إلا على قومٍ بينهم وبين الرسول عهدٌ وميثاق إلى مدّة[5].

❁ س٥٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟

---

(١) الأحزاب: ٦:٣٣.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٨٠.

(٣) مجمع البيان: ج٤، ص٨٦٢.

(٤) تفسير العياشي: ج٢، ص٧٠، ح٨١.

(٥) تفسير القمي: ج١، ص٢٨٠.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٣ ـ ٧٥]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ يعني يوالي بعضهم بعضاً. ثمّ قال: ﴿إلا تفعلوه﴾ يعني إن لم تفعلوه، فوضع حرفٌ مكان حرف ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ ثمّ قال: ﴿والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ قال: نسخت قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الخال والخالة يرثان إذا لم يكن معهما غيرهما، إن الله يقول: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾، إذا التفّت القرابات فالسابق أحق بالميراث من قرابته»[2].

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٨٠، والآية من سورة النساء: ج٤، ص٣٣.
(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٧١، ح٨٣ .

تفسير
سورة التوبة

رقم السورة ـ ٩ ـ

سورة التوبة

❁ س١: ما هو فضل سورة التوبة؟!

الجواب/ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ هذه السورة بعثه الله يوم القيامة بريئاً من النفاق. ومن كتبها وجعلها في عمامته، أو قلنسُوته، أمن اللّصوص في كلِّ مكانٍ، وإذا هُم رأوْهُ انحرفُوا عنه، ولو احترقت محلتُه بأسرها لم تصل النارُ إلى منزل، ولم تقربهُ أبداً ما دامت عنده مكتوبة»[١].

❁ س٢: ما هو السبب الذي جعل سورة التوبة لم تبدأ بالبسملة؟!

الجواب/ قال عليّ عليه السلام: «لم تنزل بسم الله الرحمٰن الرحيم على رأس سُورة براءة لأن بسم الله للأمان والرَّحمة، نزلت براءة لرفع الأمان بالسَّيف»[٢].

❁ س٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١ - ٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «نزلت هذه الآية بعدما رجع رسول

---

(١) خواص القرآن: ٢ «قطعة منه».

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص٤.

الله ﷺ من غزوة تبوك، في سنة تسع من الهجرة ـ قال ـ: وكان رسول الله ﷺ لمّا فتح مكّة لم يمنع المشركين الحجّ في تلك السّنة، وكانت سُنّة العرب في الحجّ أنّه من دخل مكّة وطاف بالبيت في ثيابه لم يَحلّ له إمساكها، وكانوا يتصدّقون بها، ولا يلبسونها بعد الطّواف، فكان من وافى مكّة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يردّه، ومن لم يجد عاريةً اكترى ثياباً، ومن لم يجد عارية ولا كِراءً، ولم يكن له إلا ثوبٌ واحدٌ طاف بالبيت عرياناً.

فجاءت امرأةٌ من العرب وسيمة جميلة، فطلبت ثوباً عارية أو كراءً فلم تجده، فقالوا لها: إن طفت في ثيابك احتجت أن تتصدّقي بها. فقالت: وكيف أتصدّق بها وليس لي غيرها؟! فطافت بالبيت عريانة، وأشرف عليها الناس، فوضعت إحدى يديها على قُبُلها والأخرى على دُبُرها، وقالت شعراً:

اليوم يبدو بعضه أو كلُّه
فما بدا منه فلا أحلّه

فلما فرغت من الطّواف خطبها جماعة، فقالت: إنّ لي زوجاً.

وكانت سيرة رسول الله ﷺ قبل نزول سورة براءة أن لا يقاتل إلاّ من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وقد كان أُنزل عليه في ذلك ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[1]. فكان رسول الله ﷺ لا يقاتل أحداً قد تنحّى عنه واعتزله، حتى نزلت عليه سورة براءة، وأمره الله بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله، إلاّ الذين قد عاهدهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة إلى مدةٍ، منهم: صفوان بن أميّة، وسهيل بن عمرو، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من

(١) النساء: ٩٠.

المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، ثم يقتلون حيثما وجدوا، فهذه أشهر السياحة: عشرون من ذي الحجّة الحرام، ومحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشرة من شهر ربيع الآخرة.

ولمّا نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول اللهﷺ إلى أبي بكر، وأمره أن يخرج إلى مكّة ويقرأها على الناس بمنى يوم النّحر، فلمّا خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول اللهﷺ فقال: يا محمّد، لا يؤدّي عنك إلاّ رجلٌ منك. فبعث رسول اللهﷺ أمير المؤمنينعليه السلام في طلب أبي بكر، فلحقه بالرّوحاء، فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله، أأنزل الله فيّ شيئاً؟ قال: لا، إن الله أمرني أن لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجُلٌ مني»[١].

وقال أبو الحسن الرضاعليه السلام: «قال أمير المؤمنينعليه السلام: إنّ رسول اللهﷺ أمرني أن أُبلّغ عن الله تعالى أن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مُشركٌ بعد هذا العام، وقرأ عليهم ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، فأجّل المشركين الذين حجّوا تلك السنة أربعة أشهر حتى يرجعوا إلى مأمنهم، ثم يقتلون حيث وجدوا»[٢].

وقال أبو عبد اللهعليه السلام: «إنّ رسول اللهﷺ بعث أبا بكرٍ مع براءة إلى الموسم، ليقرأها على الناس، فنزل جبرئيل فقال: لا يُبلّغ عنك إلاّ عليّ. فدعا رسول اللهﷺ عليّاًعليه السلام وأمره أن يركب ناقته العضباء، وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكّة، فقال أبو بكر: أسخط؟ فقال: لا، إلاّ أنّه أُنزل عليه أنه لا يبلّغ عنك إلاّ رجل منك.

---

(١) تفسير القميّ ج١، ص٢٨١. (٢) تفسير القميّ ج١، ص٢٨٢.

فلمّا قدم على مكّة، وكان يوم النّحر بعد الظهر، وهو يوم الحجّ الأكبر، قام ثمّ قال: إنّي [رسول] رسول الله إليكم. فقرأها عليهم ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ عشرين من ذي الحجّة، ومحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشراً من شهر ربيع الآخر. وقال: لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة ولا مشرك بعد هذا العام، ومن كان له عهدٌ عند رسول الله ﷺ فمُدّته إلى هذه الأربعة أشهر»[1].

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام لحكيم بن جُبير: «والله إنّ لعليّ عليه السلام لأسماء في القرآن ما يعرفها الناس». قال: قلت: وأيّ شيء تقول، جعلتُ فداك؟

فقال لي: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ قال: «فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وكان هو والله المُؤذِّن، فأذّن بأذان الله ورسوله يوم الحجّ الأكبر، من المواقف كلّها، فكان ما نادى به أن لا يطوف بعد هذا العام عريان، ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك»[2].

وقال أبو جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾: «خروج القائم عليه السلام وأذانُ دعوته إلى نفسه»[3].

وقال فضيل بن عياض: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجّ الأكبر؟ فقال: «اعندك فيه شيء؟» فقلتُ: نعم، كان ابنُ عبّاس يقول: الحجّ الأكبرُ يوم عرفة، يعني أنّه مَنْ أدرك يوم عرفه إلى طُلوع الشمس من يوم النّحر فقد أدرك الحجّ، ومَنْ فاتهُ ذلك فاتهُ الحجّ، فجعل ليلة عرفة لما قبلها ولما

---

(١) تفسير العيّاشي ج٢، ص٧٣، ح٤.
(٢) تفسير العيّاشي ج٢، ص٧٦، ح١٢.
(٣) تفسير العيّاشي ج٢، ص٧٦، ح١٥.

بعدها، والدليلُ على ذلك أنّهُ مَنْ أدرك ليلة النّحر إلى طُلوع الفجر فقد أدرك الحجّ وأجزأ عنه مِنح عرفة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الحجّ الأكبر يوم النّحر، واحتجّ بقولِ الله عزّ وجلّ: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ فهي عشرون من ذي الحجّة والمُحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من شهر ربيع الآخر. ولو كان الحجّ الأكبرُ يوم عرفة لكان السّيحُ أربعة أشهُرٍ ويوماً، واحتجّ بقوله عزّ وجلّ: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ و[قال]: كنتُ أنا الأذانُ في الناس».

قلتُ: فما معنى هذه اللفظة: الحجّ الأكبر؟ فقال: «إنّما سُمّي الأكبر لأنها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون، ولم يحجّ المشركون بعد تلك السّنة»(١).

❁ س٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [سورة التوبة: ٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ﴿إلا الذين عاهدتهم من المشركين﴾ قال الفراء: استثنى الله تعالى من براءته، وبراءة رسوله، من المشركين قوماً من بني كنانة، وبني ضمرة، كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر، أمر بإتمامها لهم، لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين، ولم ينقضوا عهد رسول الله ﷺ وقال ابن عباس: عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله ﷺ. عهد قبل (براءة)، وينبغي أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة، ولم يتعرض له بعداوة، ولا ظاهر عليه عدواً، لأن النبي ﷺ، صالح أهل هجر،

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٩٦، ح٥.

وأهل البحرين، وإيلة، ودومة الجندل، وله عهود بالصلح والجزية، ولم ينبذ إليهم بنقض عهد، ولا حاربهم بعد، وكانوا أهل ذمة إلى أن مضى لسبيله ﷺ، ووفى لهم بذلك من بعده، ﴿ثم لم ينقصوكم شيئا﴾ معناه: لم ينقصوكم من شروط العهد شيئاً. وقيل: معناه لم يضروكم شيئاً، ﴿ولم يظاهروا عليكم أحدا﴾.

أي لم يعاونوا عليكم أيها المؤمنون أحداً من أعدائكم، ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ أي: إلى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم إليها ﴿إن الله يحب المتقين﴾ لنقض العهود[1].

❁ س٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٥]؟!

الجواب/ قال حفص بن غياث، قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا حفص، إنّ من صبر صبر قليلاً، ومن جزع جزع قليلاً». ثمّ قال: «عليك بالصّبر في جميع أمورك، فإنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً ﷺ فأمره بالصّبرِ والرّفق، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾[2]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3] فصبر رسول الله ﷺ حتى نالوه بالعظائم ورموه بها، فضاق صدره، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٢.
(٢) المزمل: ١٠، ١١.
(٣) فصلت: ٣٤، ٣٥.

ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[١] ثمّ كذّبوه ورموه فحزن لذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[٢].

فألزم النبيّ ﷺ نفسه الصَّبر، فتعدَّوا، فذكروا الله تبارك وتعالى وكذَّبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[٣].

فصبَر النبيّ ﷺ في جميع أحواله، ثم بشّر في عزّته بالأئمّة[٤] ووُصفوا بالصَّبر، فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٥] فعند ذلك قال ﷺ: الصَّبرُ من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عزّ وجلّ ذلك له، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[٦] فقال ﷺ: إنه بشرى وانتقام، فأباح الله عزّ وجلّ له قتال المشركين، فأنزل تعالى: ﴿فاقتلوا المُشركين حيثُ وجدتُموهُم وخُذوهُم واحصُروهُمْ واقعُدُوا لهُم كُلَّ مرْصد﴾، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[٧] فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل له ثواب صبره مع ما ادُّخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يُقرَّ الله له عينه في أعدائه مع ما يدَّخر له في الآخرة»[٨].

وقال أبو عبد الله عليه السلام، قال: «سأل رجُلٌ أبي عليه السلام عن حروب أمير

---

(١) الحجر: ٩٧، ٩٨.

(٢) الأنعام: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة ق: ٣٨، ٣٩.

(٤) في «ط»: ثمّ تصبّر في عترته الأئمّة.

(٥) السجدة: ٢٤.

(٦) الأعراف: ١٣٧.

(٧) البقرة: ١٩١، النساء: ٩١.

(٨) الكافي: ج٢، ص٧١، ح٣.

المؤمنين (صلوات الله عليه)، وكان السائل من محبّينا. فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ـ وذكر الأسياف، فقال فيها: ـ وأما السيوف الثلاثة المشهورة، فسيفٌ على مشركي العرب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا﴾ يعني آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾(١) فهؤلاء لا يُقبل منهم إلاّ القتل أو الدُّخول في الإسلام، وأموالهم وذراريهم سبيٌ ـ على ما سن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فإنه سبى وعفا وقبل الفداء»(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾: «هي يوم النّحر إلى عشر مضين من شهر ربيع الآخر»(٣).

❁ س٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [سورة التوبة: ٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، اقرأ عليه وعرّفه، ثم لا تتعرّض له حتى يرجع إلى مأمنه(٤).

وري أن رجلاً قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: فمن أراد منّا أن يلقى رسول الله في بعض الأمر بعد انقضاء الأربعة، فليس له عهد، قال عليّ عليه السلام: «بلى، إنّ الله تعالى قال: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره﴾ الآية»(٥).

---

(١) التوبة: ١١.

(٢) الكافي: ج٥، ص١٠، ح٢.

(٣) تفسير العيّاشي ج٢، ص٧٧، ح٢٢.

(٤) تفسير القمّي: ج١، ص٢٨٣.

(٥) المناقب: ج٢، ص١٢٧.

❁ س٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٧ ـ ٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: لما أمر سبحانه بنبذ العهد إلى المشركين، بين أن العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر، وأمر بإتمام العهد لمن استقام على الأمر، فقال: ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ أي: كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع إضمارهم الغدر والنكث! وهذا يكون على التعجب، أو على الجحد، ويدل عليه ما روي أن في قراءة عبد الله: ﴿كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة﴾ فأدخل الكلام (لا) لأن معنى الأول جحد أي: لا يكون لهم عهد. وقيل: معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين، ثم استثنى سبحانه، فقال: ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ أي: فإن لهم عهداً عند الله، لأنهم لم يضمروا الغدر بك، والخيانة لك.

واختلف في هؤلاء من هم، فقيل: هم قريش، وقيل: هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية، فلم يستقيموا، ونقضوا العهد بأن أعانوا بني بكر على خزاعة، فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر، يختارون أمرهم: إما أن يسلموا، وإما أن يلحقوا بأي بلاد شاؤوا، فأسلموا قبل الأربعة أشهر. . .

وقيل: هم من قبائل بكر: بنو خزيمة، وبنو مدلج، وبنو ضمرة، وبنو الدئل، وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي

كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته. وهذا القول أقرب إلى الصواب، لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد، وبعد فتح مكة.

﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ معناه: فما استقاموا لكم على العهد، أي: ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة، فكونوا معهم كذلك. ﴿إن الله يحب المتقين﴾ للنكث والغدر، ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾: ها هنا حذف، وتقديره: كيف يكون لهم عهد، وكيف لا تقتلونهم، وإنما حذفه لأن ما قبله من قوله: ﴿كيف يكون للمشركين عهد﴾ يدل على ذلك، ومثله قول الشاعر يرثي أخاً له قد مات.

وخبرتماني أنما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب[1]

ومعناه: كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله، أو عند رسوله، وهم بحال أن يظهروا عليكم، ويظفروا بكم، ويغلبوكم ﴿لا يرقبوا فيكم إلا وذمة﴾ أي: لا يحفظوا، ولا يراعوا فيكم قرابة، ولا عهداً. والإل: القرابة. وقيل: العهد. وقيل: الجوار. وقيل: الحلف. وقيل: أن الإل اسم الله تعالى، وروى أن أبا بكر قرىء عليه كلام مسيلمة، فقال: لم يخرج هذا من إل، فأين يذهب بكم؟ ومن قال إن الإل هو العهد، قال: جمع بينه وبين الذمة، وإن كان بمعناه، لاختلاف معنى اللفظين، كما قال: ﴿وألفى قولها كذبا ومينا﴾ وقال: ﴿متى أدن منه ينأ عني ويبعد﴾.

﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾ معناه: يتكلمون بكلام الموالين لكم

---

(١) قائله: كعب بن سعد الغنوي. والهضبة: الجبل، الرابية.

لترضوا عنهم، وتأبى قلوبهم إلا العداوة، والغدر، ونقض العهد. ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ أي متمردون في الكفر والشرك. وقال الجبائي: أراد كلهم فاسقون، لكنه وضع الخصوص موضع العموم. وقال القاضي: معناه أكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد، وأراد بذلك رؤساءهم(١).

❁ س٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة التوبة: ٩ ـ ١١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ثمّ بين سبحانه خصال القوم فقال: ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله﴾ ومعناه: أعرضوا عن دين الله، وصدوا الناس عنه بشيء يسير نالوه من الدنيا، وأصل الاشتراء: استبدال ما كان من المتاع بالثمن، ونقيضه البيع، وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن. ومعنى الفاء هنا أن اشتراءهم هذا أداهم إلى الصد عن الإسلام، وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبيﷺ. وقيل: ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل. ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ أي: بئس العمل عملهم. ﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة﴾ سبق معناه. والفائدة في الإعادة أن الأول في صفة الناقضين للعهد، والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً. وقيل: إنما كرر تأكيداً.

﴿وأولئك هم المعتدون﴾ أي: المجاوزون الحد في الكفر والطغيان.

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٨. بتصرف.

﴿فإن تابوا﴾ أي: ندموا على ما كان منهم من الشرك، وعزموا على ترك العود إليه، وقبلوا الإسلام، ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي: قبلوهما وأدوهما عند لزومهما ﴿فإخوانكم في الدين﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، فعاملوهم معاملة إخوانكم من المؤمنين. ﴿ونفصل الآيات﴾ أي: نبينها، ونميزها بخاصة لكل واحدة منها تتميز بها من غيرها، حتى يظهر مدلولها على أتم ما يكون من الظهور فيها ﴿لقوم يعلمون﴾ ذلك، وتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون(١).

❁ س٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢]؟!

الجواب/ قال حنان بن سدير: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «دخل عليّ أناسٌ من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزُّبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إنّ علياً عليه السلام يوم البصرة لمّا صفّ الخيل، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أُعذر فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ وبينهم، فقام إليهم، فقال: يا أهل البصرة، هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبةً في دنيا أخذتُها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمتُ فيكم الحدود، وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تنكث، وبيعة غيري لا تنكث، إنّي ضربت الأمر أنفَهُ وعينه، فلم أجد إلاّ الكفر أو السّيف.

ثم ثنى إلى أصحابه، فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢١. بتصرف.

أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة واصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة، إنهم لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا مذ نزلت»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «مَن طعن في دينكم هذا فقد كفر، قال الله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ إلى قوله: ﴿ينتهون﴾ »[2].

❁ س١٠ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول﴾ ؛ الألف للاستفهام، والمراد به التحضيض والإيجاب، ومعناه: هلا تقاتلونهم، وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها. واختلف في هؤلاء، فقيل: هم اليهود الذين نقضوا العهد، وخرجوا من الأحزاب، وهموا بإخراج الرسول من المدينة، كما أخرجه المشركون من مكة. . . وقيل: هم مشركو قريش، وأهل مكة ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ أي: بدؤكم بنقض العهد. . . وقيل: بدءوكم بقتال حلفاء النبي صلى الله عليه وآله . وقيل: بدءوكم بالقتال يوم بدر، وقالوا حين سلم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً، ومن معه ﴿أتخشونهم﴾ أي: أتخافون أن ينالكم من قتالكم مكروه، لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين، وفي ذلك غاية الفصاحة، لأنه جمع بين التقريع والتشجيع. ﴿فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ المعنى: لا تخشوهم،

---

(١) قرب الإسناد: ص٤٦.

(٢) تفسير العياشي ج٢، ص٧٩، ح٢٦.

ولا تتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم، فإنه سبحانه أحق أن تخافوا عقابه في ترك أمره بقتالهم، إن كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه، أي: إن كنتم مؤمنين فخشية الله أحق بكم من خشية غيره، والله أعلم وأحكم[١].

❁ س١١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة التوبة: ١٤ ـ ١٥]؟!

الجواب/ قال عليّ بن عُقْبة ابن خالد[٢]: دخلتُ أنا ومُعلّى بن خُنيسر على أبي عبد الله عليه السلام فأذن لنا وليس هو في مجلِسِه، فخرج علينا من جانب البيت من عند نِسائه، وليس عليه جِلباب، فلمّا نظر إلينا رَحّب، فقال: «مرحباً بكُما وأهلاً» ثمّ جلس، وقال: «أنتم أُولو الألباب في كتاب الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣] فأبشروا، فأنتم على إحدى الحسنَيَيْنِ من الله: أما إنّكم إن بقيتُم حتى تروا ما تمُدّون إليه رقابكم، شفى الله صدوركم، وأذهب غيظ قلوبكم وأدالكم على عدوّكم، وهو قول الله تعالى ذكرهُ: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾ وإن مضيتم قبل أن تروا ذلك، مضيتم على دين الله الذي رضيه لنبيه صلى الله عليه وآله وبعثه عليه»[٤].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٢. بتصرف.

(٢) زاد في الحديث الآتي عن تفسير العيّاشي: عن أبيه، ولعلّه الأرجح، راجع رجال النجاشي: ص٢٧١. ومعجم رجال الحديث: ج١١، ص١٥٢ وج١٢، ص٩٦.

(٣) الرعد: ١٩.

(٤) المحاسن: ج١، ص١٦٩، ح١٣٥.

س١٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: ١٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القميّ: أيّ لمّا ير فأقام العلم مقام الرّؤية، لأنه قد علم قبل أن يعملوا[١].

ـ وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ «يعني بالمؤمنين آل محمد عليهم السلام، والوَليجة: البِطانة»[٢].

ـ وقال سفيان بن محمّد الضُبعي: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله عن الوليجَةِ، وهو قول الله تعالى: ﴿ولا يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ وقلتُ في نفسي، لا في الكتاب، مَنْ ترى المؤمنين ها هنا؟ فرجع الجواب: «الوليجة: الذي يقام دون وليّ الأمر، وحدّثتك نفسك عن المؤمنين مَن هُم في هذا الموضع، فهم الأئمّة الذين يؤمّنون على الله فيُجيزُ أمانهم»[٣].

س١٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٣.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٣.

(٣) الكافي: ج١، ص٤٢٥، ح٩.

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٧ ـ ١٨]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾: أي لا يعمروا، وليس لهم أن يقيموا وقد أخرجوا رسول الله ﷺ منه. ثمّ قال: ﴿إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر﴾ الآية، وهي مُحكَمة[(١)].

س١٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

[سورة التوبة: ١٩ ـ ٢٢]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «نَزَلَتْ في عليّ عليه السلام وحَمزة والعبّاس وشيبة، قال العبّاس: أنا أفضلُ، لأنّ سقاية الحاجّ بيدي وقال شيبة: أنا أفضل، لأنّ حجاجة البيت بيدي، وقال حمزة أنا أفضل، لأنّ عمارة المسجد الحرام بيدي. وقال علي عليه السلام: أنا أفضل، لأنّي آمَنْتُ قبلكم، ثمّ هاجرتُ وجاهَدتُ. فرَضُوا برسول الله ﷺ [حَكَماً]، فأنزل الله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إن الله عنده أجر عظيم﴾»[(٢)].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٣.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٤.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿كمن ءامن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ثمّ وصف علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ ثم وصف ما لعليّ عليه السلام عنده، فقال: ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾»[(١)].

س١٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة التوبة: ٢٣ ـ ٢٤]؟!

الجواب/ قال جابر سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية، في قول الله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ إلى قوله: ﴿الفاسقين﴾: «فأمّا ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ فإنّ الكفر في الباطن في هذه الآية ولاية الأول والثاني، وهو كفر. وقوله: ﴿على الإيمان﴾ فالإيمان ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾»[(٢)].

وقال الطّبرسي: عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أنّها نزلت في

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٨٤.

(٢) تفسير العيّاشي ج٢، ص٨٤، ح٣٦.

حاطب بن أبي بلْتَعة حيثُ كتب إلى قُرَيش يخبرُهم بخبر النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد فتح مكّة»[١].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿قل إن كان﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿اقترفتموها﴾ يقول: اكتسبتُموها.

وقال عليّ بن إبراهيم: لمّا أذن أمير المؤمنين عليه السلام بمكّة أن لا يدخُل المسجد الحرام مشركٌ بعد ذلك العام، جزعت قريش جزعاً شديداً، وقالوا: ذهبت تِجارَتُنا، وضاعَتْ عِيالُنا، وخربَتْ دُورُنا، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: قُل يا محمد ﴿إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[٢].

❁ س١٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

[سورة التوبة: ٢٥ ـ ٢٦]؟!

الجواب/ قال يوسف بن السُخت: اشتكى المُتوكّلُ شكاةً شديدةً، فنذر لله إن شفاه الله أن يتصدّق بمالٍ كثيرٍ، فعوفي من علّته، فسأله أصحابه عن ذلك، فأعلَموه أنّ أباه تصدّق بثمانية[٣] ألف ألف درهم، وإن[٤] أراه تصدّق

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٥.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٨٤.

(٣) في «ط»: بثمانمائة، وفي بحار الأنوار: ج١٠٤، ص٢٢٧، ح٥٦: بيمينه.

(٤) في بحار الأنوار: وإنّي، والظاهر وجود سقط في هذا الموضع.

بخمسة ألف ألف درهم، فاستكثر ذلك. فقال أبو يحيى بن أبي منصور المُنجِّم: لو كتبت إلى ابن عمّك ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ فأمر أن يُكتب له فيسأله، فكتب إليه، فكتب أبو الحسن عليه السلام: «تصدَّق بثمانين درهماً». فقالوا: هذا غلط، سلُوه من أين؟ قال: «هذا من كِتابِ الله، قال الله لرسوله: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ والمواطنُ التي نصر الله رسوله صلى الله عليه وآله فيها ثمانون موطِناً، فثمانونَ دِرهماً من حِلّه مالٌ كثير»[1].

وقال أبو الحسن عليّ الرّضا عليه السلام للحسن بن أحمد: «أيُّ شيءٍ السَّكينة عِندَكُم؟» قال: لا أدري ـ جُعِلتُ فِداك ـ أيُّ شيءٍ هو؟

فقال: «ريحٌ من الله تخرُج طيّبةٌ، لها صورةٌ كصورةِ وجه الإنسان، فتكون مع الأنبياء، وهي التي نزلت على إبراهيم خليل الرَّحمن حيثُ بنى الكعبة، فجعلت تأخُذ كذا وكذا، فبنى الأساس عليها»[2].

وقال عليّ بن إبراهيم: أنّه كان سببُ غزاة حُنين أنّه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فتح مكّة أظهر أنّه يريد هوازن، وبلغ الخبر هوازن، فتهيّئوا وجمَعوا الجُموع والسِّلاح، واجتَمَع رؤساؤهم إلى مالك بن عوف النَّضْري فرأسوه عليهم، وخرَجوا وساقوا معهم أموالَهُم ونساءَهُم وذراريهم ومرّوا حتى نزلوا بأوطاس[3]، وكان دُريد بن الصِّمَّة الجُشَمي[4] في القوم، وكان رئيس جُشَم، وكان شيخاً كبيراً قد ذهب بصرُه من الكِبَر، فلَمَس الأرض بيَدِه، فقال: في أيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بوادي أوطاس. قال: نعم، مجالُ خَيْلٍ، لا

---

(١) تفسير العيّاشي ج٢، ص٨٤، ح٣٧.

(٢) تفسير العيّاشي ج٢، ص٨٤، ح٣٩.

(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين. «معجم البلدان ج١، ص٢٨١».

(٤) وقيل: الجعشمي... رئيس جعشم، وهما تصحيف، انظر جمهرة أنساب العرب: ص٢٧٠.

حزنٌ[١] ضِرسٌ[٢]، ولا سَهْلٌ دهْس[٣]، مالي أسمعُ رُغاء البعير ونَهيقَ الحمار، وخُوارَ البَقعر وثُناء الشاة وبكاء الصَّبيّ. فقالوا له: إنّ مالك بن عوف ساق مع الناس أموالَهُم ونساءهم وذراريهم، ليُقاتِلَ كلُّ امرىءٍ عن نفسه وماله وأهلِه. فقال دُرَيد: راعي ضَأن ـ وربِّ الكعبة ـ ماله وللحَرْب! ثمّ قال: ادعوا لي مالِكاً.

فلمّا جاءهُ قال له: يا مالِك، ما فَعَلتَ؟ قال: سُقْتُ مع الناس أموالهُم ونساءَهم وأبناءَهم، ليجعَلَ كلُّ رَجُلٍ أهلَهُ ومالَهُ وراء ظَهْرِهِ، فيكونَ أشدّ لحَرْبه.

فقال: يا مالك، إنّك أصبحت رئيس قومك، وإنّك تقاتلُ رجلاً كريماً، وهذا اليوم لما بعده، ولم تضع في تقدمة بيضة هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً، ويحكَ وهل يلوي المنهزم على شيء؟! اردُد بيضة هوازن إلى علياء بلادهم وممتنع محالّهم، وألقِ الرّجال على مُتون الخيل، فإنّه لا ينفعُك إلاّ رجلٌ بسيفه ودرعه وفرسه، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك لا تكون قد فُضِحْتَ في أهلك وعيالك.

فقال له مالك: إنّك قد كَبُرْتَ وذهَبَ عِلْمُك وعقلُكَ، فلم يَقْبَلْ من دُريد. فقال دريد: ما فعَلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يحضُر منهم أحد. قال: غابَ الجِدُّ والحزم، لو كان يوم عُلا وسعادة ما كانت تغيب كَعبٌ ولا كلاب. قال: فمن حضرها من هوازن؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذعان[٤] لا ينفعان ولا يضرّان، ثمّ تنفّس دُريد، وقال:

---

(١) الحَزْن: ما غلُظ من الأرض. «الصحاح ـ حزن ـ ج٥، ص٢٠٩٨».

(٢) الضِرس: أكمةٌ خشنة. «الصحاح ـ ضرس ـ ج٣، ص٩٤٢».

(٣) الدَهْس: المكان السهل اللين. «الصحاح ـ دهس ـ ج٣، ص٩٣١».

(٤) أي الصغيران.

حربٌ عوان[1].

ليتني فيها جذَع
أخُبّ فيها وأضع[2]
أقودُ وطفاءَ الزَّمَع
كأنها شاةُ صدَع[3]

وبلغ رسول الله ﷺ اجتمع هوازن بأوطاس فجمع فضائل ورغّبها في الجهاد، ووعدهم النّصر، وأن الله قد وعده أن يغنمه أموالهم ونساءهم وذراريهم، فرغب الناس وخرجوا على راياتهم، وعقد اللواء الأكبر ودفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكلّ من دخل مكة برايته أمره أن يحملها، وخرج في اثني عشر ألف رجل، عشرة آلافٍ ممّن كانوا معه. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «وكان معه من بني سُليم ألف رجل رئيسهم عبّاس بن مرداس السُّلَمي، ومن مُزَيْنَة ألفُ رجلٍ».

رجع الحديث إلى عليّ بن إبراهيم، قال: فمَضوا حتّى كان من القوم على مسيرة بعض ليلة، قال: وقال مالِك بن عوف لقومه: ليُصيِّر كلُّ رجل منكم أهلَه ومالهُ خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشّجر، فإذا كان في غَلَس الفجر فاحملوا حملة رجلٍ واحد، وهدّوا القوم، فإنّ محمّداً لم يلقَ أحداً يُحسِنُ الحرب.

---

(١) العَوان من الحروب: التي قُوتِل فيها مرّة، كأنهم جعلوا الأولى بكراً. «الصحاح - عون - ج٦، ص٢١٦٨».

(٢) خَبّ ووضع: كلاهما بمعنى أسرع.

(٣) الوطفاء: كثيرة الشعر، والزَّمَع: جمع زمَعة، الشعرات المُدلاة في مؤخّر رجل الشاة والظبي ونحوهما، والصَّدَع من الدوابّ: الشابّ القويّ، والمراد فرس هذه صفاته.

قال: فلمّا صلّى رسولُ الله ﷺ الغَداة انحدر في وادي حُنين، وهو وادٍ له انحدارٌ بعيد، وكانت بنو سُلَيم على مقدّمته، فخرَجت عليها كتائبُ هوازنَ من كلّ ناحيةٍ، فانهزَمَت بنو سُلعيم، وانهزم مَنْ وراءهم، ولم يبقَ أحدٌ إلاّ انهزَم، وبقي أميرُ المؤمنين عليه السلام يُقاتِلهم في نفرٍ قليل.

ومَرَّ المنهزمُون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيءٍ، وكان العبّاسُ آخذاً لجام بَغلة رسول الله ﷺ عن يمينه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره. فأقبل رسول الله ﷺ ينادي: «يا معشر الأنصار، إلى أين المفرّ؟ أنا رسولُ الله» فلم يلو أحدٌ عليه.

وكانت نُسَيْبة بنت كعب المازنيّة تحثُو التُرابَ في وُجوه المُنهَزِمين، وتقول: أين تفرّون عن اللهِ وعن رسوله. ومرَّ بها عُمر، فقالت له: ويلك، ما هذا الذي صنعْتَ؟ فقال لها: هذا أمرُ الله.

فلمّا رأى رسولُ الله ﷺ الهزيمَةَ ركض يحومُ على بغلتِه قد شَهَر سيفَه، فقال: «يا عبّاس، اصعَدْ هذا الظَّرِب[1] ونادِ: يا أصحاب البقرة، يا أصحاب الشجرة، إلى أين تفرّون، هذا رسول الله».

ثمّ رفَعَ رسولُ الله ﷺ يَدَهُ فقال: «اللهُمَّ لكَ الحمد وإليك المُشتكى وأنتَ المُستعان» فنزَل عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا رسولَ الله، دعَوْتَ بما دَعا به موسى حين فلَقَ الله له البحر ونجّاه من فرعون. ثمّ قال رسولُ الله ﷺ لأبي سُفيان بن الحارث: «ناوِلْني كفّاً من حصى، فناوَلَهُ فرماه في وُجوه المُشركين، ثمّ قال: «شاهتِ الوُجوه» ثمّ رفع رأسَهُ إلى السّماء، وقال: «اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تُعبد، وإن شئت أن لا تُعبد لا تُعبد».

فلمّا سمعَتِ الأنصار نداء العبّاس عطفوا وكسروا جُفونَ سيوفهم وهم

---

(١) الظَّرِب: الجبل المنبسط أو الصغير. «القاموس المحيط ـ ظرب ـ ج١، ص١٠٣».

يُنادون: لبّيك، ومرّوا برسول الله ﷺ، واستحيوا أن يرجعوا إليه، ولحقوا بالرّاية، فقال رسول الله ﷺ للعبّاس: «مَن هؤلاء، يا أبا الفضل؟». فقال: يا رسول الله، هؤلاء الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: «الآن حَمِيَ الوَطيس[(١)]» فنزل النّصرُ من السّماءِ، وانهزمت هوازن، وكانوا يسمَعون قعقعةَ السّلاح في الجوّ، فانهزموا في كلّ وجه، وغَنم رسول الله ﷺ أموالهم ونساءهم وذراريهم، وهو قوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾[(٢)].

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا﴾ وهو القتل. ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

قال: وقال رجلٌ من بني نَصْر بن مُعاوية، يقال له: شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخَيْل البُلق والرّجال عليهم الثّياب البيض؟ فإنّما كان قتلُنا بأيديهم، وما كنّا نراكم فيهم إلاّ كهيئة الشامة؟ قالوا: تلك الملائكة[(٣)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «السَّكينةُ: الإيمان»[(٤)].

---

(١) الوَطيس: التنُّور، وهو كناية عن شدّة الأمر واضطراب الحرب. «مجمع البحرين ـ وطس ـ ج٤، ص١٢٣».

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٥، السيرة النبوية لابن هشام ج٤، ص٨٠.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٨.

(٤) الكافي: ج٢، ص١٢، ح٣.

س١٧ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾
[سورة التوبة: ٢٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: ومعنى: «ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء» أنه يقبل التوبة من بعد هزيمة من انهزم. ويجوز أن يكون المراد بعد كفر من كفر يقبل توبة من يتوب ويرجع إلى طاعة الله والإسلام ويندم على ما فعل من القبيح «على من يشاء» وإنما علقه بالمشيئة، لأن قبول التوبة وإسقاط العقاب عندها تفضل ـ عندنا ـ ولو كان ذلك واجباً لما جاز تعلق ذلك بالمشيئة كما لم يعلق الثواب على الطاعة والعوض على الألم في موضع المشيئة. ومن خالف في ذلك قال: إنما علقه بالمشيئة، لأن منهم من له لطف يؤمن عنده فالله تعالى يشاء أن يلطف له مع صرف العمل في ترك التوبة إلى الله. وقوله ﴿والله غفور رحيم﴾ معناه أنه ستار للذنوب لا يفضح أحداً على معاصيه بل يسترها عليه إذا تاب منها، وهو رحيم بعباده[1].

س١٨ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٢٨]؟!

الجواب/ قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «لتمنعُنّ مساجدكُم يهودكم ونصاراكم وصبيانكم ومجانينكم أو ليمسخنكُمُ الله قردةً وخنازير رُكّعاً وسُجّداً، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام﴾»[2].

---

(١) التبيان: الطوسي، ج٥، ص١٩٩. (٢) دعائم الإسلام: ج١، ص١٤٩.

وقال ﷺ: «لئن بقيتُ لأُخرجنَّ المُشركين من جزيرة العرب»[١].

وقال الشيخ الطوسي: وقوله «فإن خفتم عيلة» فالعيلة الفقر، تقول: عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه

وما يدري الغني متى يعيل[٢]

وكانوا خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين، فقال الله تعالى: «وإن خفتم عيلة» يعني فقراً بانقطاعهم، فالله يغنيكم من فضله إن شاء، وإنما علقه بالمشيئة لأحد أمرين: أحدهما ـ لأن منهم من لا يبلغ هذا المعنى الموعود به، لأنه يجوز أن يموت قبله ـ.

والثاني: لتنقطع الآمال إلى الله تعالى، كما قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٣]. وقوله ﴿إن الله عليم حكيم﴾ معناه عالم به بمصالحكم حكيم في منع المشركين من دخول المسجد الحرام[٤].

❁ س١٩ ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [سورة التوبة: ٢٩]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في حديث الأسياف الذي ذكره عن أبيه عليه السلام، قال فيه: «وأمّا السّيوف الثلاثة المشهورة: فسيفٌ على مشركي العرب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾» وقد تقدّم

---

(١) الدر المنثور: ج٤، ص١٦٦.

(٢) مجاز القرآن: ج١، ص٢٥٥.

(٣) الفتح: ٢٧.

(٤) التبيان: ج٥ الشيخ الطوسي ص٢٠١.

في هذه الآية[١].

قال: «والسيف الثاني على أهل الذّمّة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢] نزلت هذه الآية في أهلِ الذّمة، ثم نسخها قوله عزّ وجلّ: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منه إلاّ الجزية أو القتل، ومالهم فيء، وذراريهم سبي، وإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، وحرمت أموالهم، وحلّت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حلّ لنا سبيُهم وأموالُهم، ولم تحلّ لنا مناكحتهم، ولم يقبل منهم إلاّ الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل»[٣].

وقال زُرارة: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: ما حَدُّ الجزيَة على أهل الكتاب، وهل عليهم في ذلك شيءٌ موظّفٌ لا ينبغي أن يجوزوا إلى غيره؟

فقال: «ذاك إلى الإمام أن يأخذ كلّ إنسانٍ منهم ما شاء على قدر ماله ممّا يُطيق، إنّما هم قومٌ فدوا أنفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا، فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يُطيقون له أن يأخُذَهم به حتى يُسلِموا، فإنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾، وكيف يكونُ صاغراً وهو لا يكترِثُ لما يؤخذ منه حتّى يجد ذُلاً لما أُخِذَ منه فيألم لذلك فيسلم».

قال: وقال ابنُ مسلم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيتَ ما يأخُذ هؤلاء

(١) تقدّم في الحديث من تفسير الآية (٥) من هذه السورة.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الكافي: ج٥، ص١٠، ح٢.

من هذا الخُمُس من أرضِ الجِزية، ويأخُذ[١] من الدّهاقين جِزيَة رؤوسِهم، أما عليهم في ذلك شيءٌ مُوظّف؟

فقال: «كان عليهم ما أجازوا على أنفُسِهم، وليس للإمام أكثر من الجزية، إن شاء الإمام وضع ذلك على رؤوسهم وليس على أموالهم شيء، وإن شاء فعلى أموالهم وليس على رؤوسهم شيء».

فقلتُ: فهذا الخُمُس؟ فقال: «إنّما هذا شيءٌ كان صالحَهُم عليه رسول الله ﷺ»[٢].

س٢٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [سورة التوبة: ٣٠]؟!

الجواب/ قال الإمام العسكريّ عليه السلام: «قال الصادق عليه السلام: لقد حدّثني أبي الباقر عليه السلام عن جدّي عليّ بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ سيّد الشهداء، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين)، أنه اجتمع يوماً عند رسول الله ﷺ أهلُ خمسة أديانٍ: اليهودُ، والنّصارى، والدّهريّة، والثّنويّة، ومشركو العرب.

فقالت اليهود: نحن نقول: عُزَيرٌ ابن الله، وقد جئناك ـ يا محمّد ـ لنَنْظُر ما تقول، فإن تَبعتنا فنحنُ أسبق إلى الصّواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت النّصارى: نحن نقول: إنّ المسيح ابنُ الله اتّحد به، وقد جئناك

---

(١) في (من لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٢٧، ح٤): ويأخذون.

(٢) الكافي: ج٣، ص٥٦٦، ح١.

لننظُر ما تقول، فإن تَبِعتَنا فنحنُ أسبق إلى الصَّواب منك وأفضَل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت الدُّهريّة: نحنُ نقول: الأشياء لا بدء لها، وهي دائمة، وقد جئناك لِننظُرَ ما تقول، فإن تَبِعتَنا فنحنُ أسبقُ إلى الصَّواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت الثَّنويَّة: نحنُ نقول: إنّ النّور والظُّلمة هما المُدَبِّرانِ، وقد جئناك لننظُرَ ما تقول، فإن تَبِعتَنا فنحنُ أسبقُ إلى الصَّواب منك وأفضَل، وإن خالفتَنا خاصمناك.

وقال مُشركو العرب: نحن نقول: إنّ أوثانَنا آلِهةٌ، وقد جئناك لننظُر ما تقول، فإن تبِعتَنا فنحنُ أسبَقُ إلى الصَّواب منك وأفضَل، وإن خالفتنا خاصمناك.

فقال رسول الله ﷺ: آمَنْتُ باللهِ وحْدَه لا شريك له، وكفرتُ بكلّ معبودٍ سواه. ثمّ قال: إنّ الله تعالى بعثَني بالحقّ إلى الخَلْقِ كافّةً بشيراً ونذيراً، حجّةً على العالمين، وسيَرُدُّ الله كَيْدَ من يَكيدُ دينه في نحره.

ثمّ قال لليهود: أجِئتُموني لأقْبَل قولَكُمْ بِغَيْر حُجّةٍ؟ قالوا: لا.

قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأنّ عُزَيراً ابنُ الله؟ قالوا: لأنّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهَبَتْ، ولم يَفْعَل به هذا إلاّ لأنّه ابنه.

فقال رسول الله ﷺ: فكيف صار عُزَيرٌ ابنَ الله دون موسى، وهو الذي جاء بالتوراة، ورُئي منه من العجائب ما قد عَلِمتُم، ولئن كان عُزيرٌ ابنَ الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التَّوراة، فلقد كان موسى بالبُنوَّةِ أحقّ وأولى، ولئن كان هذا المقدار من إكرامه لعُزير يوجب أنه ابنه، فأضعافُ هذه الكرامة لموسى توجِبُ له منزلةً أجل من النبوّة، لأنّكم إن كنتم إنّما تريدون بالبنوّة الولادة

على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم من ولادة الأُمّهاتِ الأولاد بوطء آبائهم لهُنّ فقد كفرتُم بالله تعالى، وشبّهتُموه بخلقه، وأوجبتُم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأنّ له خالقاً صنَعه وابتدعه!

قالوا: لسنا نعني هذا، فإنّ هذا كُفرٌ كما ذكرتَ، ولكنّا نعني أنّه ابنُه على معنى الكرامة، وإن لم يكن هناك ولادة، كما يقول بعضُ علمائنا لمن يريد إكرامه وإبانة المنزلة من غيره: يا بُني، و: إنّه ابني. لا على إثباتِ ولادتِهِ منه، لأنّه قد يقول ذلك لمن هو أجنبيّ لا نسَب بينه وبينه، وكذلك لمّا فعل بعُزَيرٍ ما فعل كان اتّخذه ابناً على الكرامة لا على الولادة.

فقال رسول الله ﷺ: فهذا ما قُلتُه لكم: إنّه إن وجب على هذا الوَجْهِ أن يكون عُزيرٌ ابنه، فإنّ هذه المنزِلة لموسى أولى، وإنّ الله تعالى يفضحُ كلَّ مُبطلٍ بإقراره، ويقلب عليه حجّته. إنّ ما احتججتُم به إنّما يؤدّيكم إلى ما هو أكبر ممّا ذكرتُه لكم، لأنّكم زعمتُم أنّ عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبيٍّ لا نَسب بينه وبينه: يا بُنيّ، وهذا ابني، لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضاً هذا العظيم يقول لأجنبيّ آخر: هذا أخي. ولآخر: هذا شيخي، وأبي. ولآخر: هذا سيّدي، ويا سيّدي، على طريق الإكرام، وإنّ مَن زادهُ في الكرامة زادَه في مثل هذا القول، فإذن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً أو أباً أو سيّداً لأنّه قد زاده في الكرامة على ما لعُزير، كما أن مَن زاد رجلاً في الإكرام، فقال له: يا سيدي، ويا شيخي، ويا عمّي، ويا رئيسي، ويا أميري [على طريق الإكرام، وإنّ من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أفيجوز عندكم أن يكون موسى أخاً لله أو شيخاً أو عمّاً أو رئيساً أو سيّداً أو أميراً لأنه قد زاده في الإكرام على مَن قال له: يا شيخي أو: يا سيّدي أو: يا عمّي أو: يا رئيسي أو: يا أميري؟].

قال: فبُهِتَ القومُ وتحيّروا، وقالوا: يا محمّد، أجّلنا نتفكّر فيما قُلتَه.

فقال: انظُروا فيه بقلوبٍ معتَقِدةٍ للإنصاف يهدِكُمُ الله.

ثمّ أقبل صلى الله عليه وآله على النّصارى، فقال لهم: وأنتم قلتُم: إنّ القديم عزَّ وجلَّ اتّحَد بالمسيح ابنه، ما الذي أردتُموه بهذا القول؟ أردتُم أنّ القديمَ صارَ مُحدَثاً لوجودِ هذا المُحدَث الذي هو عيسى؟ أو المُحدَث الذي هو عيسى صار قديماً لوجود القديم الذي هو الله، أو معنى قولكم: إنه اتّحد به، أنّه اختصّه بكرامةٍ لم يُكرِمْ بها أحداً سِواه. فإن أردتم أنّ القديم تعالى صار مُحدثاً، فقد أحَلتُم[١]، لأنّ القديمَ مُحالٌ أن ينقلِب فيصير مُحدثاً، وإن أردتُم أنّ المُحدَث صار قديماً، فقد أحَلتُم، لأنّ المُحدَث أيضاً مُحالٌ أن يصيرَ قديماً، وإن أردتُم أنّه اتّحَد به بأن اختصّه واصطَفاه على سائر عِبادِه، فقد أقررتُم بحُدوث عيسى وبحُدوثِ المعنى الذي اتّحَدَ به من أجله، لأنّه إذا كان عيسى مُحدثاً، وكان الله اتّحَدَ به بأن أحدث به معنىً صار به أكرم الخَلق عنده، فقد صار عيسى مُحدثاً، وكان الله اتّحَدَ به بأن أحدث به معنىً صار به أكرم الخَلْق عنده، فقد صار عيسى وذلك المعنى مُحدَثَين، وهذا خلافُ ما بدأتم تقولون.

قال: فقالت النصارى: يا محمّد، إن الله تعالى لمّا أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهَر، فقد اتّخذهُ ولداً على جهة الكرامة. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: فقد سمعتُم ما قلتُ لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتمُوه، ثمّ أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك كلّه، فسكتوا إلاّ رجلاً واحداً منهم، قال له: يا محمّد، أو لستم تقولون إنّ إبراهيم خليلُ الله؟ [قال: قد قلنا ذلك. فقال:] فإذا قلتم ذلك، فلِمَ منعتُمونا من أن نقول: إن عيسى ابنُ الله؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّهما لن يشتَبِها، لأنّ قولنا: إنّ إبراهيم خليلُ الله، فإنّما هو مُشتَقٌّ من الخَلّة والخُلّة، فأمّا الخَلّة فمعناه الفقر والفاقة، فقد كان

---

(١) أحال: جمع بين المتناقِضَين في كلامه. «المعجم الوسيط ـ حال ـ ج١، ص٢٠٨».

خليلاً إلى ربّه فقيراً وإليه مُنقطعاً، وعن غيره متعفّفاً مُعْرِضاً مُستغنياً، وذلك لمّا أريد قَذْفُه في النار فرُمي به في المَنْجَنيق فبعث الله تعالى إلى جبرئيل عليه السلام، وقال له: أدرِكْ عبدي. فجاءه فلقِيَهُ في الهواء، فقال له: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرَتك، فقال: بل حَسبِيَ الله ونِعْمَ الوَكيل، إنّي لا أسأل غيرَه، ولا حاجة لي إلاّ إليه، فسمّاه خليلَه، أي فقيره ومُحتاجَه، والمُنقطع إليه عمّن سواه.

وإذا جُعل معنى ذلك من الخُلّة فقد تخلّل معانيه، ووقَف على أسرارٍ لم يَقف عليها غيرُه، كأنّ معناه العالِمُ به وبأموره، فلا يوجِب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطِع إليه لم يكُن خليلُه، وإذا لم يعلَمْ بأسراره لم يَكُن خليله، وأنّ من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرُج عن أن يكون ولده، لأنّ معنى الولادة قائم.

ثمّ إنْ وجَبَ ـ لأنه قال الله تعالى: إبراهيم خليلي ـ أن تَقيسوا أنتم فتقولوا: إنّ عيسى ابنه، وجب أيضاً كذلك أن تقولوا لموسى: إنّ موسى أيضاً ابنه، وإنّه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: شيخه وعمّه وسيّده ورئيسه وأميره، كما قد ذكَرْتُه لليهود.

فقال بعضُهم: ففي الكُتب المُنزَلة أنّ عيسى قال: أذهب إلى أبي؟

فقال رسول الله ﷺ: فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون، فإنّ فيه: ربّي وربّكم، وأذهب إلى أبي وأبيكم، فقولوا: إنّ جميع الذين خاطبهم كانوا أبناء الله، كما كان عيسى ابنه، من الوجه الذي كان عيسى ابنه ثمّ إنّ ما في هذا الكتاب يُبطِلُ عليكم هذا المعنى الذي زَعمتُم أنّ عيسى من جهة الاختصاص كان ابناً له، لأنكم قُلتُم: إنّما قلنا: إنّه ابنه لأنّه تعالى اختصّه بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أن الذي خصّ به عيسى، لم يخُصّ به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهَبُ إلى أبي وأبيكم. فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى،

لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى. وأنتم إنما حكيتم لفظَة عيسى وتأوّلتموها على غير وجهها، لأنّه إذا قال: أبي وأبيكم. فقد أراد غير ما ذهبتُم إليه ونحَلتُموه. وما يدريكم لعلّه عنى: أذهَبُ إلى آدم وإلى نُوح، إنّ الله يرفعُني إليهم، ويجمَعُني معهم، وآدمُ أبي وأبوكم، وكذلك نوحٌ، بل ما أراد غير هذا؟

قال: فسكتَتِ النّصارى، وقالوا: ما رأينا كاليوم مُجادِلاً ومُخاصماً، وسننظر في أمورِنا.

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الدَّهْرِيّة، فقال: وأنتُم، فما الذي دعَاكم إلى القول بأنّ الأشياء لا بدء لها، وهي دائمةٌ لم تَزَل، ولا تزال؟

فقالوا: إنّا لا نحكُم إلاّ بما نُشاهِد، ولم نَجِد للأشياء حدَثاً، فحكمنا بأنّها لم تَزَل، ولم نَجِدْ لها انقضاءً وفَناءً [فحكمنا بأنّها لا تزال].

فقال رسولُ الله ﷺ: أفوَجدتُم لها قِدَماً، أم وَجَدتُم لها بقاء أبدَ الأبد؟ فإن قلتُم: إنّكم قد وجدتُم ذلك أثبتُّم لأنفسِكم أنّكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية، ولا تزالون كذلك، ولئن قلتُم هذا دفعتُم العِيان وكذّبَكُمُ العالَمون الذين يُشاهدونَكم.

قالوا: بل لم نُشاهِدْ لها قِدَماً ولا بقاءً أبد الأبد.

قال رسولُ الله ﷺ: فلِمَ صِرتُم بأن تحكمُوا بالقِدَم والبقاء دائماً، لأنّكم لم تُشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى من تارِكِ التميز لها مثلكم، فيحكُمَ لها بالحدوث والانقضاء والانقطاع، لأنّه لم يشاهد لها قِدَماً ولا بقاءً أبد الآبد. أوَ لستُم تُشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم.

فقال: أترَونَهما لم يَزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم.

قال: فيجوز عندكُم اجتماع اللّيل والنهار، فقالوا: لا.

قال ﷺ: فإذن ينقطع أحدُهما عن الآخر، فيسبِق أحدُهما، ويكونُ الثاني جارياً بعده، قالوا: كذلك هو.

قال: قد حكمتُم بحُدوثه ما تقدَّم من ليلٍ ونهارٍ لم تشاهدوهما، فلا تُنكروا الله قُدرةً.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: أتُقدّرون ما تقدَّم من اللّيل والنهار مُتناهٍ أو غير متناه؟ فإن قلتُم: غير مُتناهٍ. فكيف وصل إليكم آخِر بلا نهاية لأوّله؟ وإن قلتم: إنّه مُتناهٍ. فقد كان ولا شيء منهما. قالوا: نعم.

قال لهم: أقلتُم، إنّ العالَم قديمٌ ليس بمُحدثٍ. وأنتُم عارفون بمعنى ما أقررتُم به، وبمعنى ما جَحَدتُموه؟ قالوا: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: فهذا الذي نُشاهِده من الأشياء، بعضُها إلى بعضٍ مُفْتَقِر، لأنّه لا قِوامَ للبَعض إلاّ بما يتَّصِل به، كما نرى أنّ البناء محتاجٌ بعضُ أجزائه إلى بعضٍ وإلاّ لم يتَّسِق ولم يستحكِم، وكذلك سائر ما نرى. وقال ﷺ: فإن كان هذا المحتاج بعضه إلى بعضٍ لقوّته وتمامه هو القديم، فأخبروني أن لو كان محدَثاً فكيف كان يكون؟ وماذا كانت تكون صِفَتُه؟ قال: فبُهتوا وعَلِموا أنّهم لا يجدون للمُحدث صفةً يصفونه بها إلاّ وهي موجودةٌ في هذا الذي زَعَموا أنّه قديم، فوجموا ثم قالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ أقبل رسول الله ﷺ على الثَّنويّة الذين قالوا: إنّ النور والظُّلمة هما المُدبّران، فقال: وأنتُم فما الذي دَعاكم إلى ما قُلتُموه من هذا؟

قالوا: لأنّا وجدنا العالَمَ صنفين: خيراً، وشرّاً، ووجدنا الخير ضدّ الشّر، فأنكرنا أن يكون فاعلٌ واحدٌ يفعل الشيء وضدّه، بل لكّل واحدٍ منهما فاعِل، ألا ترى أنّ الثّلج مُحالٌ أن يسخُنَ، كما أنّ النار مُحال أن تَبرُد، فأثبتنا لذلك صانِعَين قَدِيمَين: ظُلمةً وضياءً.

وقال آخرون منهم: إنّ الله لمّا خلق آدَم وأمَر الملائكة بالسُّجود له، كنّا نحنُ أحقّ بالسجود لآدم من الملائكة، ففاتنا ذلك، وصوَّرنا صورتَه فسجدنا لها تقرُّباً إلى الله، كما تقرّبَتِ الملائكة بالسّجود لآدم إلى الله تعالى، وكما أُمرتُم بالسّجود بزعمِكم إلى جهة مكّة ففعَلتُم، ثم نصبتُم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتُم إليها، وقصدتُم الكعبة لا محاريبَكم، وقصدتُم بالكعبة إلى الله تعالى لا إليها.

فقال رسول الله ﷺ: أخطأتُم الطريق وضللتُم، أمّا أنتم - وهو ﷺ يُخاطِبُ الذين قالوا: إنّ الله يَحُلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصّور التي صوّرناها، فصوّرنا هذه نُعظّمها لتعظيمنا لتلك الصّور التي حلّ فيها ربُّنا - فقد وصفتم ربّكُم بصفة المخلوقات، أو يحُلّ ربُّكم في شيءٍ حتّى يُحيط به ذلك الشيء؟ فأيُّ فرقٍ بينه إذَنْ وبينَ سائرِ ما يحُلّ فيه من لونِه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفّته؟ ولم صار هذا المحلول فيه محدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك مُحدثاً وهذا قديماً؟ وكيف يحتاج إلى المحال مَن لم يزل قبل المحال، وهو عزّ وجلّ [لا يزال] كما لم يَزَل؟ فإذا وصفتُموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال، وما وصفتموه بالزّوال والحدوث وصفتموه بالفناء، لأنّ ذلك أجمَعُ من صفات الحالّ والمحلول فيه، وجميع ذلك يغيّر الذات، فإنْ جاز أن تتغيّر ذات الباري عزّ وجلّ بحلوله في شيء، جاز أن يتغيّر بأن يتحرّك ويسكُنَ ويسوَدَّ ويبيَضَّ ويحمرّ ويصفرّ وتَحُلَّه الصّفاتُ التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميعُ صفات المُحدثين ويكون محدثاً تعالى الله عن ذلك.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: فإذا بطل ما ظننتُموه من أنّ الله يَحُلّ في شيءٍ فقد فسَد ما بنيتم عليه قولكم. قال: فسكتَ القومُ، وقالوا: سننظُر في أُمورِنا.

ثمّ أقبل على الفريق الثاني، فقال لهم: أخبرونا عنكم إذا عبدتُم صُورَ مَنْ كانَ يعبُد الله فسجَدتُم لها وصلّيتُم، ووضعتُم الوجوه الكريمة على التراب، فما الذي أبقيتُم لربّ العالمين؟ أما علِمتُم أن من حقّ من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبدُه؟ أرأيتم ملكاً عظيماً إذا سويتموه بعبيده في التعظيم والخشوع والخُضوع أيكونُ في ذلك وضعٌ للكبير ما يكونُ زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم. فقال: أفلا تعلمون أنكم من حيث تُعظّمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تُزرون على ربّ العالمين؟ فسكت القومُ بعد أن قالوا: سننظر في أمورنا.

ثم قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث: لقد ضربتُم لنا مثلاً وشبّهتمونا بأنفسكم ولسنا سواء، وذلك أنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا، وننزجرُ عمّا زجرنا، ونعبُده من حيث يريد منا، فإذا أمرنا بوَجهٍ من الوجوه أطعناه ولم نتعدَّ إلى غيره ممّا لم يأمُرنا، ولم يأذن لنا، لأنّا لا ندري لعلّه أراد منّا الأوّل وهو يكرَهُ الثاني، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه. فلمّا أمرَنا أن نعبُده بالتوجّه إلى الكعبة أطعنا، ثمّ أمرنا بعبادته بالتوجُّه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعنا، فلم نخرُج في شيءٍ من ذلك من اتّباع أمره، والله عزّ وجلّ حيث أمر بالسُّجود لآدم لم يأمر بالسّجود لصورته التي هي غيره، فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه، لأنّكم لا تدرون لعلّه يكرَهُ ما تفعلون، إذ لم يأمركم به.

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ : أرأيتُم لو أمركم رجُلٌ بدخُولِ دارِه يوماً بعينه، ألكُم أن تدخلُوها بعد ذلك بغيرِ أمرِه؟ ولكم أن تدخُلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وَهَبَ لكُم رجُلٌ ثوباً من ثيابه، أو عبداً من عبيده، أو دابّةً من دَوابّه، ألَكُم أن تأخُذوا ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فإن لم تَجِدوه أخذتُم آخر مثله؟ قالوا: لا، لأنّه لم يأذَنْ لنا في الثاني كما أذِن لنا في الأوّل.

قالﷺ : فأخبِروني، الله تعالى أولى بأن لا يُتقدَّم على مُلكِه بغير أمره أو بعضُ المملوكين؟ قالوا: بل الله أولى بأن لا يُتصرّف في مُلكه بغير أمرِه وإذنه. قالﷺ : فلِمَ فعلتُم، ومن أمرَكُم أن تسجُدوا لهذه الصّور؟ قال: فقال القومُ: سننظُر في أمورنا ثمّ سكتوا.

قال الصادقعليه السلام : فوالذي بعثَهُ بالحَقّ نبيّاً ما أتَتْ على جماعتهم ثلاثةُ أيّام حتى أتَوْا رسول اللهﷺ فأسلموا، وكانوا خمسةً وعشرين رجلاً، من كلّ فرقةٍ خمسة، وقالوا: ما رأينا مثل حُجّتك ـ يا محمّد ـ نشهَدُ أنّك رسولُ الله.

وقال الصادقعليه السلام : قال أمير المؤمنينعليه السلام : فأنزل الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1] فكان في هذه الآية ردٌ على ثلاثة أصناف منهم: لمّا قال: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾ فكان ردّاً على الدّهريّة الذين قالوا: إن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة. ثمّ قال: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ فكان ردّاً على الثّنويّة الذين قالوا: إنّ النور والظُلمة هما المدبّران. ثمّ قال: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ فكان ردّاً على مشركي العرب الذين قالوا: إنّ أوثاننا آلهة. ثمّ أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] إلى آخرها، فكان فيها ردٌ على مَن ادّعى من دون الله ضدّاً أو نداً.

قال: فقال رسول اللهﷺ لأصحابه: قالوا: ﴿إياك نعبد﴾ أي نعبُد واحداً، لا نقول كما قالت الدّهرية: إنّ الأشياء لا بدء لها، وهي دائمةٌ. ولا كما قالت الثّنويّة الذين قالوا: إنّ النّور والظُلمة هما المُدبّران. ولا كما قال مُشركو العرب: إنّ أوثاننا آلهةٌ. فلا نُشرِك بك شيئاً، ولا ندعو من دونِك إلهاً، كما يقول هؤلاء الكفّار، ولا نقول كما قالت اليهود والنّصارى: إنّ لك

---

(١) الأنعام: ١.   (٢) الإخلاص: ١.

ولداً، تَعاليتَ عن ذلك»[١].

وقال الطَّبْرَسي في (الاحتجاج): عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ أي لعَنَهُم الله أنّى يُؤفَكُون، فسمّى اللعنة قتالاً، وكذلك ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[٢] أي لُعِنَ الإنسان»[٣].

س٢١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة: ٣١]؟!

الجواب/ قال أبو بصير: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾؟ فقال: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون»[٤].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «والله ما صلّوا لهم ولا صاموا، ولكِنْ أحلّوا لهم حراماً، وحرّموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم»[٥].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «والله ما صَلّوا لهم ولا صاموا، ولكن أطاعوهم في معصية الله»[٦].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٥٣٠، ح٣٢٣.

(٢) عبس: ١٧.

(٣) الاحتجاج: ٢٥٠.

(٤) الكافي: ج١، ص٤٣، ح١. والمحاسن: ص٢٤٦، ح٢٤٦.

(٥) المحاسن: ص٢٤٦، ح٢٤٥.

(٦) المحاسن: ص٢٤٦، ح٢٤٤.

وقال جابر: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾، قال: «أما إنّهم لم يتّخذوهم آلهةً، إلاّ أنّهم أحلّوا حَراماً فأخَذوا به، وحرّموا حلالاً فأخذوا به، فكانوا أرباباً من دون الله»(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم﴾، قال: «أمّا المسيح فبعض، عظّموه في أنفسهم حتى زعموا أنّه إله، وأنه ابنُ الله. وطائفةٌ منهم قالوا: ثالثُ ثلاثةٍ. وطائفةٌ منهم قالوا: هو الله.

وأمّا قوله: ﴿أحبارهم ورهبانهم﴾ فإنّهم أطاعوهم وأخذوا بقولهم، واتّبعوا ما أمروهم به، ودانوا بما دعوهم إليه، فاتّخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم وتركهم أمر الله وكُتُبه ورُسُله، فنبذوه وراء ظهورهم، وما أمرَهم به الأحبار والرهبان اتبعوه وأطاعوهم وعَصَوا الله، وإنّما ذكر هذا في كتابنا لكي يُتّعظ به، فعيّر الله بني إسرائيل بما صنَعوا، يقول الله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾(٢).

❁ س٢٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٢]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى أنهم ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ والإطفاء إذهاب نور النار. ثم استعمل في إذهاب كل نور. و﴿نور الله﴾ القرآن والإسلام، في

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٨٦، ح٤٧.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٩.

قول المفسرين. وقال الجبائي: نور الله. الدلالة والبرهان، لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار. وواحد الأفواه فم في الاستعمال، وأصله فوه فحذفت الهاء وأبدلت من الواو ميم، لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها. ولما سمى الله تعالى الحجج والبراهين نوراً سمى معارضتهم له إطفاء. وأضاف ذلك إلى الأفواه، لأن الإطفاء يكون بالأفواه، وهو النفخ، وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم، لأن النفخ يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة. وقوله ﴿ويأبي الله إلا أن يتم نوره﴾ الإباء الامتناع مما طلب من المعنى. قال الشاعر:

وإن أرادوا ظلمنا أبينا

أي منعناهم من الظلم، وليس الإباء من الكراهة في شيء على ما يقول المجبرة لأنهم يقولون: فلان يأبى الضيم، فيمدحونه، ولا مدحة في كراهة الضيم لتساوي الضعيف والقوي في ذلك. وإنما المدح في المنع خاصة، ولذلك مدح عورة بن الورد بأنه أبى للضيم بمعنى أنه ممتنع منه، وقوله ﴿وإن أرادوا ظلمنا أبينا﴾ يدل على ذلك لأنه لا مدحة في أن يكرهوا ظلم من يظلمهم. وإنما المدحة في منع من أراد ظلمهم. والمنع في الآية يمنع الله إلا إتمام نوره. وإن كره الكافرون، ولا يجوز على قياس ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ أن تقول: ضربت إلا أخاك، لأن في الإباء معنى النفي، فكأنه قال: لا يمكنهم الله إلا أن يتم نوره. وإذا لم يكن في اللفظ مستثنى منه لم تدخل «إلا» في الإيجاب، وتدخل في النفي على تقدير الحذف قال الشاعر:

وهــل لــي أم غــيــرهــا إن تــركــتــهــا
أبــى الله إلا أن أكــون لــهــا ابــنــا[1]

(١) تفسير القرطبي: ج٨، ص١٢١، ومعاني القرآن: ص٤٣٣١.

والتقدير في الآية ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره في قول الزجاج، وأنكر أن يكون في الآية معنى الجحد[١].

❁ س٢٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [سورة التوبة: ٣٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرُج القائم عليه السلام، فإذا خرَج القائم عليه السلام لم يبقَ كافرٌ بالله العظيم ولا مُشركٌ بالإمام إلاّ كَرِهَ خُروجَه حتى لو كان كافرٌ أو مُشرِكٌ في بَطنِ صخرةٍ، قالت: يا مؤمن، في بطني كافرٌ فاكسرني واقتُلهُ»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يكون أن لا يبقى أحدٌ إلا أقرّ بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله»[٣].

❁ س٢٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [سورة التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]؟!

الجواب/ قال مُعاذ بن كَثير، سَمِعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مُوسّع على شيعتنا أن يُنفقوا ممّا في أيديهم بالمَعروف، فإذا قام قائِمُنا حرّم على كلّ

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٠٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٧٠، ح١٦، ينابيع المودة: ص٤٢٣.

(٣) مجمع البيان: ج٥، ص٣٨.

ذي كنز كنزَه حتى يأتيه به فيَستعين به على عدُوِّه، وهو قول الله عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لمّا نزلت هذه الآية كلّ مالٍ تُؤدّى زكاتُه فليس بكنزٍ، وإن كانت تحت سبع أرضين، وكلُّ مالٍ لا تؤدّى زكاتُه فهو كنزٌ، وإن كان فوق الأرض»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «مانِعُ الزكاةِ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار» يعني أمعاءه في النار(٣).

قال أبو عبد الله عليه السلام: سئل أبي عن الدنانير والدّراهم، وما على الناس فيها؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «هي خواتيمُ الله في أرضِه، جعلها الله مصلحةً لخَلْقِه، وبها تَستَقيم شُؤونهم ومَطالِبُهم، فمن أكثر له منها فقام بحقّ الله تعالى فيها، وأدّى زكاتها، فذاك الذي طابَتْ وخلَصت له، ومن أكثر له منها فبَخِلَ بها، ولم يُؤدِّ حَقَّ الله فيها، واتَّخَذَ منها الأبنية، فذاك الذي حَقَّ عليه وَعيدُ الله عزَّ وجلَّ في كتابه، يقول الله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾»(٤).

❁ س٢٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ

---

(١) الكافي: ج٤، ص٦١، ح٤.

(٢) الأمالي: ج٢، ص١٣٣.

(٣) الأمالي: ج٢، ص١٣٣.

(٤) الأمالي: ج٢، ص١٣٣.

أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)﴾ [سورة التوبة: ٣٦]؟!

الجواب/ قال أبو حمزة الثُّمالي: كنت عند أبي جعفر محمّد ابن عليّ الباقر عليه السلام ذاتَ يوم، فلمّا تفرّق مَنْ كان عنده، قال لي: «يا أبا حمزة، من المَحتوم الذي لا تبديل له عند الله، قيامُ قائمنا، فمَن شَكَّ فيما أقولُ لَقِيَ الله وهوَ به كافرٌ، وله جاحدٌ».

ثمّ قال: «بأبي أنت وأُمّي، المُسمّى باسمي، والمُكنّى بكُنيَتي، السابعُ من بعدي، بأبي من يَملأ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً».

ثمّ قال: «يا أبا حمزة، من أدرَكه فلم يُسلّم له فما سَلّم لمحمّد وعليّ عليهما السلام وقد حرّم الله عليه الجنّة، ومَأواه النار وبِئسَ مَثوى الظّالمين.

وأوضَحُ من هذا ـ بِحَمد الله ـ وأنْوَر وأبْيَن وأزهَر لِمَنْ هداه الله وأحسَن إليه قول الله عزَّ وجلَّ في مُحكم كتابه: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ ومعرفة الشهور ـ المحرّم وصفر وربيع وما بعده، والحُرُم منها، هي: رَجَب، وذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم ـ لا تكون ديناً قيّماً لأنّ اليهود والنّصارى والمجوس وسائر الملل والناس جميعاً من الموافقين والمخالفين يعرفون هذه الشّهور، ويعدّونها بأسمائها، وإنّما هم الأئمة القوّامون بدين الله عليهم السلام، والحُرُم منها: أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي اشتقّ الله تعالى له اسماً من اسمه العَليّ، كما اشتقّ لرسوله صلى الله عليه وآله اسماً من اسمه المحمود. وثلاثة من ولده، أسماؤهم عليّ ابن الحسين، وعليّ بن موسى، وعليّ بن محمد، فصار لهذا الاسم المشتقّ من اسم الله جلّ وعزّ حُرمة به، صلوات الله على محمّد وآله المُكرَمين المُتحرّمين به»[1].

(١) الغيبة: ج٨٦، ص١٧.

وروي أن السنة رسول الله ﷺ[(١)] .

وقال عليّ بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ يقول: جميعاً ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾[(٢)] .

س٢٦: ما هو سبب نزول قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [سورة التوبة: ٣٧]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: كان سببُ نُزولها أن رجلاً من كنانة كان يقف في الموسم، فيقول: قد أحللت دماء المحلّين من طيّء وخثعم في شهر المُحرّم وأنسأته، وحرّمت بدله صفراً. فإذا كان العام المقبل، يقول: قد أحللتُ صفراً وأنسأته وحرّمت بدله شهر المُحرّم. فأنزل الله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ إلى قوله: ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾[(٣)] .

س٢٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [سورة التوبة: ٣٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): هذا خطاب من الله تعالى لجماعة من المؤمنين وعتاب وتوبيخ لهم بأنهم إذا قيل لهم على لسان رسوله «انفروا في سبيل الله» ومعناه اخرجوا في سبيل الله يعني الجهاد وسماه سبيل الله، لأن القيام به موصل إلى معنى الجنة ورضا الله تعالى والنفر

---

(١) الغيبة: ج٤٩١، ص١١٠.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٨٩.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٢٩٠.

الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه وضده الهدوء تقول: نفر إلى الثغر ينفر نفراً ونفيراً ولا يقال النفور إلا في المكروه كنفور الدابة عما تخاف، وقوله ﴿أثاقلتم إلى الأرض﴾ أصله تثاقلتم وأدغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها وأدخلت ألف الوصل ليتمكن الابتداء بها ومثله أدركوا قال الشاعر:

تـولـى الـضـجـيـج إذا مـا اسـتـافـهـا خـصـرا
عــذب المذاق إذا مــا أتــابــع الــقــبــل[١]

والتثاقل تعاطي إظهار ثقل النفس ومثله التباطىء وضده التسرع. ومعنى ﴿ثاقلتم إلى الأرض﴾ قيل فيه قولان:

أحدهما: إلى المقام بأرضكم ووطنكم.

الثاني: لما أخرج من الأرض من الثمر والزرع. قال الحسن ومجاهد: دعوا إلى الخروج إلى غزوة تبوك بعد فتح مكة وغزوة الطائف، وكان أيام إدراك الثمرة ومحبة القعود في الظل فعاتبهم الله على ذلك، والآية مخصوصة بقوم من المؤمنين دون جميعهم، لأن من المعلوم أن جميعهم لم يكن بهذه الصفة من التثاقل في الجهاد. فقال الله تعالى لهم على جهة التوبيخ، والتعنيف أرضيتم بالحياة الدنيا على الآخرة، آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة الباقية. وهو استفهام، والمراد به الإنكار. والرضا هو الإرادة غير أنها لا توصف بذلك إلا إذا تعلقت بما مضى من الفعل والإرادة توصف بما لم يوجد بعد قال تعالى مخبراً ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ أي ليس الانتفاع بما يظهر للحواس إلا قليل ومنه قولهم: تمتع بالرياض والمناظر الحسان. ويقال للأشياء التي لها أثمان: متاع تشبيهاً بالانتفاع به[٢].

---

(١) معاني القرآن: ج١، ص٤٣٨ والطبري: ج١٤، ص٢٥٢، (استاف) الشيء قرب منه وشمه، و(القبل) ـ بضم القاف ـ جمع قبلة.

(٢) التبيان: ج٥، ص٢١٩، الشيخ الطوسي.

✿ س٢٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): هذا تحذير من الله تعالى لهؤلاء الذين استبطأهم ووصفهم بالتثاقل عن سبيل الله بقوله ﴿إلا تنفروا﴾ أي إن لم تخرجوا إلى سبيل الله التي دعيتم إليها من الجهاد ﴿يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم﴾ يقومون بنصرة نبيه ولا يتثاقلون فيه. والاستبدال جعل أحد الشيئين بدل الآخر مع الطلب له والتعذيب بطول وقت العذاب، لأنه من الاستمرار وقد يكون عقاباً وغير عقاب. وقوله ﴿ولا تضروه شيئا﴾ قيل فيمن يرجع إليه قولان:

أحدهما: إنه يعود على اسم الله في قول الحسن. قال: لأنه غني بنفسه عن جميع الأشياء.

والآخر، قال الزجاج: إنها تعود إلى النبي ﷺ لأن الله عصمه من جميع الناس، وقوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ معناه قادر على الاستبدال بكم وعلى غيره من الأشياء وفيه مبالغة(١).

✿ س٢٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ انفِرُوا

---

(١) التبيان: ج٥، الشيخ الطوسي: ص٢٢٠.

خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [سورة التوبة: ٤٠ ـ ٤١]؟!

الجواب/ قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «لمّا لقّنهُ جابر بن عبد الله الأنصاريّ رسالة جدّه رسول الله ﷺ إلى ابنه الباقر عليه السلام قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: يا جابر، أكُنتَ شاهداً حديثَ جدّي رسول الله ﷺ يوم الغار؟ قال جابر: لا، يا بن رسول الله. قال: إذن أُحدِّثُكَ، يا جابر؟ قال: حدِّثني، جُعلتُ فداك، فقد سمعته من جدّك ﷺ.

فقال: إنّ رسول الله ﷺ لما هرب إلى الغار مِن مشركي قُريش حيث كبسوا داره لقتله، وقالوا: اقصِدوا فراشه حتى نقتُله فيه. فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه): يا أخي، إن مُشركي قُريش يكبِسُوني في هذه الليلة، ويقصدونَ فراشي، فما أنتَ صانعٌ يا عليّ؟

قال له أميرُ المؤمنين: أنا ـ يا رسول الله ـ اضطجعُ في فراشك، وتكونُ خديجة[1] في موضعٍ مِنَ الدّار، وأخرُج وأستصحِبِ الله حيث تأمَنُ على نفسك. فقال له رسولُ الله ﷺ: فَدَيتُكَ يا أبا الحسن ـ أخِرج لي ناقتي العضْباءَ حتى أركَبَها، وأخرُجُ إلى الله هارباً من مشركي قريش، وافعَلْ بنفسك ما تشاء، والله خليفتي عليك وعلى خديجة.

فخرج رسول الله ﷺ وركِب الناقة وسار، وتلقّاه جبرئيلُ عليه السلام فقال: يا رسول الله، إنّ الله أمرني أن أصحبَك في مسيرك وفي الغار الذي تدخُله

---

(١) المراد بخديجة هنا، خديجة الكبرى عليها السلام على ما يأتي في سياق الحديث، وهو غير صحيح، إذ أنّها توفّيت في عام الحزن، قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة، وكلا التأريخين لا يدلأن على بقاء خديجة عليها السلام إلى زمان الهجرة، وسيأتي توضيحٌ عن هذه المسألة في ذيل هذا الحديث.

وأرجع معك إلى المدينة إلى أن تُنيخَ ناقتَك بباب أبي أيّوبِ الأنصاريّ. فسارﷺ فتلقَّاه أبو بَكرٍ، فقال له: يا رسول الله، أصحَبُك؟ فقال ويحك ـ يا أبا بكر ـ ما أُريد أن يشعُرَ بي أحدٌ، فقال: فأخشى ـ يا رسول الله ـ أن يستحلفني المشركون على لقائي إيّاك، ولا أجد بُدّاً من صدقهم. فقال لهﷺ: ويحَكَ ـ يا أبا بكر ـ أوَ كُنتَ فاعلاً ذلك؟ فقال: إي والله، لئلا أُقتل، أو أحلِفَ فأحنَث. فقالﷺ: وَيحَكَ ـ يا أبا بكر ـ فما صُحْبَتُك إيّاي بنافعتكَ. فقال له أبو بكر: ولكنّك تستغشّني وتخشى أن أنذر بك المُشركين. فقال لهﷺ: سِرْ إذا شئتَ. فتلقَّاه الغار، فنزَل عن ناقتِه العضباء، وأبركها بباب الغار، ودخل معه جبرئيل وأبو بكر.

وقامت خديجة في جانب الدّار باكيةً على رسول اللهﷺ، واضطجع أميرُ المؤمنينعليه السلام على فراش رسول اللهﷺ ليفديه بنفسه، ووافى المشركون الدار ليلاً فتسوَّروا عليها ودخلوا، وقَصدوا إلى فراش رسول اللهﷺ، فوجَدوا أمير المؤمنينعليه السلام مضطجعاً فيه، فضربوا بأيديهم إليه، وقالوا: يا بن أبي كبشة، لم ينفعك سحرُك ولا كهانتك ولا خدمةُ الجانّ لك، اليومَ نسقي أسلحتنا من دمك. فنفض أمير المؤمنين أيديهم عنه، فكأنّهم لم يصلوا إليه، وجلس في الفراش، وقال: ما بالكُم ـ يا مُشركي قريش ـ أنا عليُّ بن أبي طلب! قالوا له: وأين محمّد، يا عليّ؟ قال: حيث يشاء الله. قالوا: ومَن في الدّار؟ قال: خديجة. قالوا: الحبيبةُ الكريمة لولا تبعُلُها بمُحمّد. يا علي، وحقّ اللاّت والعزّى لولا حرمة أبيك أبي طالب وعظم محلّه في قريش لأعملنا أسيافنا فيك.

فقال أمير المؤمنينعليه السلام: يا مشركي قريش، أعجبتكم كثرتكم، وفالِقِ الحبّ، وبارىء النّسمة، ما يكون إلاّ ما يريد الله، ولو شئتُ أن أفنِيَ جمعكُم، كنتم أهون عليّ من فراش السّراج، فلا شيء أضعف منه. فتضاحك

القومُ المشركون، وقال بعضهم لبعضٍ: خلّوا عليّاً لحرمة أبيه واقصدوا الطّلب لمُحمّد.

ورسول الله ﷺ في الغار، وجبرئيل عليه السلام وأبو بكر معه، فحَزِنَ رسول الله ﷺ على عليّ عليه السلام وخديجة فقال جبرئيل عليه السلام: لا تحزَنْ إن الله معنا. ثمّ كُشف له فرأى عليّاً وخديجة عليها السلام ورأى سفينة جعفر بن أبي طالب عليه السلام ومن معه تعوم في البحر، فأنزل الله سكينته على رسوله، وهو الأمان ممّا خشيهُ على عليّ وخديجة، فأنزل الله الآية ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ يريد جبرئيل عليه السلام ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته على رسوله﴾ الآية. ولو كان الذي حزن أبو بكر لكان أحقّ بالأمان من رسول الله ﷺ، لو لم يحزن.

ثمّ إنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: يا أبا بكر، إنّي أرى عليّاً وخديجة، ومُشركي قريش وخطابهم وسفينة جعفر بن أبي طالب ومن معه تعومُ في البحر، وأرى الرَّهط من الأنصار مجلبينَ في المدينة.

فقال أبو بكر: وتَراهُم ـ يا رسول الله ـ في [هذه الليلة، وفي هذه الساعة، وأنت في] الغار وفي هذه الظُلمة، وما بينَهُم وبينَك من بُعْدِ المدينة عن مكّة؟!

فقال رسول الله ﷺ: إنّي أُريك ـ يا أبا بكر ـ حتّى تُصدِّقَن. ومسح يده على بصَرِه، فقال: انظُرْ ـ يا أبا بكر ـ إلى مُشرِكي قريش، وإلى أخي على الفراش وخطابه لهُم، وخديجة في جانب الدّار، وانظُر إلى سفينة جعفر تعومُ في البحر. فنظر أبو بكر إلى الكُلّ، ففزع ورَعَب، وقال: يا رسول الله، لا طاقة لي بالنّظر إلى ما رأيتُه، فرُدَّ عليّ غطائي، فمسح على بصره فحجب عمّا أراه رسول الله.

وقصد المشركون في الطّلب ليقفُوا أثر رسول اللهﷺ [حتّى] جاءوا إلى باب الغار، وحجب الله عنهُم النّاقةَ ولم يرَوها، وقالوا: هذا أثرُ ناقة محمّد ومبرَكُها في باب الغار. فدخلوا فوجدوا على باب الغار نسجاً قد أظلّهُ، فقالوا: ويحكم ما ترون إلى نسج هذه العنكبُوتِ على بابِ الغارِ، فكيف دخله محمّد؟! فصدَّهُم الله عنه ورجعوا.

وخَرَج رسولُ اللهﷺ من الغار وهاجَر إلى المدينة، وخرج أبو بكر فحدَّث المُشرِكين بخبَرِه مع رسول اللهﷺ وقال لهم: لا طاقَةَ لكُم بسحر محمّد». وقصص يطول شرْحُها. قال جابر؛ هكذا والله ـ يا بن رسول الله ـ حدّثني جدّك رسول اللهﷺ ما زاد ولا نقص حرفاً واحداً»(١).

أقول: ﴿ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ الآية، في حديث هِند بن أبي هالة: أن ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهر، فاجتمع بذلك على رسول اللهﷺ حُزْنانِ، وذلك قبل الهجرة.

وفي قوله تعالى: ﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا﴾ في حديث عن عليّ بن الحسينعليه السلام : «ماتَت خديجة قبل الهجرة بسنة، وماتَ أبو طالب بعد موت خديجة، فلمّا فقدهُما رسول اللهﷺ سئِم المقام بمكّة ودخلهُ حزن شديدٌ، وأشفق على نفسه من كُفّار قريش، فشكا إلى جبرائيلعليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ: أخرُج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكّة ناصر، وانصُب للمشركين حرباً، فعند ذلك توجّه رسول اللهﷺ إلى المدينة». ولعل الرواية ببقاء خديجة إلى وقت الهجرة وقعت وهماً من الرّاوي، والله أعلم(٢).

وقال علي بن إبراهيم قوله: ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة

---

(١) الهداية الكبرى: ص٨٢.
(٢) الكافي: ج٨، ص٣٧٨، ح٥٧١.

الله هي العليا﴾ هو قولُ رسول الله ﷺ ﴿والله عزيز حكيم﴾، وقوله: ﴿وانفروا خفافا وثقالا﴾ قال: شباباً وشُيوخاً، يعني إلى غزوة تبوك[١].

س٣٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٢]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنهم كانوا يستطيعون، وقد كان في العلم أنه لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لفعلوا»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً: «كذّبهم الله عزَّ وجلَّ في قولهم: ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾، وقد كانوا مستطيعين للخروج»[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿لو كان عرضا قريبا﴾، يقول: «غنيمة قريبة ﴿لاتبعوك﴾»[٤].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾: يعني إلى تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يسافر سفراً أبعد منه ولا أشدّ، وكان سبب ذلك أن الصيَّافة[٥] كانوا يقدمون المدينة من الشام ومعهم الدُّرْنُوك[٦] والطعام، وهم الأنباط، فأشاعوا بالمدينة أنّ الروم قد اجتمعوا يُريدون غزو

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٢٩٠.

(٢) التوحيد: ص٣٥١، ح١٥.

(٣) التوحيد: ص٣٥١، ح١٦.

(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٢٩٠.

(٥) أي الذين يمترون في الصيف.

(٦) الدُّرْنُوك: ضرب من البُسط ذو خمل. «الصحاح ـ درنك ـ ج٤، ص١٥٨٣».

رسول الله ﷺ في عسكرٍ، وأنّ هرقل قد سار في جنوده، وجلبَ معهم غسّان وجُذام وبهراء وعاملة، وقد قدم عساكره البلقاء[١]، ونزَل هو حِمْص.

فأمر رسول الله ﷺ أصحابهُ بالتهيؤ إلى تبوك، وهي من بلاد البلقاء، وبعث إلى القبائل حوله، وإلى مكّة، وإلى من أسلم من خزاعة ومزينة وجهينة، فحثَّهُم على الجهاد، وأمر رسول الله ﷺ بعسكره فضرب في ثنيّة الوداع[٢]، وأمر أهل الجدة أن يُعينوا من لا قوّة به، ومن كان عنده شيء أخرجه، وحملوا وقووا وحثّوا على ذلك.

وخطب رسول الله ﷺ، فقال بعد حَمْدِ الله والثّناء عليه: «أيّها الناس، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأولى القول كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السُّنن سُنّة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشرّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتلى الشُّهداء، وأعمى العمى الضّلالة بعد الهدى. وخيرَ الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتُّبع، وشرّ العمى عمى القلب، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وما قل وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشرّ النّدامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجُمعة إلاّ نُزراً، منهم من لا يذكر الله إلاّ هجراً، ومن أعظم الخطايا اللّسان الكذب، وخير الغنى غنى النّفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما أُلقي في القلب اليقين. والارتياب من الكفر، والتباعُد من عمل الجاهليّة، والغُلول من قَيح جهنّم، والسّكر جمر النار، والشّعر من إبليس، والخَمر جماع الإثم، والنّساء حبائل إبليس، والشّباب شُعبةٌ من

---

(١) البَلْقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القُرى. «معجم البلدان: ج١، ص٤٨٩».

(٢) ثنيّة الوداع: اسمُ موضعٍ مشرفٍ على المدينة. «معجم البلدان: ج٢، ص٨٦».

الجُنون، وشرّ المكاسب كسبُ الرّبا، وشرّ الأكل أكل مال اليتيم، والسّعيد من وعظ بغيره، والشّقيّ من شقي في بطن أمّه. وإنّما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرعٍ والأمر إلى آخره، وملاك الأمر خواتيمه، وأربى الربا الكذب، وكلّ ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه[1] من معصية الله، وحرمة مالِه كحُرمة دمه، ومن توكل على الله كفاه، ومن صبر ظفر، ومن يعفُ يعف الله عنه، ومن كظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرّزيّة يعوّضه الله، ومن يتّبع السّمعة يسمّعُ الله[2] به، ومن يصُم يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذّبه. اللهمّ اغفر لي ولأُمّتي، اللهمّ اغفر لي ولأمّتي، أستغفر الله لي ولكم».

قال: فرغِب النّاسُ في الجهاد لمّا سمعوا هذا من رسول الله ﷺ، وقدمت القبائل من العرب ممّن استنفرهم، وقعد عنه قومٌ من المنافقين وغيرهم، ولقي رسول الله ﷺ الجَدَّ بن قيس، فقال له: «يا أبا وهب، ألا تنفر معنا في هذه الغزاة، لعلّك أن تستحفد[3] من بنات الأصفر[4]؟» فقال: يا رسول الله، والله إنّ قومي ليعلمون أن ليس فيهم أحدٌ أشد عجباً بالنساء منّي، وأخاف إن خرجتُ معك أن لا أصبر إذا رأيتُ بنات الأصفر، فلا تفتنّي، وائذن لي أن أُقيم. وقال لجماعةٍ من قومه: لا تخرجوا في الحرّ. فقال ابنه: تَرُدّ على رسول الله ﷺ وتقول له ما تقول، ثمّ تقول لقَومِك: لا تنفروا في الحرّ، والله ليُنزِلَنّ الله في هذا قُرآناً يقرؤه النّاسُ إلى يوم القيامة. فأنزل الله

---

(١) قوله: وأكل لحمه، أي بالغيبة.

(٢) أي يعمل العمل ليسمعه النّاس، أو يذكر عمله للناس ويُحبّ ذلك، ويسمع الله به: أي يشهر الله تعالى بمساوىء عمله وسوء سريرته.

(٣) حفد: خدم، وقوله: تستحفد، أي تجعلهنّ حفدةً لك، أي أعواناً وخدماً.

(٤) بنو الأصفر: ملوك الروم.

على رسوله في ذلك: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

ثمّ قال الجَدُّ بن قيس: أيطمَعُ محمّد أنّ حرب الرّوم مثلُ حربِ غيرهم، لا يرجعُ من هؤلاء أحدٌ أبداً[٢].

س٣١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٣]؟!

الجواب/ قال عليّ بن محمّد بن الجَهْم: حَضرتُ مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بنَ رسول الله، أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: «بلى». فقال له المأمون فيما سأله: يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.

قال الرّضا عليه السلام: «هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله تعالى بذلك نبيّه صلى الله عليه وآله وأراد به أمّته، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[٤]». قال: صدقتَ، يا بن رسول الله[٥]. وقال أبو جعفر عليه السلام: يقول: «تَعرِف أهل العُذر[٦] والذين جلسوا بغير عُذرٍ»[٧].

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٩٠.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الإسراء: ٧٤.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٠٢، ح١.

(٦) في «ط»: أهل الزور.

(٧) تفسير القمّيّ: ج١، ص٢٩٣.

س٣٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)﴾

[سورة التوبة: ٤٤ ـ ٤٧]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ إلى قوله: ﴿ما زادوكم إلا خبالا﴾: أي وَبالاً، ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي هربوا عنكم، وتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قَوْمٌ من أهل الثَّبات والبصائر لم يكُن يلحقهم شكٌّ ولا ارتياب، ولكنّهم قالوا: نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله، منهم: أبو خيثمة وكان قويّاً، وكانت له زوجتان وعريشان[1]، وكانت زوجَتاه قد رشَّتا عريشيه، وبرَّدتا له الماء، وهيّأتا له طعاماً، فأشرف على عريشيه، فلمّا نظر إليهما، قال: لا والله، ما هذا بإنصاف، رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قد خرج في الضِّحّ[2] والرّيح، وقد حمل السّلاح يُجاهدُ في سبيل الله، وأبو خيثمة قويٌّ قاعدٌ في عريشه وامرأتين حسناوين، لا والله، ما هذا بإنصاف. ثمّ أخذ ناقته فشدَّ عليها رَحْلَه ولَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر الناس إلى راكِبٍ على الطريق، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «كُنْ أبا خيثمة» فأقبَل وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بما كان

---

(١) العريش: ما يُستظلّ به. «الصحاح ـ عرش ـ ج٣، ص١٠١٠».

(٢) الضِّحّ: الشمس. «الصحاح ـ ضحح ـ ج١، ص٣٨٥».

منه، فجَزاه خيراً ودعا له.

وكان أبو ذرّ (رحمه الله) تخلّف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جملَه كان أعجَف[١]، فلحِق بعد ثلاثة أيّام به، ووقَف عليه جمَلُه في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلمّا ارتفع النّهار نظرَ المسلمون إلى شَخصٍ مُقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا ذر» فقالوا: هو أبو ذرّ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أدرِكوه بالماء فإنّه عطشان» فأدركوه بالماء، ووافى أبو ذرّ رسول الله ﷺ ومعه إداوة[٢] فيها ماء، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا ذرّ، معك ماء وعَطِشْت!» قال: نعم ـ يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي ـ انتهَيْتُ إلى صَخْرَةٍ عليها ماء السّماء فذُقتُه، فإذا هو عذبٌ بارد، فقلتُ: لا أشربُه حتّى يشرب حبيبي رسول الله.

فقال رسول الله: «يا أبا ذرّ ـ رحمك الله ـ تعيشُ وحدك، وتموتُ وحدَك، وتُبعَثُ وحدك، وتدخُل الجنّة وحدك، يَسعد بك قومٌ من أهلِ العراق، يتولّونَ غُسْلَك وتجهيزك والصّلاة عليك ودفنك».

فلمّا سيّر به عُثمان إلى الرَّبَذة، فمات بها ابنُه ذرّ، وقف على قبره، فقال: رحِمَكَ الله ـ يا ذَرّ ـ لقد كُنتَ كريمَ الخُلق، بارّاً بالوالدين، وما عليَّ في موتِك من غضاضَةٍ[٣]، ما بي إلى غير الله من حاجةٍ، وقد شغَلني الاهتمامُ بك عن الاغتِمام لك، ولولا هَوْل المَطلع لأحببتُ أن أكونَ مكانك، فلَيْتَ شِعري ما قالوا لك، وما قلتَ؟ ثمّ رفَع يده فقال: اللهمّ إنّك فرضتَ لك عليه حقوقاً، وفرضتَ لي عليه حقوقاً، فإنّي قد وهبتُ له ما فرضت لي عليه من

---

(١) الأعجف: المهزول. «الصحاح ـ عجف ـ ج٤، ص١٣٩٩».

(٢) الإداوة: المطهَرَة. «الصحاح ـ أدا ـ ج٦، ص٢٢٦٦».

(٣) الغضاضة: الذلّة والمنقصة. «القاموس المحيط ـ غاض ـ ج٢، ص٣٥١».

حقوقي، فهب له ما فرضتَ عليه من حقوقك، فإنّك أولى بالحقّ وأكرَم منّي.

وكانت لأبي ذرّ غُنيمات يعيش هو وعياله منها، فأصابها داءٌ، يقال له: النُّقاز[1]، فماتت كلُّها، فأصاب أبا ذرّ وابنتهُ الجوعُ فماتت أهلُه، فقالت ابنتُه: أصابنا الجوع، وبقينا ثلاثة أيّام لم نأكُل شيئاً.

فقال: يا بُنيَّة، قومي بنا إلى الرَّمْلِ نطلُب القَتّ ـ وهو نبت له حبّ ـ فصِرنا إلى الرّملِ، فلم نجد شيئاً، فجمَع أبي رَملاً ووضع رأسه عليه، ورأيتُ عينيه قد انقلبتا، فبكيتُ، وقلت له: يا أبتِ، كيف أصنعُ بك وأنا وحيدة؟

فقال: يا بُنيّة، لا تَخافي فإنّي إذا مُتُّ جاءَكِ من أهل العراق من يكفيكِ أمري، فإنّه أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، فقال: «يا أبا ذرّ، تَعيشُ وحدكَ، وتموتُ وحدك، وتُبعثُ وحدَك، وتدخُل الجنّة وحدك، يسعد بك أقوامٌ من أهل العراق، يتولّونَ غُسلَك وتجهيزَك ودفنك». فإذا أنا مُتّ فمُدّي الكساء على وجهي، ثم اقعدي على طريق العراق فإذا أقبل ركبٌ فقومي إليهم، وقولي: هذا أبو ذرّ، صاحِبُ رسول الله ﷺ قد توفي.

قال: فدخل عليه قومٌ من أهل الرَّبَذَة، فقالوا: يا أبا ذر، ما تشتكي؟ قال: ذُنوبي؟ قالوا: فما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربّي. قالوا: فهل لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرَضَني.

قالت ابنتُه: فلمّا عايَنَ الموت سَمِعتُه يقول: مرحباً بحبيبٍ أتى على فاقَةٍ، لا أفلَحَ من ندم، اللّهمّ خَنّقني خناقك، فوحقّكَ إنّك لتعلم أنّي أحِبّ لقاءك.

قالت ابنته: فلمّا ماتَ مددتُ الكساء على وجهِه، ثمّ قعدتُ على طريق العراق، فجاءَ نفرٌ فقلتُ لهم: يا معشر المُسلِمين، هذا أبو ذرّ صاحبُ رسول

---

(١) النُّقاز: داءٌ يأخذ الغنم فتنفز منه حتى تموت. «الصحاح ـ نقز ـ ج٣، ص٩٠٠».

اللهﷺ، قد تُوفي. فنزلوا ومشوا وهُم يبكون فجاءوا فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه، وكان فيهم الأشْتر. فرُوي أنّه قال: دفنتُه في حلّةٍ كانت معي قيمتُها أربعة آلاف درهم.

قالت ابنتُه: فكُنتُ أُصلّي بصلاته، وأصوم بصيامه، فبينا أنا ذات ليلةٍ نائمةٌ عند قبره إذ سمعتُه يتهجّد بالقرآن في نومي، كما كان يتهجّدُ به في حياته. فقلتُ: يا أبت، ماذا فعل بك ربُّك؟ فقال: يا بُنيّة، قدِمتُ على ربٍّ كريمٍ، رضي عنّي ورضيتُ عنه، وأكرمني وحباني، فاعمَلوا ولا تغترّوا.

وكان مع رسول اللهﷺ بتَبوك رجلٌ يقال له: المُضَرَّب، من كثرة ضرباته التي أصابته ببدرٍ وأُحُد، فقال له رسول اللهﷺ: «عُدَّ لي أهل العسكر» فعددَهُم، فقال: إنهم خمسةٌ وعشرون ألف رجلٍ سوى العبيد والتُّبّاع. فقال: «عُدّ المؤمنين». فعددَهم فقال: هم خمسةٌ وعشرون رجُلاً.

وقد كان تخلّف عن رسول اللهﷺ قومٌ من المنافقين، وقومٌ من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاقٍ، منهم: كعب بن مالك الشّاعر، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أُميّة الواقفي[١]. فلمّا تاب الله عليهم، قال كَعْب: ما كُنتُ قطّ أقوى منّي في ذلك الوقت الذي خرَج رسول اللهﷺ إلى تَبوك، وما اجتمعت لي راحلتان قطّ إلاّ في ذلك اليوم، وكنتُ أقول: أخرُج غداً، أخرج بعد غدٍ، فإنّي قويّ، وتوانَيتُ وبقيت بعد خُروج النبيﷺ أياماً، أدخُل السوقَ فلا أقضي حاجةً، فلقيتُ هِلالَ بن أُميّة ومرارة بن الرّبيع، وقد كانا تخَلّفا أيضاً، فتوافَقنا أن نبكّر إلى السّوق، ولم نقضِ حاجةً، فما زِلنا نقول: نخرُج غداً وبعد غدٍ. حتّى بلغنا إقبال رسول اللهﷺ فندِمنا.

فلمّا وافى رسول اللهﷺ استقبلناه نهنّئه بالسّلامة، فسلّمنا عليه فلم يَرُدّ

---

(١) في «س» و«ط»: الرافعي، تصحيف صوابه ما في المتن، نسبة إلى بني واقف، بطن من الأوس، انظر أسد الغابة ج٥، ص٦٦ وأنساب السمعاني ج٥، ص٥٦٧.

علينا السلام، وأعرض عنّا، وسلّمنا على إخواننا فلم يرُدّوا علينا السلام، فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا، وكُنّا نحضر المسجِدَ فلا يُسلّم علينا أحدٌ ولا يُكلّمُنا، فجاءت نساؤنا إلى رسول الله ﷺ، فقُلنَ: قد بلغنا سخطك على أزواجنا، أفنعتزلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تعتزلنّهم، ولكن لا يقربوكُن».

فلما رأى كعبُ بن مالك وصاحباه ما قد حلّ بهم، قالوا: ما يُقعدنا بالمدينة ولا يكلّمُنا رسول الله، ولا إخواننا، ولا أهلونا، فهَلُمّوا نخرُج إلى هذا الجبل، فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت. فخرجوا إلى ذِناب(١) جبلٍ بالمدينة، فكانوا يصومون، وكان أهلوهم يأتونهم بالطّعام فيضعُونَه ناحيةً، ثمّ يُولّون عنهم فلا يكلّمونَهم، فبقوا على هذا أيّاماً كثيرةً يبكون بالليل والنهار، ويدعون الله أن يغفر لهم. فلمّا طال عليهم الأمر، قال لهُم كعب: يا قوم، قد سخِط الله علينا ورسوله، وقد سخطَ علينا أهلونا وإخوانُنا، فلا يُكلّمُنا أحدٌ، فلمَ لا يسخطُ بعضنا على بعضٍ.

فتفرّقوا في الجَبَل، وحلفوا أن لا يُكلّم أحدٌ منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على ذلك ثلاثة أيّام، وكلُّ واحدٍ منهم في ناحيةٍ من الجبل، لا يرى أحدٌ منهم صاحبه ولا يُكلّمه، فلمّا كان في الليلة الثالثة ورسول الله ﷺ في بيتِ أمّ سلمة نزلت توبتُهم على رسول الله ﷺ،

قوله: «لقد تابَ الله بالنبيّ على المهاجرينَ والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة» قال الصادق عليه السلام: «هكذا نزلت. وهو أبو ذرّ وأبو خيثمة وعمرو بن وهب الذين تخلّفوا، ثم لحقوا برسول الله ﷺ».

ثمّ قال في هؤلاء الثلاثة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾(٢)، فقال

---

(١) الذِناب من كلّ شيءٍ: عقبه ومؤخره. «أقرب الموارد ـ ذنب ـ ج١، ص٣٧٤».

(٢) التوبة: ١١٨.

العالِم عليه السلام : «إنّما أنزل: وعلى الثلاثة الذين خالفوا. ولو خُلّفوا لم يكن عليهم عيب ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ حيثُ لم يُكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا إخوانُهم ولا أهلوهُم، فضاقت عليهم المدينةُ حتّى خرجوا منها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[١] حيث حلفوا أن لا يُكلّم بعضهم بعضاً فتفرّقوا، وتاب الله عليهم لما عرف من صدق نيّاتهم»[٢].

والمغيرة سمعته يقول في قول الله: ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾.

قال: «يعني بالعُدَّة النّيَّة، يقول: لو كان لهم نيّة لخرجوا»[٣].

س٣٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): أقسم الله تعالى أن هؤلاء المنافقين ﴿ابتغوا﴾ أي طلبوا إفساد ذات بينكم وافترق كلمتكم في يوم أحد حتى انصرف عبد الله بن أبي بأصحابه وخذل النبي صلى الله عليه وآله وكان هو وجماعة من المنافقين يبغون للإسلام الغوائل قبل هذا، فسلم الله المؤمنين من فتنتهم وصرفها عنهم. وقوله ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ فالتقليب هو تصريف الشيء بجعل أسفله أعلاه مرة بعد أخرى، فهؤلاء صرفوا القول في المعنى للحيلة والمكيدة، وقوله ﴿حتى جاء الحق﴾ أي حتى أتى الحق ﴿وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ أي في حال كراهتهم لذلك، فهي جملة موضع الحال. والظهور

---

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٢٩٤.

(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص٨٩، ح٦٠.

خروج الشيء إلى حيث يقع عليه الإدراك وقد يظهر المعنى للنفس إذا حصل العلم به[١].

❁ س٣٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: نزلت هذه الآية في ألحد بن قيس، وذلك أن النبي ﷺ لما دعا الناس إلى الخروج إلى غزوة تبوك لقتال الروم جاءه ألحد بن قيس، فقال: يا رسول الله إني رجل مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر، قال الفراء: سمي الروم أصفر، لأن حبشياً غلب على ناحية الروم، وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفراً لعسا، فنزلت هذه الآية فيه.

[وقيل: معنى ولا تفتني ولا تؤثمني بالعصيان في المخالفة التي توجب الفرقة، فتضمنت الآية أن من جملة المنافقين من استأذن النبي ﷺ في التأخر عن الخروج، والإذن رفع التبعة في الفعل، وهو والإباحة بمعنى، وقال له ﴿لا تفتني﴾ أي لا تؤثمني بأن تكلفني المشقة في ذلك فأهم بالعصيان أولاً تفتني ببنات أصفر على ما حكيناه، فقال الله تعالى: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أي وقعوا في الكفر والمعصية بهذا القول وبهذا الفعل. والسقوط الوقوع إلى جهة السفل ووقوع الفعل حدوثه وسقوطه أيضاً. وقوله ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ أخبار منه تعالى أن جهنم مطيفة بما فيها من جميع جهاتها بالكافرين. والإحاطة والإطافة والأحداق نظائر في اللغة. ولا يدل ذلك على أنها لا تحيط بغير الكفار من الفساق ألا ترى أنها تحيط بالزبانية والمتولين

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

للعقاب، فلا تعلق للخوارج بذلك[١].

❁ س٣٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥٠-٥١]؟!

الجواب/ قال أبو جعفرعليه السلام، في قوله: ﴿إن تصبك حسنة تسوهم وإن تصبك مصيبة﴾: «أمّا الحسنة فالغنيمة والعافية، وأما المصيبة فالبلاء والشدّة﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾»[٢].

❁ س٣٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

[سورة التوبة: ٥٢]؟!

الجواب/ قال أبو حمزة: قلت لأبي جعفرعليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾؟

قال: «إمّا موتٌ في طاعة الله، أو إدراك ظهور إمام﴿ونحن نتربص بكم﴾ مع ما نحن فيه من المشقّة﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ - قال: - هو المسخ﴿أو بأيدينا﴾ وهو القتل، قال الله عزّ وجلّ لنبيّهصلى الله عليه وآله: ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾»[٣].

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٢٩٢.

(٣) الكافي: ج٨، ص٢٨٦، ح٤٣١.

س٣٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٣ ـ ٥٧]؟!

الجواب/ قال أبو أميّة يوسف ابن ثابت بن أبي سعيدة، أنّهم قالوا حين دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام: إنّما أحببناكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولما أوْجَبَ الله عزّ وجلّ من حقّكم، ما أحببناكم للدُّنيا نُصيبها منكم إلاّ لوجهِ الله والدار الآخرة، وليصلِحَ امرؤٌ منّا دينه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «صدقتُم، صدقتم». ثمّ قال: «من أحبَّنا كان معنا ـ أو جاء معنا ـ يوم القيامة هكذا». ثم جمع بين السَّبّابتين. ثمّ قال: «والله لو أنّ رجلاً صام النّهار وقام الليل، ثم لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتنا أهل البيت للقيهُ وهو عنه غيرُ راضٍ، أو ساخطٌ عليه» ثمّ قال: «وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾».

ثمّ قال: «وكذلك الإيمان لا يضُرُّ معه العمل، وكذلك الكفر لا ينفعُ معه العمَل». ثمّ قال: «إن تكونوا وحدانيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدانياً،

يدعو الناس فلا يستجيبون له، وكان أوّلُ من استجاب له عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبيّ بعدي»[١].

وقال عليّ بن إبراهيم: وقوله في المُنافقين: ﴿قل﴾ لهم يا محمّد: ﴿أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين﴾ إلى قوله: ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾، وكانوا يحلفون للرّسول أنهم مؤمنون، فأنزل الله ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات﴾ يعني غارات في الجبال، ﴿أو مدخلا﴾ قال: موضعاً يلتجئون إليه ﴿لولوا إليه وهم يجمحون﴾ أي يعرضون عنكم[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: في معنى ﴿مدخلا﴾ أسراباً في الأرض[٣].

❁ س٣٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٨ ـ ٦٠]؟!

الجواب/ قال إسحاق بن غالب: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، كم ترى أصحاب هذه الآية: ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾؟». ثمّ قال لي: «هم أكثرُ من ثلثي الناس»[٤].

---

(١) الكافي: ج٨، ص١٠٦.
(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٢٩٨.
(٣) مجمع البيان: ج٥، ص٦٢.
(٤) كتاب الزهد: ج٤٧، ص١٢٦.

وقال عليّ بن إبراهيم: أنّها نزلت لمّا جاءت الصّدقات، وجاء الأغنياء وظنّوا أن الرّسول ﷺ يُقسّمُها بينهم، فلمّا وضعها رسول الله ﷺ في الفقراء تغامزُوا رسول الله ﷺ ولَمَزوه، وقالوا: نحن الذين نقوم في الحرب، ونغزو معه، ونُقوّي أمره، ثمّ يدفَع الصّدقات إلى هؤلاء الذين لا يُعينونَه، ولا يُغنون عنه شيئاً؟! فأنزل الله: ﴿ولو أنهم رضوا ما ءاتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾.

ثمّ فسّر الله عزّ وجلّ الصّدقات لمن هي، وعلى من تجب، فقال: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ فأخرج الله من الصّدقات جميع الناس إلاّ هذه الثمانية أصناف الذين سمّاهم الله.

وبيّن الصادق عليه السلام من هم، فقال: «الفقراء: هم الذين لا يسألون وعليهم مُؤناتٌ من عيالهم، والدّليل علىٰ أنتهم هم الذين لا يسألون قول الله في سورة البقرة: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1].

﴿والمساكين﴾ هم أهلُ الزمانة[2] من العُميان والعُرجان والمجذومين، وجميع أصناف الزّمْنى من الرّجال والنّساء والصّبيان. ﴿والعاملين عليها﴾ هم السُّعاة والجُباة في أخذِها وجمعها وحفظها حتى يؤدّوها إلى من يقسمها. ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ هم قومٌ وحّدوا الله ولم تدخل المعرفة في قلوبهم من أنّ

---

(١) البقرة: ٢٧٣.

(٢) الزّمَانة: العَاهة. «لسان العرب ـ زمن ـ ج١٣، ص١٩٩».

محمّداً رسول الله، فكان رسول الله ﷺ يتألّفهم ويعلّمُهم كيما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصَّدقات كي يعرفوا ويرغبوا».

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «المُؤلّفة قلوبُهم: أبو سفيان بن حرب بن أُميّة، وسُهيل بن عمرو، وهو من بني عامر بن لُوي، وهمّام بن عمرو وأخوه، وصفوان بن أميّة بن خلف القُرَشي ثمّ الجُمَحي، والأقرَع بن حابِس التميمي ثمّ أحدُ بني حازم، وعُيينة بن حصن الفَزَاريّ، ومالك بن عوف، وعلقمة بن عُلاثة، بلغني أن رسول الله ﷺ كان يُعطي الرجل منهم مائة من الإبل ورُعاتها، وأكثر من ذلك وأقلّ».

﴿وفي الرقاب﴾ قومٌ قد لزمهم كفّارات في قتل الخطأ، وفي الظِّهار، وقتل الصَّيد في الحرم، وفي الإيمان، وليس عندهم ما يُكفِّرون، وهم مؤمنون، فجعل الله لهم منها سهماً في الصَّدقات ليُكفِّر عنهم. ﴿والغارمين﴾ قومٌ وقعت عليهم دُيون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف، فيجبُ على الإمام أن يقضي ذلك عنهم ويكفيهُم من مال الصَّدقات ﴿وفي سبيل الله﴾ قومٌ يخرجون إلى الجهاد وليس عندهم ما يُنفقون، أو قومٌ من المسلمين ليس عندهم ما يحُجّون به، أو في جميع سُبُل الخير، فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصَّدقات حتى يَقوَوا به على الحجّ والجهاد ﴿وابن السبيل﴾ أبناء الطُّريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويذهب مالهم، فعلى الإمام أن يرُدَّهم إلى أوطانهم من مال الصَّدقات.

والصَّدقات تتجزّأ ثمانية أجزاء، فيعطى كلُّ إنسانٍ من هذه الثمانية على قدر ما يحتاج إليه بلا إسرافٍ ولا تقتير، مُفوَّضٌ ذلك إلى الإمام، يعملُ بما فيه الصَّلاح»[١].

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٩٨.

وقال زرارة لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾ أكلّ هؤلاء يعطى، وإن كان لا يعرف؟ فقال: «إنّ الإمام يُعطي هؤلاء جميعاً، لأنهم قرّون له بالطاعة».

قال: قلتُ: فإن كانوا لا يعرفون؟ فقال: «يا زُرارة، لو كان يُعطي من يعرفُ دون من لا يعرف ما يوجدُ لها موضع، وإنّما يُعطي من لا يعرف ليرغب في الدّين فيثبُتَ عليه، فأمّا اليوم فلا تُعطها أنت وأصحابُك إلاّ من يعرف، فمن وجدت من أصحابك هؤلاء المسلمين عارفاً فأعطه دون الناس». ثمّ قال: «سَهمُ المُؤلّفة قلوبهم وسهمُ الرّقاب عامٌ، والباقي خاصّ».

قال: قلت: فإن لم يُوجدوا؟ قال: «لا تكونُ فريضَةٌ فرضها الله عزّ وجلّ، إلاّ يوجدُ لها أهل».

قال: قلت: فإن لم تسعُهُم الصّدقاتُ؟ فقال: «إنّ الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعُهُم، ولو علم أن ذلك لا يسعُهُم لزادهم، إنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله، ولكن أُتوا من منع من منعهم حقّهم لا ممّا فرض الله لهم، ولو أنّ الناس أدّوا حقوقهم لكانوا عائشين بخير»(١).

❁ س٣٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة التوبة: ٦١] وما سبب نزولها؟!

الجواب/ ١ ـ التفسير: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّي أردت أن أستبضع

---

(١) الكافي: ج٣، ص٤٩٦، ح١.

فلاناً بضاعةً إلى اليمن، فأتيتُ إلى أبي جعفرعَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلتُ: إني أريد أن أستبضع فلاناً؟ فقال لي: أما علمت أنه يشربُ الخمر؟». فقلتُ: قد بلغني من المؤمنين أنّهم يقولون ذلك. فقال: «صدّقْهم، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾». فقال: «يعني يُصدّق الله ويصدّق المؤمنين، لأنّه كان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين»[1].

وقال أبو جعفر الباقرعَلَيْهِ السَّلَامُ: «حجّ رسول اللهﷺ ـ وذكر خطبة رسول اللهﷺ يوم الغدير التي تضمّنت نصب عليّعَلَيْهِ السَّلَامُ إماماً للناس ـ قالﷺ في خطبته:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية.

معاشر الناس، ما قصّرتُ عن تبليغ ما أنزله، وأنا مبيّنٌ سبب هذه الآية، أنّ جبرئيلعَلَيْهِ السَّلَامُ هبط إليّ مراراً ثلاثاً، يأمرني عن السّلام ربّي، وهو السّلام، أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كلّ أبيض وأحمر وأسود أنّ عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي، وهو الإمام بعدي الذي محلُّه منّي محلُّ هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، ولِيُّكم بعد الله ورسوله. وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2] وعليّ بن أبي طالب الذي أقام الصلاة، وآتى الزكاة وهو راكِع، يُريدُ الله عزّ وجلّ في كلّ حال.

وسألتُ جبرئيلعَلَيْهِ السَّلَامُ أن يستعفي لي من تبليغ ذلك إليكم، لعلمي بقلّة المُتّقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل المستهزئين الذين وصفهم

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٩٥، ح٨٣.

(٢) المائدة: ٥٥.

الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم، لكثرة أذاهم غير مرّةٍ حتى سمّوني أذناً، وزعموا أنّه لكثرة ملازمتي إيّاه وإقبالي عليه حتى أنزل الله في ذلك: ﴿الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾، فقال: ﴿قل أذن﴾ على الذين تزعمون أنه أذن ﴿خير لكم﴾ إلى آخر الآية. ولو شئت أن أُسمّي القائلين بأسمائهم، لسمّيت وأومأت [إليهم] بأعيانهم، ولو شئت أن أدلّ عليهم لدللت، ولكنّي في أمرهم قد تكرّمت، وكلُّ ذلك لا يُرضي الله منّي إلا أن أبلّغ ما أنزل إليّ، فقال: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ في عليّ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١)»(٢).

٢ ـ سبب النزول: قال علي بن إبراهيم: كان سبب نزولها أن عبد الله بن نفيل كان منافقاً، وكان يقعد لرسول الله ﷺ فيسمع كلامه وينقله إلى المنافقين، وينمُّ عليه، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد، إنّ رجلاً من المنافقين ينمّ [عليك]، وينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله ﷺ: «من هو؟».

فقال: يا رسول الله، الرّجل الأسود الوجه، الكثير شعر الرأس، ينظر بعينين كأنهما قدران، وينطق بلسان شيطان. فدعاه رسول الله ﷺ فأخبره فحلف أنه لم يفعل، فقال رسول الله ﷺ: «قد قبلتُ منك، فلا تفعل».

فرجع إلى أصحابه، فقال: إنّ محمداً أُذُنٌ، أخبره الله أني أنُمُّ عليه، وأنقل أخباره فقبل. وأخبرته أنّي لم أفعل ذلك فقبل، فأنزل الله على نبيّه ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) روضة الواعظين: ص٩٢.

ويؤمن للمؤمنين﴾ أي يصدّق الله فيما يقول الله، يصدّقكم فيما تعتذرون إليه في الظاهر، ولا يصدّقك الباطن، قوله: ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ يعني المقرّين بالإيمان من غير انتقاد[١].

وهذا هو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام[٢].

س٤٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٢]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ أنّها نزلت في المنافقين الذين كانوا يحلفون للمؤمنين أنّهم منهم لكي يرضى عنهم المؤمنون، فقال الله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾[٣].

س٤١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): يقول الله تعالى على وجه التهديد والتقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين «ألم يعلموا» أي أو ما علموا ﴿أنه من يحادد الله﴾ أي يتجاوز حدود الله التي أمر المكلفين أن لا يتجاوزوها، فالمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة ومثله المباعدة. والمعنى مصيرهم في حد غير حد أولياء الله. فالمخالفة والمحادة والمجانبة والمعاداة

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٠.

(٢) نهج البيان: ج٢، ص١٤٠ (مخطوط).

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٠.

نظائر في اللغة.

وإنما قال: لمن لا يعلم ﴿ألم يعلموا﴾ لأحد أمرين: أحدهما: على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه.

والآخر: أنه يجب أن تعلموا الآن هذه الأخبار. وقال الجبائي: معناه ألم يخبرهم النبي صلى الله عليه وآله بذلك. وقوله ﴿فإن له نار جهنم خالدا فيها﴾ يحتمل أن يكون على التكرير، لأن الأولى للتأكيد مع طول الكلام، وتقديره فله نار جهنم أو فان له نار جهنم.

قال الزجاج، ولو قرىء ﴿فإن﴾ بكسر الهمزة على وجه الاستئناف كان جائزاً، غير أنه لم يقرأ به أحد.

وقوله ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ معناه ذلك الذي ذكرناه من أن له نار جهنم هو الخزي يعني الهوان بما يستحي من مثله. تقول: خزي خزياً إذا انقمع للهوان فأخزاه إخزاء وخزياً.

س٤٢: ما هي قصة قوله تعالى:

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٤ ـ ٦٦] وما هو التفسير؟!

الجواب/ القصّة: قال الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «لقد رامتِ الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، فما قدروا على مغالبة ربّهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام لمّا فخّم من

أمره، وعظم من شأنه.

من ذلك: أنه لما خرج من المدينة، وقد كان خلّفه عليها، قال له: إن جبرئيل أتاني، وقال لي: يا محمّد، إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: يا محمد، إمّا أن تخرج أنت ويقيم علي، وإما أن تقيم أنت ويخرج عليّ، فإنّ عليّاً قد ندبته لإحدى اثنتين، لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري. فلمّا خلّفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا: ملّهُ وسئمه، وكره صحبته. فتبعه عليّ عليه السلام حتى لحقه، وقد وجد ممّا قالوا فيه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشخصك عن مركزك؟ قال: بلغني عن الناس كذا وكذا. فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي. فانصرف عليّ عليه السلام إلى موضعه، فدبّروا عليه أن يقتلوه، وتقدّموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرةً طويلةً قدر خمسين ذراعاً، ثم غطّوها بحصر رقاق، وثروا فوقها يسيراً من التراب، بقدر ما غطوا وجوه الحصر، وكان ذلك على طريق عليّ عليه السلام الذي لا بُدّ له من عبوره، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي عمّقوها، وكان ما حوالي المحصور أرضٌ ذات أحجارٌ، ودبّروا على أنّه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه.

فلمّا بلغ عليّ عليه السلام قرب المكان لوى فرسه عنقه، وأطاله الله فبلغت جحفلته[1] أذنه، وقال: يا أمير المؤمنين، قد حفر ها هنا ودبّر عليك الحتف ـ وأنت أعلم ـ لا تمر فيه. فقال له علي عليه السلام: جزاك الله من ناصح خيراً كما أنذرتني، فإن الله عزّ وجلّ لا يخليك من صنعه الجميل. وسار حتى شارف المكان فتوقّف الفرس خوفاً من المرور على المكان، فقال عليّ عليه السلام: سر

(١) الجَحْفَلة لذي الحافر كالشّفة للإنسان. «أقرب الموارد ـ جحفل ـ ج١، ص١٠٤».

بإذن الله تعالى سالماً سويّاً، عجيباً شأنك، بديعاً أمرك. فتبادرت الدّابّة فإذا الله عزّ وجلّ قد متّن الأرض وصلّبها ولأم حفرها، وجعلها كسائر الأرض. فلمّا جاوزها علي عليه السلام لوى الفرس عنقه، ووضع جحفلته على أذنه، ثم قال: ما أكرمك على ربّ العالمين، جوّزك على هذا المكان الخاوي!! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جازاك الله بهذه السّلامة عن تلك النّصيحة التي نصحتني. ثمّ قلب وجه الدّابّة إلى ما يلي كفلها[1] والقوم معه، بعضهم كان أمامه، وبعضهم خلفه، وقال: اكشفوا عن هذا المكان. فكشفوا عنه فإذا هو خاوٍ، ولا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفيرة، فأظهر القوم الفزع والتعجُّب مما رأوا، فقال عليّ عليه السلام للقوم: أتدرون من عمل هذا؟ قالوا: لا ندري. قال عليّ عليه السلام: لكنّ فرسي هذا يدري. ثم قال: يا أيها الفرس، كيف هذا ومن دبّره؟ فقال الفرس: يا أمير المؤمنين، إذا كان الله عزّ وجلّ يبرم ما يروم جهّال الخلق نقضه، أو كان ينقض ما يروم جهّال الخلق إبرامه، فالله هو الغالب، والخلق هم المغلوبون، فعل هذا - يا أمير المؤمنين - فلان وفلان، إلى أن ذكر العشرة بمواطأةٍ من أربعةٍ وعشرين، هم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه.

ثم دبّروا هم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة، والله عزّ وجلّ من وراء حياطة رسول الله صلى الله عليه وآله، ووليُّ الله لا يغلبه الكافرون، فأشار بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله يعني جبرئيل عليه السلام - إلى محمّد رسوله صلى الله عليه وآله أسرع، وكتابه إليه أسبق، فلا يهمنّكم هذا.

فلما قرب رسول الله صلى الله عليه وآله من العقبة التي بإزائها فضائح المنافقين والكافرين نزل دون العقبة، ثم جمعهم، فقال لهم: هذا جبرئيل الروح الأمين، يخبرني أنّ عليّاً دبّر عليه كذا وكذا، فدفع الله عزّ وجلّ عنه بألطافه

(١) كَفَل الدابّة: العجز. «القاموس المحيط - كفل - ج٤، ص٤٦».

وعجائب معجزاته بكذا وكذا، وأنه صلّب الأرض تحت حافر دابّته وأرجل أصحابه، ثمّ انقلب على ذلك الموضع عليّ وكشف عنه فرأيت الحفيرة، ثم إنّ الله عزّ وجلّ لأمها كما كانت لكرامته عليه، وإنّه قيل له: كاتب بهذا، وأرسل إلى رسول الله. فقال: رسول الله إلى رسول الله أسرع، وكتابه إليه أسبق. ولم يخبرهم رسول الله ﷺ بما قال عليّ عليه السلام على باب المدينة: إن من مع رسول الله منافقين سيكيدونه، ويدفع الله عزّ وجلّ عنه.

فلمّا سمع الأربعة والعشرون أصحاب العقبة ما قاله ﷺ في أمْرِ عليّ عليه السلام، قال بعضهم لبعض: ما أمهر محمداً بالمخرقة[1] إنّ فيجاً[2] أتاه مسرعاً، أو طيراً من المدينة من بعض أهله وقع عليه! إنّ عليّاً قُتل بحيلة كذا وكذا، وهو الذي واطأنا عليه أصحابنا، فهو الآن لمّا بلغه كتم الخبر، وقبله إلى ضدّه يريد أن يسكّن من معه لئلاّ يمدوا أيديهم عليه، وهيهات ـ والله ـ ما لبّث عليّاً بالمدينة إلاّ حتفه، ولا أخرج محمّداً إلى ها هنا إلاّ حتفه، وقد هلك عليّ، وهو ها هنا هالكٌ لا مُحالة، ولكن تعالوا حتى نذهب إليه ونظهر له السرور بأمر علي ليكون أسكن لقلبه إلينا، إلى أن نمضي فيه تدبيرنا، فحضروه وهنّؤوه على سلامة عليّ من الورطة التي رامها أعداؤه. ثمّ قالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن عليّ، أهو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟

فقال رسول الله ﷺ: وهل شرُفت الملائكة إلاّ بحبّها لمحمد وعليّ، وقبولها لولايتهما؟ إنّه لا أحد من محبّي علي قد نظّف قلبه من قذر الغش والدّغل والغلّ ونجاسات الذّنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلاّ لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم، إنه لا

---

(١) المخرقة: يراد بها هنا الافتراء والكذب.

(٢) قال في اللسان: وفي الحديث ذكر الفَيْج، وهو المُسرع في مشيه، الذي يحمل الأخبار من بلد إلى بلد. «لسان العرب ـ فيج ـ ج٢، ص٣٥٠».

يصير في الدنيا خلقٌ بعدهم إذا رفعوا عنها إلا وهم ـ يعنون أنفسهم ـ أفضل منهم في الدّين فضلاً، وأعلم بالله علماً. فأراد الله أن يُعرّفهم أنهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلّها، ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها، وعرّفهم فضله في العلم عليهم.

ثمّ أخرج من صلب آدم ذُرّيّته منهم الأنبياء والرسل والخيار من عباد الله، أفضلهم محمّد ثم آل محمّد، ومن الخيار الفاضلين منهم أصحابُ محمد وخيار أمّة محمد، وعرّف الملائكة بذلك أنهم أفضل من الملائكة إذا احتملوا ما حُمّلوه من الأثقال، وقاسوا ما هم فيه من تعرُض أعوان الشّياطين ومجاهدة النفوس، واحتمال أذى ثقل العيال، والاجتهاد في طلب الحلال، ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء من لصوص مخوّفين، ومن سلاطين جورٍ قاهرين، وصعوبة المسالك في المضائق والمخاوف، والأجزاع[1] والجبال والتلال، لتحصيل أقوات الأنفس والعيال، من الطّيب الحلال.

عرّفهم الله عزّ وجلّ أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا، ويتخلّصون منها، ويحاربون الشياطين ويهزمونهم، ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها، ويغلبونها مع ما ركب فيهم من شهوة الفحولة وحبّ اللّباس والطّعام والعزّة والرّئاسة، والفخر والخيلاء، ومقاساة العناء والبلاء من إبليس لعنه الله وعفاريته، وخواطرهم وإغوائهم واستهزائهم، ودفع ما يكابدونه من ألم الصبر على سماع الطّعن من أعداء الله، وسماع الملاهي، والشّتم لأولياء الله، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم، والهرب من أعداء دينهم، والطلب لمن يأملون معاملته من مخالفيهم في دينهم.

قال الله عزّ وجلّ: يا ملائكتي، وأنتم من جميع ذلك بمعزلٍ، لا

---

(١) الأجزاع: جمع جزع، وهو الوادي إذا قطعته عَرضاً. «الصحاح ـ جزع ـ ج٣، ص١١٩٥».

شهوات الفحولة تزعجكم، ولا شهوة الطعام تُحقّركم، ولا الخوف من أعداء دينكم ودنياكم ينخب في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سماواتي وأرضي شغل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم منه. يا ملائكتي، فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات والنّكبات فقد احتمل في جنب محبّتي ما لم تحتملوه، واكتسب من القربات ما لم تكتسبوه.

فلمّا عرّف الله ملائكته فضل خيار أمّة محمدﷺ وشيعة عليّ عليه السلام وخلفائه عليهم، واحتمالهم في جنب محبّة ربّهم ما لا تحتمله الملائكة، أبان بني آدم الخيار المتّقين بالفضل عليهم. ثمّ قال: فلذلك فاسجدوا لآدم. لما كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين. ولم يكن سجودهم لآدم، إنّما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله عزّ وجلّ، وكان بذلك معظّماً مبجّلاً له، ولا ينبغي لأحدٍ أن يسجد لأحدٍ من دون الله، وأن يخضع له خضوعه لله، ويعظّمه بالسّجود له كتعظيمه لله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله، لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلّفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسّط في علوم عليّ وصي رسول الله، ومحض وداد[1] خير خلق الله عليّ بعد محمّد رسول الله، واحتمل المكاره والبلايا في التّصريح بإظهار حقوق الله، ولم يُنكر عليّ حقّاً أرقُبه[2] عليه قد كان جهله أو أغفله.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: عصى الله إبليس فهلك لما كانت معصيته بالكبر على آدم، وعصى الله آدم بأكل الشجرة فسلم ولم يهلك لمّا لم يقارن بمعصيته التكبّر على محمد وآله الطيّبين، وذلك أن الله تعالى قال له: يا آدم، عصاني فيك إبليس وتكبّر عليك فهلك، ولو تواضع لك بأمري، وعظّم عزّ جلالي

---

(١) مَحَض الودّ: أخلصه. «مجمع البحرين ـ محض ـ ج٤، ص٢٢٩».

(٢) رقَبتُ الشيء: رصدته وانتظرته، والمراد هنا: أرصده له وأنتظر رعايته منه. «الصحاح ـ رقب ـ ج١، ص١٣٧».

لأفلح كلَّ الفلاح كما أفلحت، وأنت عصيتني بأكل الشجرة، وبالتّواضع لمحمد وآل محمد تفلح كلَّ الفلاح، وتزول عنك وصمة الزَّلة، فادعني بمحمّد وآله الطّيّبين كذلك. فدعا بهم فأفلح كلّ الفلاح لمّا تمسّك بعروتنا أهل البيت.

ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالرحيل في أوّل نصف الليل الأخير، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقنّ رسول الله أحدٌ إلى العقبة، ولا يطأها حتى يجاوزها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثمّ أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة، فينظر من يمرّ به، ويخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يستتر بحجرٍ، فقال حذيفة: يا رسول الله، إنّي أتبيّنُ الشرّ من وجوه رؤساء عسكرك، وإنّي أخاف أن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدّمك إلى هناك للتّدبير عليك يحسّ بي، فيكشف عنّي فيعرفني وموضعي من نصيحتك فيتّهمني ويخافني فيقتلني.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرةٍ هناك إلى جانب أصل العقبة، وقل لها: إنّ رسول الله يأمرك أن تنفرجي حتى أدخل جوفك، ثم يأمرك أن تثقب فيك ثقبة أبصر منها المارّين، ويدخل عليّ منها الرّوح لئلا أكون من الهالكين، فإنها تصير إلى ما تقول لها بإذن الله ربّ العالمين.

فأدّى حذيفة الرسالة، ودخل جوف الصخرة، وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم، وبين أيديهم رجّالتهم، يقول بعضهم لبعضٍ: من رأيتموه ها هنا كائناً ما كان فاقتلوه، لئلا يخبروا محمّداً أنهم قد رأونا ها هنا فينكص محمد، ولا يصعد هذه العقبة إلاّ نهاراً، فيبطل تدبيرنا عليه. فسمعها حذيفة، واستقصوا فلم يجدوا أحداً. وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم فتفرّقوا، فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك. وبعضهم وقف على

سفح الجبل عن يمين وشمال، وهم يقولون: ألا ترون حين[1] محمد كيف أغراه بأن يمنع الناس من صعود العقبة حتى يقطنها هو، لنخلو به ها هنا، فنمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل؟ وكلّ ذلك يوصله الله من قريب أو بعيد إلى أذن حذيفة، ويعيه.

فلمّا تمكّن القومُ على الجبل حيث أرادوا كلّمتِ الصّخرَةُ حذيفة، وقالت: انطلق الآن إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما رأيت وما سمعت. قال حذيفة: كيف أخرج عنك، وإن رآني القوم قتلوني مخافةً على أنفسهم من نميمتي عليهم؟ قالت الصّخرةُ: إنّ الذي أمكنك من جوفي وأوصل إليك الرّوح من الثُّقبة التي أحدثها فيّ هو الذي يوصلك إلى نبيّ الله وينقذك من أعداء الله. فنهض حذيفة ليخرُج، فانفرجت الصّخرة، فحوّله الله طائراً فطار في الهواء محلّقاً حتى انقضّ بين يدي رسول الله ﷺ، ثمّ أعيد إلى صورته، فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع.

فقال رسول الله ﷺ: أو عرفتهم بوجوههم؟

فقال: يا رسول الله، كانوا متلثّمين وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم، فلمّا فتّشوا الموضع فلم يجدوا أحداً أحدروا اللّثام فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم، فلان وفلان حتى عدّ أربعة وعشرين.

فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة، إذا كان الله تعالى يثبّتُ محمّداً، لم يقدر هؤلاء ولا الخلقَ أجمعون أن يزيلوه، إن الله تعالى بالغٌ في محمّدٍ أمره ولو كره الكافرون. ثمّ قال: يا حذيفة، فانهض بنا أنت وسلمان وعمّار، وتوكّلوا على الله، فإذا جزنا الثّنيّة الصعبة فأذّنوا للنّاس أن يتبعونا.

فصعد رسول الله ﷺعلى ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما آخذٌ بخطام

---

(١) حَيْنُه: أجلُه. «مجمع البحرين ـ حين ـ ج٦، ص٢٤٠».

ناقته يقودها، والآخر خلفها يسوقها، وعمّار إلى جانبها، والقوم على جمالهم ورجالتهم منبثّون حوالي الثّنية على تلك العقبات، وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفّروا الناقة برسول الله ﷺ، وتقع به في المهوى الذي يهول الناظر النظر إليه من بعده، فلمّا قربت الدباب من ناقة رسول الله ﷺ، أذن الله تعالى لها، فارتفعت ارتفاعاً عظيماً، فجاوزت ناقة رسول الله ﷺ ثمّ سقطت في جانب المهوى، ولم يبق منها شيءٌ إلاّ صار كذلك، وناقة رسول الله ﷺ كأنّها لا تحسُّ بشيءٍ من تلك القعقعات[1] التي كانت للدّباب.

ثم قال رسول الله ﷺ لعمّار: اصعد الجبل، فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها. ففعل ذلك عمّار، فنفرت بهم، وسقط بعضهم فانكسر عضده، ومنهم من انكسرت رجله، ومنهم من انكسر جنبه، واشتدّت لذلك أوجاعهم، فلمّا جبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حذيفة وأمير المؤمنين عليه السلام: إنّهما أعلم الناس بالمنافقين، لقعوده في أصل العقبة ومشاهدته من مرّ سابقاً لرسول الله ﷺ، وكفى الله رسوله أمر من قصد له، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكسا الله الذُلّ والعار من كان قد قعد عنه، وألبس الخزي من كان دبّر على عليّ عليه السلام ما دفع الله عنه»[2].

٢ ـ التفسير: قال أبو جعفر عليه السلام: «نزلت هذه الآية: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض نلعب﴾ إلى قوله: ﴿نعذب طائفة﴾» قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: تفسير هذه الآية؟

---

(١) القَعْقَعَة: تتابع الصوت في شدة. «لسان العرب ـ قعع ـ ج٨، ص٢٨٧».
(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٨٠، ح٢٦٥.

قال: «تفسيرُها ـ والله ـ ما نزلت آيةٌ قطّ إلا ولها تفسير». ثمّ قال: «نعم، نزلت في التيميّ والعدويّ والعشَرة معهما، إنّهم اجتمعوا اثنا عشر فكمنوا لرسول الله ﷺ في العَقَبة، وائتمروا بينهم ليقتلوه، فقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنّما كنا نخوض ونلعب. وإن لم يفطن لنقتلنه، فأنزل الله هذه الآية ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ فقال الله لنبيّه ﴿قل أبالله وءاياته ورسوله﴾ يعني محمّداً ﷺ ﴿كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم﴾ يعني عليّاً عليه السلام، إن يعف عنهما في أن يلعنهما على المنابر ويلعن غيرهما فذلك قوله تعالى: ﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفةً﴾»[١].

✿ س٤٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٧]؟!

الجواب/ قال عبد العزيز بن مسلم، سألت الرّضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾.

فقال: «إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنّما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢] وإنّما يُجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣]، وقوله عزّ

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٩٥، ح٨٤.

(٢) مريم: ٦٤.

(٣) الحشر: ١٩.

وجلّ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾[١]، أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا»[٢].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قوله: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ إنّما يعني أنّهم نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة، أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً فصاروا منسيّين من الجنّة - وقيل من الخير -»[٣].

س٤٤: ما هو معنىٰ قوله تعالىٰ:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٨-٦٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم﴾ أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، النار، وكذلك الكفار، وإنما فصل النفاق من الكفر، وإن كان النفاق كفراً، ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين. ﴿خالدين فيها﴾، أي: دائمين فيها ﴿هي حسبهم﴾ معناه. نار جهنم، والعقاب فيها كفاية ذنوبهم، كما يقول عذبتك حسب ما فعلت، وحسب فلان ما نزل به، أي: وعدكم على النفاق والإستهزاء، كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم. وقيل: معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية ﴿كانوا أشد

(١) الأعراف: ٥١.

(٢) التوحيد: ص١٥٩، ح١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١٢٥، ح١٨.

(٣) التوحيد: ص٢٥٩، ح٥.

منكم قوة﴾ في أبدانهم ﴿وأكثر أموالا وأولادا﴾ فلم ينفعهم ذلك شيئا، وحل بهم عذاب الله تعالى ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي: بنصيبهم وحظهم من الدنيا، بأن صرفوها في شهواتهم المحرمة عليهم، وفيما نهاهم الله عنه، ثم اهلكوا ﴿فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ أي: فاستمتعتم أنتم أيضا بحظكم في الدنيا، كما استمتعوا هم ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين، كما خاض الأولون. ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم﴾ التي تقع طاعة من المؤمنين مثل الإنفاق في وجوه الخير، وصلة الرحم، وغيرها ﴿في الدنيا والآخرة﴾ إذ لم يستحقوا عليها ثوابا في الآخرة، ولا تعظيما وتبجيلا في الدنيا، لكفرهم، وشركهم ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ خسروا أنفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدية إلى الهلاك.
ووردت الرواية، عن بن عباس أنه قال في هذه الآية: ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده! لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه. وروي مثل ذلك عن النبي ﷺ قال: لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم، ذراعا بذراع، وشبرا بشبر، وباعا بباع، حتى لو أن أحدا من أولئك دحل جحر ضب، لدخلتموه! قالوا: يا رسول الله! كما صنعت فارس، والروم، وأهل الكتاب؟ قال: فهل الناس إلا هم؟ وقال عبد الله بن مسعود: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل، سمتا وهديا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا. وقال حذيفة: المنافقون الذين فيكم اليوم، شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهمو وهؤلاء أعلنوه. أورد ذلك جميعا الثعلبي في تفسيره[١].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٨٥ ـ ٨٦.

س٤٥ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٠]؟!

الجواب/ قال أبو بصير، قلت لأبي عبد الله عليه السلام، قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[١]؟ قال: «هم أهل البصرة».

قلت: ﴿والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات﴾؟ قال: «أولئك قوم لوطٍ، ائتفكت عليهم، أي انقلبت وصار عاليها سافلها»[٢].

س٤٦ : ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة: ٧١]؟!

الجواب/ قال صفوان بن مهران: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تأتني المرأة المسلمة قد عرفتني بعمل، أعرفها بإسلامها، ليس لها محرم، فأحملها؟

قال: «فاحملها، فإن المؤمن محرم للمؤمنة». ثمّ تلا هذه الآية: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[٣].

قلت: صفوان بن مهران هو الجمّال، وقوله: «أجملها» أي أسوقها إلى مكّة، أورد الشيخ هذا الحديث في كتاب الحجّ.

---

(١) النجم: ٥٣.

(٢) الكافي: ج٨، ص١٨٠، ح٢٠٢.

(٣) التهذيب: ج٥، ص٤٠١، ح١٣٩٥.

س٤٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٢]؟!

الجواب/ قال علي بن الحسين عليه السلام: «إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليُّ الله إلى جنّاته ومساكنه واتّكأ كلُّ مؤمن على أريكته، حفّته خدامه، وتهدّلت عليه الأثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزّرابيّ، ووضعت له النّمارق، وأتته الخدّام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك - قال - ويخرج عليه الحورُ العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم، فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكان جنّتي في جواري، ألا هل أنبّئكم بخيرٍ ممّا أنتم فيه؟

فيقولون: ربّنا، وأيّ شيء خير مما نحن فيه، نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذّت أعيننا من النّعم في جوار الكريم! - قال - فيعودُ عليهم القول، فيقولون: ربّنا نعم، فأتنا بخيرٍ ممّا نحن فيه.

فيقول الله تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبّتي لكم خيرٌ وأعظم ممّا أنتم فيه».

قال: «فيقولون: نعم، يا ربّنا، رضاك عنّا، ومحبّتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا». ثم قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآية ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾[1].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٩٦، ح٨٨.

وقال الحسين عليه السلام - وفي نسخة الحسن - في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾.

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هي قصورٌ في الجنّة من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون داراً من ياقوتةٍ حمراء، في كلّ دارٍ سبعون بيتاً من زمرُدةٍ خضراء، في كلّ بيتٍ سبعون سريراً، على كلّ سرير امرأة من الحور العين، في كلّ بيتٍ مائدةٌ، على كلّ مائدة سبعون قصعةً، على كلّ قصعةٍ سبعون وصيفاً ووصيفةً، ويعطي الله المؤمن ذلك في غداة، ويأكل ذلك الطّعام، ويطوف على تلك الأزواج»[١].

❁ س٤٨: بمن يجاهد الكفار والمنافقين في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٣]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: قال عليه السلام: إنّما نزلت: يا أيها النبيّ جاهد الكفّار بالمنافقين، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يجاهد المنافقين بالسّيف، وجاهد الكفّار بالسّيف[٢].

ثمّ قال: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «جاهد الكفّار والمنافقين بإلزام الفرائض»[٣].

❁ س٤٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى

---

(١) بستان الواعظين.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠١.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠١.

ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٤ ـ ٧٧]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام يقول: «لمّا قال النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال في غدير خُمّ وصار بالأخبية، مرَّ المقداد بجماعةٍ منهم وهم يقولون: والله إن كنّا أصحاب كسرى وقيصر لكُنّا في الخزّ والوشي والدّيباج والنساجات، وإنّا معه في الأخشنين: نأكل الخشن ونلبس الخشن، حتى إذا دنا موته وفنيت أيامه وحضر أجله أراد أن يولّيها عليّاً من بعده، أما والله ليعلمن».

قال: «فمضى المقداد وأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله به فقال: الصّلاة جامعة» قال: «فقالوا: قد رمانا المقداد فقوموا نحلف عليه ـ قال ـ فجاءوا حتى جثوا بين يديه، فقالوا: بآبائنا وأمّهاتنا ـ يا رسول الله ـ لا والذي بعثك بالحق، والذي أكرمك بالنبوّة، ما قلنا ما بلغك، لا والذي اصطفاك على البشر».

قال: «فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا﴾ بك ـ يا محمّد ـ ليلة العقبة[1] ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ كان أحدُهم يبيع الرؤوس وآخر يبيع الكراع ويفتل القرامل[2] فأغناهم الله برسوله، ثم جعلوا

---

(١) روي: الذين نفّروا برسول الله ناقته في مُنصوفه من تبوك أربعة عشر، أبو الشرور، وأبو الدّواهي، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الرحمن بن عوف، وهُم الذين أنزل الله عزّ وجلّ فيهم ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾. (الخصال: ص٤٩٩، ح٦).

(٢) القرامل: ضفائر من شعر أو صوف أو إبريسم تصل به المرأة شعرها. «لسان العرب ـ قرمل ـ ج١١، ص٥٥٦».

حذهم وحديدهم عليه»[١].

وقال علي بن إبراهيم القمّي: ثمّ ذكر البخلاء، وسمّاهم منافقين وكاذبين، فقال ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله﴾ إلى قوله: ﴿أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[٢] وقال أبو جعفر عليه السلام: «هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا أتاه الله بخل به»[٣].

س٥٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

[سورة التوبة: ٧٨ ـ ٧٩]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: ثمّ ذكر المنافقين، فقال: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾. وقال: وأمّا قوله: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم﴾ فجاء سالم بن عمير الأنصاري بصاعٍ من تمر، فقال: يا رسول الله، كنت ليلتي أجيراً لجرير حتى نلت صاعين تمراً، أما أحدهما فأمسكته، وأمّا الآخر فأقرضه ربّي، فأمر رسول الله أن ينبذه في الصّدقات، فسخر منه المنافقون، وقالوا: والله إنّ الله لغنيّ عن هذا الصاع، ما يصنع الله بصاعه شيئاً! ولكنّ أبا عقيل أراد أن يذكر نفسه ليعطى من الصّدقات، فقال: ﴿سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾[٤].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٩٩، ح٩٠.

(٢) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٠١.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٠١، وقيل عبد الرحمن بن عوف لمز علي عليه السلام ـ عن أبي عبد الله عليه السلام ـ تفسير العياشي: ج٢، ص١٠١، ح٩٣.

س٥١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

[سورة التوبة: ٨٠]؟!

الجواب/ قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «إن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فاستغفر لهم مائة مرّة ليغفر لهم، فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾(١)، وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾(٢) فلم يستغفر لهم بعد ذلك، ولم يقم على قبر أحدٍ منهم»(٣).

وقال علي بن إبراهيم، إنّها نزلت لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ومرض عبد الله بن أُبي، وكان ابنه عبد الله بن عبد الله مؤمناً، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوه يجود بنفسه، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا، فدخل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله والمنافقون عنده، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله، استغفر له، فاستغفر له.

فقال عُمَر: ألم ينهك الله - يا رسول الله - أن تصلّي عليهم أو تستغفر لهم؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعاد عليه، فقال له: «ويلك، إنّي خُيِّرت فاخترتُ، إن الله يقول: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾».

فلمّا مات عبد الله جاء ابنه إلى رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمّي - يا رسول الله - إن رأيت أن تحضر جنازته. فحضره رسول الله صلى الله عليه وآله، وقام على

(١) المنافقون: ٦.
(٢) التوبة: ٨٤.
(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٠٠، ح٩٢.

قبره، فقال له عمر: يا رسول الله، ألم ينهك الله أن تصليّ على أحدٍ منهم مات أبداً، وأن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ويلك، وهل تدري ما قلت، إنّما قلت: اللهمّ احش قبره ناراً، وجوفه ناراً، واصله النّار». فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحب[١].

❁ س٥٢: بمن نزل، قوله تعالى:

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ (٨٣) وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ (٨٤)﴾ [سورة التوبة: ٨١ ـ ٨٤]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: نزلت في الجدّ بن قيس لمّا قال لقومه: لا تخرجوا في الحرّ، ففضح الله الجدّ بن قيس وأصحابه، فلمّا اجتمع لرسول الله ﷺ الخيول ارتحل من ثنيّة الوداع، وخلّف أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة، فأرجف المنافقون بعليّ عليه السلام، فقالوا: ما خلّفه إلاّ تشاؤماً به. فبلغ ذلك عليّاً فأخذ سيفه وسلاحه ولحق برسول الله ﷺ بالجرف، فقال له رسول الله: «يا عليّ، ألم أخلّفك على المدينة؟». قال: «نعم، ولكنّ المنافقين زعموا أنك خلفتني تشاؤماً بي». فقال: «كذب المنافقون ـ يا عليّ ـ أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخاك بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي وإن كان بعدي نبي لقلت أنت، وأنت خليفتي في أمّتي، وأنت وزيري ووصيّي

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٢.

وأخي في الدنيا والآخرة» فرجع عليٌّ عليه السلام إلى المدينة[1].

❁ س٥٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٥]؟!

الجواب/ أقول: في هذه السورة نفس هذه الآية برقم (٥٥) لكننا لم نبينها بشكل تفصيلي:

قال الشيخ الطوسي: أنها خطاب للنبيّ ﷺ والمراد به الأمة، ينهاهم الله أن يعجبوا بما أعطى الله الكفار من الأموال والأولاد في الدنيا حتى يدعوهم ذلك إلى الصلاة عليهم، ولا ينبغي أن يغتروا بذلك فإنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا، لأنهم لا ينفقونها في طاعة الله ولا يخرجون حق الله منها. ويجوز أن يعذبهم بها في الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من إخراجها في الزكاة والإنفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام وتشدد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم، وأن نفوسهم تزهق أي تهلك بالموت ﴿وهم كافرون﴾ أي في حال كفرهم، فلذلك عذبهم الله في الآخرة. والإعجاب هو إيجاد السرور بما يتعجب منه من عظيم الإحسان، تقول: أعجبني أمره إعجاباً إذا سررت بموضع التعجب منه والزهق خروج النفس بمشقة شديدة ومنه قوله ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2] أي هالك.

وقيل: في وجه حسن تكرار هذه الآية دفعتين قولان:

أحدهما: قال أبو علي: يجوز أن تكون الآيتان في فريقين من المنافقين

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٩٢.
(٢) الأنبياء: ١٨.

كما يقول القائل: لا يعجبك حال زيد ولا يعجبك حال عمرو.

الثاني: أن يكون الغرض البيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغي أن يحذر منه مع أنه للتذكير في موطنين بعد أحدهما عن الآخر، فيجب العناية به، وليس ذلك بقبيح، لأن الواحد منا يحسن به أن يقوم في مقام بعد مقام، ويكرر الوعظ والزجر والتخويف ولا يكون ذلك قبيحاً[١].

✿ س٥٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴿٨٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: بين الله تعالى في هذه الآية أنه إذا أنزل سورة من القرآن على النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿أن آمنوا﴾ ومعناه بأن آمنوا فحذفت الباء وجعل ﴿أن آمنوا﴾ في موضع نصب والتقدير بالإيمان على وجه الأمر ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر، وإنما جاز مع (أن) للزوم الصلة والحمل على التأويل في اللفظ كما حمل على المعنى.

وهذا خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الإيمان ويتمسكوا به في مستقبل الأوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الإيمان ويترك النفاق ثم يجاهدا بعد ذلك بنفوسهم وأموالهم لأنه لا ينفعهم الجهاد مع النفاق.

وقوله ﴿استأذنك أولوا الطول﴾ معناه أن ذوي الغنى من المنافقين إذا أنزلت السورة يأمرهم فيها بالإيمان والجهاد ويستأذنون النبي صلى الله عليه وآله في القعود والتأخر عنه. مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد ذلك عليهم ويكون عذاباً لهم ـ وهو قول الحسن وابن عباس ـ فإنهما قالا: إنما لحق هؤلاء الذم لأنهم

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٧٣.

أقوى على الجهاد. وقوله ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ أخبار منه تعالى أن هؤلاء المنافقين من ذوي الغنى يقولون للنبي ﷺ: اتركنا نكن مع القاعدين من الصبيان والزمنى والمرضى الذين لا يقدرون على الخروج. قال الرماني: والسورة جملة من القرآن تشتمل على آيات قد أحطات بها كما يحيط سور القصر بما فيه، وسؤر الهر بقيته من الماء. والجهاد بالقتال دفعاً عن النفس معلوم حسنه عقلاً لأنه مركوز في العقل وجوب التحرز من المضار، وليس في العقل ما يدل على أنه يجب على الإنسان أن يمنع غيره من الظلم وإنما يعلم ذلك سمعاً[1].

❁ س٥٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٧]؟!

الجواب/ قال عبد الله الحلبي، سألته عن قول الله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾.

فقال عليه السلام: «النّساء، إنّهم قالوا: إنّ بيوتنا عورة. وكانت بيوتهم في أطراف البيوت حيث يتفرّد الناس، فأكذبهم الله، قال: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[2] وهي رفيعة السمك حصينة»[3].

❁ س٥٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): لما أخبر الله تعالى عن

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٧٣.
(٢) الأحزاب: ١٣.
(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص١٠٣، ح٩٨.

حال المتأخرين عن النبي ﷺ والقاعدين عن الجهاد معه وأنهم منافقون قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. أخبر عن الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين المطيعين لله ورسوله بأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بالأموال التي ينفقونها في مرضاة الله وعدة الجهاد ويقاتلون الكفار بنفوسهم. ثم أخبر عما أعد لهم من الجزاء على أفعالهم تلك وانقيادهم لله ورسوله، فقال ﴿أولئك﴾ يعني النبي والذين معه ﴿لهم الخيرات﴾ في الجنة ونعيمها وخيراتها، وأنهم المفلحون أيضاً الفائزون بكرامة الله. والخيرات هي المنافع التي تسكن النفس إليها وترتاح بها من النساء الحسان وغيره من نعيم الجنان واحده خيره - هذا قول أبي عبيدة -.

وقال رجل من بني عدي:

ولقد طعنت مجامع الربلات

ربلات هند خيرة الملكات[1]

والفلاح النجاح بالوصول إلى البغية من نجح الحاجة وهو قضاؤها[2].

❁ س٥٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): بين الله تعالى أنه ﴿أعد﴾ لهؤلاء المؤمنين والرسول ﴿جنات﴾ يعني بساتين ﴿تجري من تحتها﴾ ومعناه من تحت أشجارها ﴿الأنهار﴾. والإعداد جعل الشيء مهيئاً لغيره تقول:

---

(١) مجاز القرآن: ج١، ص٢٦٧، واللسان (خير) الربلة لحمة الفخذ.

(٢) التبيان: ج٥، ص٢٧٣ الشيخ الطوسي.

أعد إعداداً واستعد له استعداداً وهو من العدد، لأنه قد عد الله جميع ما يحتاج إلى تقديمه له من الأمور ومثله الاتخاذ. والوجه في إعداد ذلك قبل مجيء وقت الجزاء أن تصوره لذلك ادعى إلى الطاعة وأكد في الحرص عليها.

ويحتمل أن يكون المراد أنه سيجعل لهم جنات تجري من تحتها الأنهار غير أنه ترك للظاهر. وقوله ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ إشارة إلى ما أعده لهم وإخبار منه بأنه الفوز العظيم، والفوز النجاة من الهلكة إلى حال النعمة. وسميت المهلكة مفازة تفاؤلاً بالنجاة وإنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على جهة الدوام(١).

❁ س٥٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): ومعنى الآية أن قوماً من الأعراب جاءوا إلى النبيﷺ يظهرون أنهم مؤمنون ولم يكن لهم في الإيمان والجهاد نية فيعرفون نفوسهم عليه وغرضهم أن يأذن النبيﷺ لهم في التخلف، فجعلوا عرضهم أنفسهم عليه عذراً في التخلف عن الجهاد. وقوله ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ يعني المنافقين، لأنهم الذين كذبوا الله ورسوله فيما كانوا يظهرون من الإيمان، فقال الله ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ أي ينالهم عذاب مؤلم موجع في الآخرة(٢).

---

(١) نفس المصدر: ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ص٢٧٨.

س٥٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٩١ ـ ٩٣]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: جاء البكاءون إلى رسول الله ﷺ وهم سبعة من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير، قد شهد بدراً، لا اختلاف فيه، ومن بني واقف هرميّ بن عمير[(١)]، ومن بني حارثة علبة بن زيد[(٢)]، وهو الذي تصدّق بعرضه[(٣)]، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أمر بصدقة، فجعل الناس يأتون بها، فجاء عليه، فقال: يا رسول الله، والله ما عندي ما أتصدّق به، وقد جعلت عِرضي حِلاً.

فقال له رسول الله ﷺ: «قد قبل الله صدقتك». ومن بني مازن بن النجّار، أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، ومن بني سلمة عمرو بن غنمة، ومن

---

(١) انظر الاختلاف في اسمه ولقبه في المحبّر: ص٢٨١، أسد الغابة: ج٥، ص٥٨، الإصابة: ج٣، ص٦٠١، ح٦١٥.

(٢) في «ط»: ومن بني جارية علية بن يزيد، والصواب ما في المتن وهو عُلبَة بن زيد بن صيفي من بني حارثة، يُعَدّ في أهل المدينة، ترجم له في أسد الغابة ج٤، ص١٠، الإصابة: ج٢، ص٤٩٩، وذكر أنّه أحد البكائين وهو الذي تصدّق بعرضه، وفي المحبّر: ص٢٨١: علبة بن صيفي بن عمرو بن زيد.

(٣) العِرض: موضع المدح والذم من الإنسان. وتصدقت بعرضي: أي تصدّقت به على من ذكرني بما يرجع إليّ عيبه. «النهاية: ج٣، ص٢٠٩».

بني زريق سلمة بن صخر[١]، ومن بني [سليم بن منصور][٢] العرباض بن سارية السلميّ.

هؤلاء جاءوا رسول الله ﷺ يبكون، فقالوا: يا رسول الله، ليس بنا قوّة أن نخرج معك. فأنزل الله فيهم ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى و على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾، قال: وإنما سأل هؤلاء البكاءون نعلاً يلبسونها[٣].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: «إنّ الله احتجّ على العباد بالذي آتاهم وعرّفهم، ثم أرسل إليهم رسولاً، ثمّ أنزل عليهم كتاباً، فأمر فيه ونهى، وأمر رسول الله ﷺ بالصّلاة فنام عنها، فقال: أنا أنمتُك وأنا أيقظتك. فإذا قمت فصلّها ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون، وليس كما يقولون: إذا نام عنها هلك، وكذلك الصائم [يقول الله له]: أنا أمرضتك وأنا أصحُك، فإذا شفيتك فاقضه.

وكذلك إذا نظرت في جميع الأمور لم تجد أحداً في ضيقٍ، ولم تجد أحداً إلاّ ولله عليه الحجّة، وله فيه المشيئة» قال: «فلا يقولون: إنّه ما شاءوا صنعوا، وما شاءوا لم يصنعوا ـ وقال ـ إنّ الله يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء، وما أمر العباد إلا بدون سعتهم، وكلّ شيء أمر الناس فأخذوا به فهم يسعون له، وما [لا] يسعون له فهو موضوعٌ عنهم، ولكنّ الناس لا خير

---

(١) الظاهر من المحبر: ص٢٨١ وجمهرة أنساب العرب: ص٣٥٦ وأسد الغابة: ج٢، ص٣٣٧ أنه ليس من بني زُريق، بل من ولد الحارث بن زيد مناة، حلفاء بني بياضة.

(٢) أثبتناه من المحبّر: ص٢٨١.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٢٩٣، تفسير الطبري: ج١٠، ص١٤٦، الدر المنثور: ج٤، ص٢٦٣، عن ابن جرير الطبري، وفي: ص٢٦٤ عن ابن إسحاق وابن المنذر وأبي الشيخ عن جماعة من الصحابة ذكرهم.

فيهم، ثمّ تلا عليه السلام هذه الآية: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ قال: «وُضع عنهم: ﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾ ـ قال ـ وضع عنهم إذ لا يجدون ما ينفقون، وقال: ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ ـ قال ـ وضع عليهم لأنهم يطيقون ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ فجعل السَّبيل عليهم لأنهم يطيقون ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ الآية ـ قال ـ عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخُزاعي أحدهم»[(١)].

س٦٠: ما هو معنى الغيب والشهادة في قوله تعالى:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٤]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾، فقال: «الغيب: ما لم يكن، والشَّهادة: ما قد كان»[(٢)].

س٦١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

---

(١) معاني الأخبار: ص١٤٦، ح١.　　(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٠٢.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٥ ـ ٩٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ولما قدم النبي ﷺ من تبوك كان أصحابه المؤمنون يتعرّضون للمنافقين ويؤذونهم، وكانوا يحلفون لهم أنّهم على الحقّ وليس هم بمنافقين لكي يعرضوا عنهم ويرضوا عنهم، فأنزل الله ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾. ثمّ وصف الأعراب، فقال: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿قربات عند الله﴾[1].

وقال داود بن الحُصَين، سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ أيُثيبهم عليه؟ قال: «نعم».

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: يُثابون عليه؟ قال: «نعم»[2].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٠٥، ح١٠٢ و١٠٣.

س٦٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي عمرو الزبيري: «إن الله عزّ وجلّ سبّق بين المؤمنين كما سُبّق بين الخيل يوم الرّهان».

قال أبو عمرو: أخبرني عمّا ندب الله المؤمن من الاستباق إلى الإيمان؟

قال: «قول الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]، وقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾، فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأنصار، ثم ثلّث بالتّابعين لهم بإحسان، فوضع كلّ قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده»[3].

وقال عليّ بن إبراهيم: ثم ذكر السابقين، فقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾، وهم النُقباء: أبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعمّار، ومن آمن وصدّق، وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[4]. وفي (نهج البيان): عن الصّادق عليه السلام: «أنّها نزلت في علي عليه السلام ومن تبعه من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ذلك الفوز العظيم»[5].

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٠٥، ح١٠٤.

(٤) تفسير القمّي: ج١، ص٣٠٣.

(٥) نهج البيان: ج٢، ص١٤٠ (مخطوط).

✿ س٦٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

[سورة التوبة: ١٠١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: معنى قوله ﴿وممن حولكم﴾ من جملة من حولكم يعني حول مدينتكم وحول الشيء المحيط به، وهو مأخوذ من حال يحول إذا دار بالانقلاب. ومنه المحالة لأنها تدور في المحول. وقوله: ﴿من الأعراب﴾ والأعراب هم الذين يسكنون البادية إذا كانوا مطبوعين على العربية وليس واحدهم عرباً، لأن العرب قد يكونوا حاضرة والأعراب بادية. وقوله ﴿منافقون﴾ معناه من يظهر الإيمان ويبطن الكفر ﴿ومن أهل المدينة﴾ أيضاً منافقون، وإنما حذف لدلالة الأول عليه ﴿مردوا على النفاق﴾ يقال: مرد على الشيء يمرد مروداً فهو مارد ومريد إذا عتا وطغى وأعيا خبثاً، ومنه ﴿شيطان مارد ومريد﴾ وقال ابن زيد: معناه أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب غيرهم. وقال ابن إسحاق: معناه لجوا فيه وأبوا غيره. وقال الفراء: معناه مرنوا عليه وتجرءوا عليه وقال الزجاج: فيه تقديم وتأخير والتقدير وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق ومن أهل المدينة أيضاً مثل ذلك. وأصل المرود الملاسة. ومنه قوله ﴿صرح ممرد من قوارير﴾ أي مملس ومنه الأمرد الذي لا شعر على وجهه، والمرودة والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئاً، والتمراد بيت صغير يتخذ للحمام مملس بالطين، والمرداء الصخرة الملساء. ﴿لا تعلمهم﴾ معناه لا تعرفهم يا محمد ﴿نحن نعلمهم﴾ أي نعرفهم.

وقوله ﴿سنعذبهم مرتين﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدهما: يعني في الدنيا وفي القبر. وقال ابن عباس: نعذبهم في الدنيا

بالفضيحة لأن النبي صلى الله عليه وآله ذكر رجلاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته قال: أخرجوا فإنكم منافقون، والأخرى في القبر.

وقال مجاهد: يعني في الدنيا بالقتل والسبي والجوع. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن إحداهما إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر، وقال الحسن: إحداهما أخذ الزكاة منهم: والأخرى عذاب القبر، وقال ابن إسحاق: إحداهم غيظهم من أهل الإسلام، والأخرى عذاب القبر. وكل ذلك محتمل غير أنا نعلم أن المرتين معاً قبل أن يردوا إلى عذاب النار يوم القيامة. وقوله ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ معناه ثم يرجعون يوم القيامة إلى عذاب عظيم مؤبد في النار.

وروي أن الآية نزلت في عيينة بن حصين وأصحابه[١].

❁ س٦٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٢]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «الذين ﴿خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا﴾ فأولئك قومٌ مؤمنون، يحدثون في إيمانهم من الذنوب التي يعيبها المؤمنون ويكرهونها، فأولئك ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾»[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «وعسىٰ من الله واجبٌ، وإنما نزلت في شيعتنا المذنبين»[٣].

وقال الطبرسيّ: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أنها نزلت في أبي لبابة، ولم يذكر معه غيره، وسبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريظة حين قال:

---

(١) التبيان: ج٥، ص٢٨٩.

(٢) الكافي: ج٢، ص٣٠٠، ح٢.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٠٥، ح١٠٥.

إن نزلتم على حكمه فهو الذّبح[1].

❁ س٦٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٣ ـ ١٠٤]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «لمّا نزلت هذه الآية ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ وأنزلت في شهر رمضان، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس: إن الله فرض عليكم الزّكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عزّ وجلّ عليهم من الذّهب والفضّة، وفرض الصّدقة من الإبل والبقر والغنم، ومن الحنطة والشّعير، والتّمر والزّبيب، فنادى فيهم بذلك في شهر رمضان، وعفا لهم عمّا سوى ذلك».

ثمّ قال: «ثمّ لم يفرض لشيء من أموالهم حتّى حال عليهم الحول من قابل، فصاموا وأفطروا، فأمر مناديه فنادى في المسلمين: أيّها المسلمون، زكّوا أموالكم تقبل صلواتكم ـ قال ـ ثمّ وجّه عمّال الصّدقة وعمّال الطّسوق[2]»[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ويأخذ الصدقات﴾: «أي يقبلها من أهلها، ويثيب عليها»[4].

وسأل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١١.

(٢) الطُّسوق: جمع طسق، الوظيفة من خَراج الأرض. «الصحاح ـ طسق ـ ج٤، ص١٥١٧».

(٣) الكافي: ج٣، ص٤٩٧، ح٢.

(٤) التوحيد: ص١٦١، ح٢.

وتزكيهم بها﴾ جارية هي في الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «نعم»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: تصدّقت يوماً بدينار، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أما علمت أن صدقة المؤمن لا تخرج من يده حتى يفكّ بها عن لحى سبعين شيطاناً، وما تقع في يد السّائل حتى تقع في يد الرّبّ تبارك وتعالى، ألم يقل هذه الآية: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾» إلى آخر الآية[٢].

❁ س٦٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٥]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله صلى الله عليه وآله لأبي بصير: «تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أعمال العباد ـ كلّ صباح، أبرارها وفجارها، فاحذروها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله﴾» وسكت[٣] [٤].

وقال أبو بصير: إنما عنى الأئمة عليهم السلام[٥].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٠٦، ح١١١.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٠٧، ح١١٣.

(٣) «أعمال العباد» عطف بيان للأعمال. «أبرارها وفجارها». بجرّهما: بدل تفصيل للعباد، والضميران راجعان إلى العبّاد. والأبرار: جمع برّ بالفتح بمعنى البارّ، والفُجّار بالضم والتشديد جمع فاجر. أو برفعهما: بدل تفصيل لأعمال العباد، والضميران راجعان إلى الأعمال، ففي إطلاق الأبرار والفجار على الأعمال تجوّز. على أنّه يُحتمل كون الأبرار حينئذٍ جمع البِرّ بالكسر، وربما يُقرأ الفجار بكسر الفاء وتخفيف الجيم جمع فَجار بفتح الفاء مبنياً على الكسر وهو اسم الفُجور، أو جمع فجر بالكسر هو أيضاً الفجور. «فاحذروها» الضمير للفجار أو للأعمال باعتبار الثاني. ولعلّه عليه السلام سكت عن ذكر المؤمنين، وتفسيره تقيّة أو إحالة على الظهور. (مرآة العقول: ج٣، ص٤).

(٤) الكافي: ج١، ص١٧٠، ح١.

(٥) معاني الأخبار: ص٣٩٢، ح٣٧.

قال عبد الله بن أبان الزيّات ـ وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام ـ : قلتُ للرضا عليه السلام : ادع الله لي ولأهل بيتي. فقال: «أو لستُ أفعل، والله إنّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كل يوم وليلة».

قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: «أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ـ قال ـ هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشّهادة﴾: «الغيب: ما لم يكن، والشهادة ما قد كان»[٢].

❁ س٦٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٦]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وءاخرون مرجون لأمر الله﴾.

«قومٌ كانوا مشركين، فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من المؤمنين، ثم إنهم دخلوا في الإسلام فوحّدوا الله وتركوا الشّرك، ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار، فهم على تلك الحال ﴿مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾»[٣].

وقال حُمْران: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن المستضعفين؟ قال عليه السلام:

---

(١) الكافي: ج١، ص١٧١، ح٤.

(٢) معاني الأخبار: ص١٤٦، ح١.

(٣) الكافي: ج٢، ص٢٩٩، ح١.

«هم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفّار، فهم المرجون لأمر الله»(١).

س٦٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾

[التوبة: ١٠٧-١٠٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: إنه كان سبب نزولها أنه جاء قومٌ من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله، أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم للعليل، والليلة المطيرة، وللشيخ الفاني؟ فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الخروج إلى تبوك. فقالوا: يا رسول الله، لو أتيتنا فصلّيت فيه؟ فقال صلى الله عليه وآله: «أنا على جناح السّفر، فإذا وافيتُ ـ إن شاء الله ـ أتيته فصلّيت فيه».

فلمّا أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد وأبي عامر الرّاهب، وقد كانوا حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم يبنون ذلك للصّلاح والحسنى، فأنزل الله على رسوله ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني أبا عامر الرّاهب، كان يأتيهم فيذكر رسول الله وأصحابه ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ يعني مسجد قبا(٢) ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٠، ذيل الحديث١٣٠.

(٢) قُبا: قريةٌ قرب المدينة على ميلين منها، فيها مسجد التقوى. «معجم البلدان: ج٤، ص٣٠١».

﴿يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[١] قال: كانوا يتطهّرون بالماء[٢].

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «قال موسى بن جعفر عليه السلام: فهذا العجل في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله، هو أبو عامر الراهب الذي سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله الفاسق، وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله غانماً ظافراً، وأبطل الله تعالى كيد المنافقين، وأمر الله تعالى بإحراق مسجد الضِّرار، وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا﴾ الآيات.

وقال موسى بن جعفر عليه السلام: فهذا العجل في حياته صلى الله عليه وآله دمَّر الله عليه وأصابه[٣] بقولنج[٤] وفالج وجذام ولقوة[٥]، وبقي أربعين صباحاً في أشدِّ عذابٍ، ثم صار إلى عذاب الله تعالى»[٦].

وقال أبو عبد الله عليه السلام لمحمد بن مسلم، عن قوله: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾: «مسجد قبا».

وأما قوله: ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ قال: «يعني: من مسجد النِّفاق، وكان على طريقه إذا أتى مسجد قبا، فكان ينضح بالماء والسِّدر، ويرفع ثيابه عن ساقيه، ويمشي على حجرٍ في ناحية الطَّريق، ويسرع المشي، ويكره أن يصيب ثيابه منه شيءٌ».

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٠٥.

(٣) في «ط»: وأصحابه.

(٤) القُولنج: مرضٌ معويٌّ مؤلمٌ يعسر معه خروج الثفل والريح. «القاموس المحيط: ج١، ص٢١١».

(٥) اللَّقوة: مرضٌ يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه. «لسان العرب ـ لقا ـ ج١٥، ص٢٥٣».

(٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٤٨٨، ح٣٠٩.

فسألته: هل كان النبيّ ﷺ يصلّي في مسجد قبا؟ قال: «نعم، كان منزله على سعد بن خيثمة الأنصاري».

فسألته: هل كان لمسجد رسول الله ﷺ سقف؟ فقال: «لا، وقد كان بعض أصحابه قال: ألا تسقف مسجدنا، يا رسول الله؟ قال: عريش كعريش موسى»(١).

وقال الحلبي سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾، قال: «الذين يحبون أن يتطهَّروا نظف الوضوء، وهو الاستنجاء بالماء ـ وقال: ـ نزلت هذه الآية في أهل قبا»(٢).

وفي رواية ابن سنان: عنه عليه السلام قال: قلتُ له: ما ذلك الطُّهر؟ قال: «نظف الوضوء إذا خرج أحدُهم من الغائط، فمدحهم الله بتطهُّرهم»(٣).

✪ س٦٩: أي مسجد أس بنيانه على شفا جُرُفِ هارٍ في قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٩]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «مسجد الضِّرار الذي أسّس على شفا جرفٍ هارٍ فانهار به في نار جهنَّم»(٤).

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١١، ح١٣٦.
(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٢، ح١٣٧.
(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٢، ح١٣٨.
(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٥.

س٧٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: (إلاّ) في موضع (حتّى) تتقطّع قلوبهم والله عليمٌ حكيم، فبعث رسول الله ﷺ مالك من الدُخْشُم الخُزاعي وعامر بن عديّ أخا بني عمرو بن عوف على أن يهدموه ويحرقوه، فجاء مالك فقال لعامر: انتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي. فدخل وجاء بنارٍ وأشعل في سعف النّخل، ثم أشعله في المسجد فتفرّقوا، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنيّة، ثم أمر بهدم حائطه(١).

وقال الطّبرسي: عن أبي عبد الله عليه السلام: «إلى أن تقطّع»(٢).

س٧١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة التوبة: ١١١ ـ ١١٢]؟!

الجواب/ قال أبو عمرو الزّبيري قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الدُعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحلُّ إلاّ لهم، ولا يقوم به إلا من كان منهم، أم هو مباحٌ لكلّ من وحّد الله عزّ وجلّ وآمن برسوله ﷺ، ومن

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٠٥.

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص١٠٦.

كان كذا فله أن يدعو إلى الله عزّ وجلّ وإلى طاعته، وأن يجاهد في سبيله؟ فقال: «ذلك لقوم لا يحلّ إلا لهم، ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم».

قلت: من أولئك؟ قال: «من قام بشرائط الله عزّ وجلّ في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى الله عزّ وجلّ، ومَن لم يكن قائماً بشرائط الله عزّ وجلّ في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذونٍ له في الجهاد، ولا الدعاء إلى الله حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد».

قلتُ: فبين لي، يرحمك الله. قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أخبر نبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه بالدعاء إليه، ووصف الدعاة إليه، فجعل ذلك لهم درجات، يعرّف بعضها بعضاً، ويستدل ببعضها على بعضٍ، فأخبر أنّه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه ودعا إلى طاعته واتّباع أمره، فبدأ بنفسه، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] ثمّ ثنى برسوله، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2] يعني بالقرآن، ولم يكن داعياً إلى الله عزّ وجلّ من خالف أمر الله ويدعو إليه بغير ما أمر به في كتابه، والذي أمر ألاّ يدعى إلاّ به. وقال في نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] يقول: تدعو. ثمّ ثلّث بالدعاء إليه بكتابه أيضاً، فقال تبارك وتعالى: ﴿إن هذا القرءان يهدي للتي هي أقوم﴾ أي يدعو ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

ثمّ ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) يونس: ٢٥.
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) الشورى: ٥٢.
(٤) الإسراء: ٩.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] ثمّ أخبر عن هذه الأمّة، وممّن هي، وأنّها من ذريّة إبراهيم وذريّة إسماعيل من سكّان الحرم، ممّن لم يعبدوا غير الله قطّ، الذين وجبت لهم الدّعوة دعوة إبراهيم وإسماعيل، من أهل المسجد، الذين أخبر عنهم في كتابه أنّه أذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، الذين وصفناهم قبل هذا في صفة أمّة إبراهيم ﷺ، الذين عناهم الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[2] يعني أوّل من اتّبعه على الإيمان به والتّصديق له فيما جاء به من عند الله عزّ وجلّ من الأمّة التي بعث فيها ومنها وإليها قبل الخلق، ممّن لم يشرك بالله قط، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشّرك.

ثمّ ذكر أتباع نبيّه ﷺ وأتباع هذه الأمّة التي وصفها في كتابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلها داعيةً إليه، وأذن لها في الدعاء إليه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

ثمّ وصف أتباع نبيّه ﷺ من المؤمنين، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾[4] وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾[5] يعني أولئك المؤمنين. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[6].

ثمّ حلاّهم ووصفهم كيلا يطمع في اللّحاق بهم إلا من كان منهم، فقال فيما حلاّهم به ووصفهم: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا

---

(١) آل عمران: ١٠٤.
(٢) يوسف: ١٠٨.
(٣) الأنفال: ٦٤.
(٤) الفتح: ٢٩.
(٥) التحريم: ٨.
(٦) المؤمنون: ١.

خَٰلِدُونَ﴾(١) وقال في صفتهم وحليتهم أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾(٢) ثمّ أخبر أنه اشترى من هؤلاء المؤمنين ومن كان على مثل صفتهم ﴿أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرءان﴾ ثمّ ذكر وفاءهم له بعهده وميثاقه ومبايعته، فقال: ﴿ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

فلمّا نزلت هذه الآية ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ قام رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا نبيّ الله، أرأيتك الرّجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يقتل إلا أنه يقترف من هذه المحارم، أشهيدٌ هو؟ فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ ففسّر النبيّ ﷺ المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشّهادة والجنّة، وقال: التائبون من الذنوب، العابدون الذين لا يعبدون إلاّ الله، ولا يشركون به شيئاً، الحامدون الذين يحمدون الله على كلّ حالٍ في الشّدّة والرّخاء، السائحون وهم الصائمون، الراكعون الساجدون الذين يواظبون على الصّلوات الخمس، والحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها وفي الخشوع فيها وفي أوقاتها، الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به، والناهون عن المنكر والمنتهون عنه.

قال: فبشّر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنّة، ثمّ أخبر

---

(١) المؤمنون: ١٠ ـ ١١.

(٢) الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩.

تبارك وتعالى أنّه لم يأمر بالقتال إلاّ أصحاب هذه الشروط، فقال عزّ وجلّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا﴾[١] وذلك أنّ جميع ما بين السماء والأرض لله عزّ وجلّ ولرسوله ولأتباعهما من المؤمنين من أهل هذه الصفة، فما كان من الدنيا في أيدي المشركين والكفّار والظّلمة والفجّار من أهل الخلاف لرسول الله ﷺ والمؤمنين، والمولّي عن طاعتهما، مما كان في أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصّفات، وغلبوهم عليه ممّا أفاء الله على رسوله، فهو حقّهم أفاء الله عليهم وردّه إليهم.

وإنّما معنى الفيء كل ما صار إلى المشركين ثم رجع مما كان قد غلب عليه[٢] أو فيه، فما رجع إلى مكانه من قول أو فعل فقد فاء، مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] أي رجعوا، ثمّ قال: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] وقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ أي ترجع ﴿فإن فاءت﴾ أي رجعت ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٥] يعني بقوله: ﴿تفيء﴾ أي ترجع، فذلك الدّليل على أنّ الفيء كلّ راجع إلى مكان قد كان عليه أو فيه، يقال للشّمس إذا زالت: قد فاءت، حين يفيء الفيء عند رجوع الشمس إلى زوالها، وكذلك ما أفاء الله على المؤمنين من الكفّار، فإنّما هي حقوق المؤمنين رجعت إليهم بعد ظلم الكفّار إياهم، فذلك قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ ما كان المؤمنون أحقّ به منهم.

---

(١) الحج: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) في «ط»: مما كان عليه.

(٣) البقرة: ٢٢٦.

(٤) البقرة: ٢٢٧.

(٥) الحجرات: ٩.

وإنّما أُذن للمؤمنين الذين قاموا بشرائط الإيمان التي وصفناها، وذلك أنّه لا يكون مأذوناً له في القتال حتى يكون مظلوماً، ولا يكن مظلوماً حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون قائماً بشرائط الإيمان التي اشترط الله عزّ وجلّ على المؤمنين والمجاهدين. فإذا تكاملت فيه شرائط الله عزّ وجلّ كان مؤمناً، وإذا كان مؤمناً كان مظلوماً، وإذا كان مظلوماً كان مأذوناً له في الجهاد، لقوله عزّ وجلّ: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ وإن لم يكن مستكملاً لشرائط الإيمان فهو ظالمٌ، ممّن ينبغي ويجب جهاده حتى يتوب إلى الله، وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله عزّ وجلّ، لأنّه ليس من المؤمنين المظلومين الذين أُذن لهم في القرآن في القتال. فلمّا نزلت هذه الآية: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم، أُحلَّ لهم جهادهم بظلمهم إيّاهم، وأذن لهم في القتال».

فقلت: فهذه نزلت في المهاجرين، بظلم مشركي أهل مكّة لهم، فما بالهم في قتالهم كسرى وقيصر ومن دونهم من مشركي قبائل العرب؟

فقال: «لو كان إنّما أُذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكّة فقط، لم يكن لهم إلى قتال كسرى وقيصر وغير أهل مكة من قبائل العرب سبيل، لأن الذين ظلموهم غيرهم، وإنّما أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكّة، لإخراجهم إياهم من ديارهم وأموالهم بغير حقّ، ولو كانت الآية إنّما عنت المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة، كانت الآية مرتفعة الفرض عمّن بعدهم، إذ لم يبق من الظالمين والمظلومين أحدٌ، وكان فرضها مرفوعاً عن الناس بعدهم إذ لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد.

وليس كما ظننت، ولا كما ذكرت، ولكنّ المهاجرين ظلموا من جهتين: ظلمهم أهل مكّة بإخراجهم من ديارهم وأموالهم، فقاتلوهم بإذن الله

لهم في ذلك، وظلمهم كسرى وقيصر ومن كان دونهم من قبائل العرب والعجم بما كان في أيديهم ممّا كان المؤمنون أحقّ به دونهم، فقد قاتلوهم بإذن الله عزّ وجلّ لهم في ذلك، وبحجّة هذه الآية يقاتل مؤمنو كلّ زمان.

وإنما أذن الله عزّ وجلّ للمؤمنين، الذين قاموا بما وصف الله عزّ وجلّ من الشّرائط التي شرطها الله عزّ وجلّ على المؤمنين في الإيمان والجهاد، ومن كان قائماً بتلك الشّرائط فهو مؤمنٌ، وهو مظلومٌ، ومأذونٌ له في الجهاد بذلك المعنى. ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم، وليس من المظلومين، وليس بمأذونٍ له في القتال، ولا بالنّهي عن المنكر والأمر بالمعروف، لأنه ليس من أهل ذلك، ولا مأذونٌ له في الدعاء إلى الله عزّ وجلّ، لأنه ليس يجاهد مثله وأُمر بدعائه إلى الله عزّ وجلّ، ولا يكون مجاهداً من قد أمر المؤمنون بجهاد، وحظر الجهاد عليه ومنعه منه، ولا يكون داعياً إلى الله عزّ وجلّ من أمر بدعاء مثله إلى التّوبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يأمر بالمعروف من قد أمر أن يؤمر به، ولا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه.

فمن كان قد تمّت فيه شرائط الله عزّ وجلّ التي وصف الله بها أهلها من أصحاب النبيّ ﷺ وهو مظلومٌ، فهو مأذون له في الجهاد، كما أذن لهم في الجهاد بذلك المعنى، لأنّ حكم الله عزّ وجلّ في الأوّلين والآخرين وفرائضه عليهم سواء، إلاّ من علّةٍ أو حادثٍ يكون، والأوّلون والآخرون أيضاً في منع الحوادث شركاء، والفرائض عليهم واحدة، يسأل الآخرون عن أداء الفرائض كما يسأل عنه الأوّلون، ويُحاسبون عما به يحاسبون، ومن لم يكن على صفة من أذن الله له في الجهاد من المؤمنين، فليس من أهل الجهاد، وليس بمأذونٍ له فيه حتى يفيء بما شرط الله عزّ وجلّ عليه، فإذا تكاملت فيه شرائط الله عزّ وجلّ على المؤمنين والمجاهدين فهو من المأذونين لهم في الجهاد.

فليتّقِ الله عزّ وجلّ عبدٌ لا يغترَّ بالأمانيّ التي نهى الله عزّ وجلّ عنها من هذه الأحاديث الكاذبة على الله التي يكذّبها القرآن، ويتبرّأ منها ومن حملتها ورواتها، ولا يقدم على الله عزّ وجلّ بشبهةٍ لا يعذر بها، فإنه ليس وراء المتعرّض للقتل في سبيل الله منزلةٌ يؤتى الله من قبلها وهي غاية الأعمال في عظم قدرها. فليحكم امرؤ لنفسه وليرها كتاب الله عزّ وجلّ ويعرضها عليه، فإنه لا أحد أعرف بالمرء من نفسه، فإن وجدها قائمةً بما شرط الله عليه في الجهاد فليقدم على الجهاد، وإن علم تقصيراً فليصلحها، وليقمها على ما فرض الله عليها من الجهاد، ثم ليقدم بها وهي طاهرة مطهّرة من كلّ دنسٍ يحول بينها وبين جهادها.

ولسنا نقول لمن أراد الجهاد وهو على خلاف ما وصفنا من شرائط الله عزّ وجلّ على المؤمنين والمجاهدين: لا تجاهدوا. ولكن نقول: قد علّمناكم ما شرط الله عزَّ وجلَّ على أهل الجهاد الذين بايعهم واشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنان. فليصلح امرؤ ما علم من نفسه من تقصيرٍ عن ذلك، وليعرضها على شرائط الله عزَّ وجلَّ، فإن رأى أنّه قد وفى بها وتكاملت فيه، فإنّه ممّن أذن الله عزَّ وجلَّ له في الجهاد، وإن أبى إلاّ أن يكون مجاهداً على ما فيه من الإصرار على المعاصي والمحارم والإقدام على الجهاد بالتّخبيط والعمى، والقدوم على الله عزَّ وجلَّ بالجهل والروايات الكاذبة، فلقد ـ لعمري ـ جاء الأثر فيمن فعل هذا الفعل. إنّ الله عزّ وجلّ ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم. فليتّق الله عزّ وجلّ امرؤٌ، وليحذر أن يكون منهم، فقد بيّن لكم ولا عذر لكم بعد البيان في الجهل، ولا قوّة إلاّ بالله، وحسبنا الله عليه توكلنا وإليه المصير»[١].

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٣، ح١.

وقال أبو بصير: تلوتُ: «التائبون العابدون» فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا، اقرأ: التائبين العابدين، إلى آخرها». فسئل عن العلّة في ذلك؟ فقال: «اشترى من المؤمنين التائبين العابدين»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من أخذ سارقاً فعفا عنه فذلك له، فإن رفعه إلى الإمام قطعه، فإن قال له الذي سرق له: أنا أهب له. لم يدعه الإمام حتى يقطعه إذا رفع إليه، وإنّما الهبة قبل الترافع إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ فإن انتهى الحدُّ إلى الإمام فليس لأحدٍ أن يترُكه»[٢].

❁ س٧٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: أخبر الله تعالى أنه لم يكن ﴿للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا﴾ ومعناه أن يطلبوا المغفرة ﴿للمشركين﴾ الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر والذين لا يوحدونه ولا يقرون بإلاهيته ﴿وإن كان﴾ الذي يطلب لهم المغفرة أقرب الناس إليهم بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود في النار. والقربى معناه القرب في النسب بالرجوع إلى أب أو أم بإضافة قريبة. ومعنى قوله ﴿ولو كانوا أولي قربى﴾ أي القرابة وإن دعت إلى الحنو والرقة، فإنه لا يلتفت إلى دعائها في الخصلة التي نهى الله عنها[٣].

---

(١) الكافي: ج٨، ص٣٧٧، ح٥٦٩.

(٢) الكافي: ج٧، ص٢٥١، ح١.

(٣) التبيان: ج٥، ص٣٠١ الشيخ الطوسي.

س٧٣: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٤]؟!

الجواب/ في رواية أبو إسحاق الهمداني، [رفعه] عن رجل(١)، قال: صلّى رجلٌ إلى جنبي فاستغفر لأبويه، وكانا ماتا في الجاهليَّة، فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا في الجاهليّة؟ فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه، فلم أدرِ ما أرُدُّ عليه، فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل الله ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾، قال: لمّا مات تبيَّن أنّه عدوّ لله فلم يستغفر له(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «الأوّاه: هو الدّعاء»(٣).

وقال عليه السلام أيضاً: «الأوّاهُ: المتضرّع إلى الله في صلاته، وإذا خلا في قفرةٍ من الأرض وفي الخلوات»(٤).

س٧٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٥ ـ ١١٦]؟!

الجواب/ ١ ـ قال عبد الأعلى: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، هل جُعل في الناس أداةٌ ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: «لا».

(١) في «ط»: عن أبي إسحاق الهمداني، عن الخليل، عن أبي عبد الله عليه السلام.
(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٤، ح١٤٨.
(٣) الكافي: ج٢، ص٣٣٨، ح١.
(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٦.

قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: «لا، على الله البيان ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(١)] و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[(٢)]».

قال: وسألته عن قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾، قال: «حتى يُعرّفهم ما يرضيه وما يسخطه»[(٣)].

٢ ـ قال الشيخ الطبرسي: في مجمع البيان: ﴿إن الله له ملك السموات والارض﴾ الملك: أتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿يحيي ويميت﴾ أي: يحيي الجماد، ويميت الحيوان ﴿ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي: ليس لكم سواه حافظ يحفظكم، وولي يتولىٰ أمركم، ولا ناصر ينصركم، ويدفع العذاب عنكم.

❁ س٧٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨]؟!

الجواب/ تقدّم عند ذكر غزوة تبوك من رواية علي بن إبراهيم أنّها نزلت في أبي ذر، وأبي خيثمة، وعميرة بن وهب، الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ[(٤)]. وقال العالم عليه السلام: «إنّما أنزل (وعلى الثلاثة الذين خالفوا) ولو خلّفوا لم يكن عليهم عيب ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) الكافي: ج١، ص١٢٥، ح٥. والتوحيد: ص٤١١، ح٤ وص٤١٤ ح١١.

(٤) تقدم في الحديث من تفسير الآيات (٤٤ ـ ٤٧) من هذه السورة.

حيث لم يكلّمهم رسول الله ﷺ ولا إخوانهم ولا أهلوهم، فضاقت عليهم المدينة حتى خرجوا منها، وضاقت عليهم أنفسهم حيث حلفوا أن لا يكلّم بعضهم بعضاً، فتفرّقوا وتاب الله عليهم لمّا عرف من صدق نيّاتهم»(١).

وقد تقدّم ذكر ذلك عند ذكر غزاة تبوك من السورة بزيادة، وتقدم أن الثلاثة: كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أميّة الرافعي، تقدم مستوفىً في رواية عليّ بن إبراهيم(٢).

وقال أبو عبد الله عليه السلام لفيض بن المختار: كيف تقرأ ﴿على الثلاثة الذين خلفوا﴾؟» قلت: ﴿خلفوا﴾.

قال: «لو كان (خُلّفوا) لكانوا في حال طاعةٍ، ولكنّهم خالفوا، عثمان وصاحباه، أما والله ما سمعوا صوت حافرٍ ولا قعقعة حجرٍ إلاّ قالوا أتينا، فسلّط الله عليهم الخوف حتى أصبحوا»(٣).

وفي (نهج البيان): روي أنّ السبت في هذه الآية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أنّ النبي ﷺ لمّا توجّه إلى غزاة تبوك تخلّف عنه كعب ابن مالك الشاعر، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أميّة الرافعي، تخلّفوا عن النبي ﷺ على أن يتحوّجوا ويلحقوه، فلهوا بأموالهم وحوائجهم عن ذلك، وندموا وتابوا، فلمّا رجع النبيّ مظفّراً منصوراً أعرض عنهم، فخرجوا على وجوههم وهاموا في البريّة مع الوحوش، وندموا أصدق ندامةٍ، وخافوا أن لا يقبل الله توبتهم ورسوله لإعراضه عنهم، فنزل جبرئيل عليه السلام فتلا على النبيّ، فأنفذ إليهم من جاء بهم، فتلا عليهم، وعرّفهم أنّ الله قد قبل توبتهم»(٤).

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٢٩٧.

(٢) تقدم الحديث من تفسير الآيات (٤٤ ـ ٤٧) من هذه السورة.

(٣) الكافي: ج٨، ص٣٧٧، ح٥٦٨.

(٤) نهج البيان: ج٢، ص١٤١ (مخطوط).

وقال أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ : «أقالهم، فوالله ما تابوا»[١].

وقرأ أبو عبد الله عليه السلام : «لقد تاب الله بالنبيّ على المهاجرين والأنصار».

وقال أبان بن تغلب: قلت له: يا بن رسول الله، إنّ العامّة لا تقرأ كما عندك؟ قال: «وكيف تقرأ، يا أبان؟».

قال: قلت إنها تقرأ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[٢]. فقال: «ويلهم، وأيُّ ذنبٍ كان لرسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تاب الله عليه منه، إنما تاب الله به على أمّته»[٣].

س٧٦: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٩]؟!

الجواب/ قال سليم بن قيس الهلالي: ـ في حديث المناشدة ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «فأنشدتكم الله جلَّ اسمه، أتعلمون أنّ الله أنزل ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ، فقال سلمان: يا رسول الله، أعامّةٌ هي أم خاصّةٌ؟ فقال: أمّا المؤمنون فعامّةٌ لأنّ جماعة المؤمنين أمروا بذلك، وأمّا الصادقون فخاصّةٌ لأخي عليّ والأوصياء من بعده إلى يوم القيامة؟». قالوا: اللهمّ نعم[٤].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ : «بطاعتهم»[٥].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٦، ح١٥٤.
(٢) التوبة: ١١٧.
(٣) الاحتجاج: ٧٦.
(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٥٠.
(٥) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٧، ح١٥٦.

س٧٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾ [التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾: أي عطش ﴿ولا نصب﴾ أي عناء ﴿ولا مخمصة في سبيل الله﴾ أي جوع ﴿ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار﴾ يعني لا يدخلون بلاد الكفّار ﴿ولا ينالون من عدو نيلا﴾ يعني قتلاً وأسراً ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وقوله: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾، قال: كلّما فعلوا من ذلك لله جازاهُمُ الله عليه[١].

س٧٨: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ [سورة التوبة: ١٢٢]؟!

الجواب/ قال يعقوب بن شعيب: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا حدث،

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٠٧.

على الإمام حدثٌ، كيف يصنع الناس؟ قال: «أين قول الله عزّ وجلّ: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾! ـ قال ـ هم في عذرٍ ما داموا في الطُّلب، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذرٍ حتى يرجع إليهم أصحابهم»[١].

وقال أبو بصير: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: «تفقّهوا، فإن من لم يتفقّه منكم فإنّه أعرابيّ، إن الله يقول في كتابه: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ إلى قوله: ﴿يحذرون﴾»[٢].

وقال الطبرسي: قال الباقرعليه السلام : «كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله سبحانه أن تنفر منهم طائفةٌ وتقيم طائفةٌ للتفقُّه، وأن يكون الغزو نوباً»[٣].

وقال علي بن إبراهيم القميّ: في قوله تعالى: ﴿لعلهم يحذرون﴾ : كي يعرفُوا اليقين»[٤].

قال عبد المؤمن الأنصاري: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام إنّ قوماً يروون أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «اختلاف أمّتي رحمة؟» فقال: «صدقُوا».

فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ فقال: «ليس حيث تذهب وذهبوا، إنّما أراد قول الله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ فأمرهم الله أن ينفروا إلى رسول اللهصلى الله عليه وآله ، ويختلفوا إليه فيتعلّموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان لا اختلافاً في الدِّين، إنما الدِّين واحدٌ، إنّما الدين واحدٌ»[٥].

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٠٩، ح١.
(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٨، ح١٦٢.
(٣) مجمع البيان: ج٥، ص١٢٦.
(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٧.
(٥) علل الشرائع: ص٨٥، ح٤.

س٧٩: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٣]؟!

الجواب/ قال جعفر بن محمّد عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾، قال: «الديلم»[١].

وقال علي بن إبراهيم: يجب على كلّ قومٍ أن يقاتلوا من يليهم ممّن يقرب من بلادهم من الكفّار، ولا يجوزوا ذلكَ الموضع، والغلظة: أي أغلظوا لهم القول والفعل[٢].

س٨٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]؟!

الجواب/ قال أبو عمرو الزُبيري: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّها العالم، أخبرني أيّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: «ما لا يقبل الله شيئاً إلاّ به».

قلت: وما هو؟ قال: «الإيمان بالله الذي لا إله إلاّ هو، أعلى الأعمال درجةً، وأشرفها منزلةً، وأسناها حظّاً».

قال: قلتُ: ألا تخبرني عن الإيمان، أقول هو وعمل، أم قولٌ بلا عمل؟ فقال: «الإيمان عملٌ كلّه، والقول بعض ذلك العمل، بفرضٍ من الله بيّنٍ في كتابه، واضح نوره، ثابتةٍ حجّته، يشهد له به الكتاب، ويدعوه إليه».

---

(١) التهذيب: ج٦، ص١٧٤، ح٣٤٥. (٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٠٧.

قال: قلتُ له: صفه لي ـ جعلت فداك ـ حتى أفهمه. قال: «الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازل، فمنه التّامُ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه».

قلت: إنّ الإيمان ليتمُّ وينقص ويزيد؟ قال: «نعم».

قلت: كيف ذاك؟ قال: «لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم، وقسّمه عليها، وفرّقه فيها، فليس من جوارحه جارحةٌ إلاّ وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلاّ عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللّتان يبصر بهما، وأذناه اللّتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللّتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه.

فليس من هذه جارحةٌ إلاّ وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها، بفرضٍ من الله تبارك وتعالى اسمه، ينطق به الكتاب لها، ويشهد به عليها، ففرض على القلب غير ما فرض على السّمع، وفرض على السّمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرّجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والمحبّة والرّضا والتسليم بأن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، إلهاً واحداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، والإقرار بما جاء من عند الله من نبيٍّ أو كتابٍ، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ

بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾(١)، وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٢) وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾(٣)، وقال: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾(٤)، فذلك ما فرض الله عزَّ وجلَّ على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللّسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقرَّ به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٥)، وقال: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾(٦)، فهذا ما فرض الله على اللّسان، وهو عمله.

وفرض على السّمع أن يتنزَّه عن الاستماع إلى ما حرَّم الله، وأن يعرض عمّا لا يحلُّ له مما نهى الله عزَّ وجلَّ عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله عزَّ وجلَّ، فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾(٧)، ثم استثنى عزَّ وجلَّ موضع النسيان، فقال: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٨)، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) البقرة: ٨٣.

(٦) العنكبوت: ٤٦.

(٧) النساء: ١٤٠.

(٨) الأنعام: ٦٨.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٤]، فهذا ما فرض الله على السَّمع من الإيمان أن لا يصغي إلى ما لا يحلُّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرَّم الله عليه، وأن يعرض عمّا نهى الله عنه ممّا لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[٥]، فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٦]، من أن تنظر إحداهنّ إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن تنظر إليها». وقال: «كلُّ شيءٍ في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزّنا إلاّ هذه الآية فإنها من النّظر.

ثم نظم ما فرض على القلب واللّسان والسّمع والبصر في آيةٍ أخرى، فقال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[٧]، يعني بالجلود الفروج والأفخاذ، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) المؤمنون: ١ ـ ٤.

(٣) القصص: ٥٥.

(٤) الفرقان: ٧٢.

(٥) النور: ٣٠.

(٦) النور: ٣١.

(٧) فصلت: ٢٢.

﴿وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١]، فهذا ما فرض الله على العينين من غضّ البصر عمّا حرّم الله عزّ وجلّ، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

وفرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرّم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عزّ وجلّ، وفرض عليهما من الصّدقة وصلة الرّحم والجهاد في سبيل الله والطّهور للصّلاة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[٢]، وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[٣]، فهذا ما فرض الله على اليدين، لأنّ الضّرب من علاجهما.

وفرض على الرّجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٤]، وقال: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[٥]، وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهم لما أمر الله عزّ وجلّ به، وفرضه عليهما ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٦] فهذا أيضاً ممّا فرض الله على اليدين وعلى الرّجلين، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) محمد: ٤.

(٤) الإسراء: ٣٧.

(٥) لقمان: ١٩.

(٦) يس: ٦٥.

وفرض على الوجه السُّجود له بالليل والنّهار في مواقيت الصّلوات، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۩﴾[1] وهذه فريضةٌ جامعةٌ على الوجه واليدين والرِّجلين، وقال في موضعٍ آخر: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال فيما فرض الله على الجوارح من الطّهور والصّلاة بها، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لمّا صرف نبيهﷺ إلى الكعبة عن بيت المقدس، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] فسمّى الصلاة إيماناً، فمن لقي الله عزّ وجلّ حافظاً لجوارحه، موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عزّ وجلّ عليها لقي الله عزّ وجلّ مستكملاً لإيمانه، وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيءٍ منها أو تعدّى ما أمر الله عزّ وجلّ فيها لقي الله عزّ وجلّ ناقص الإيمان».

قال: قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: «قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾. وقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[4] ولو كان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضلٌ على الآخر، ولاستوت النّعم فيه، ولاستوى الناس وبطل التّفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة،

(١) الحج: ٧٧.

(٢) الجن: ١٨.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) الكهف: ١٣.

وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدّرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرّطون النّار»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾: «شكّاً إلى شكّهم»[٢].

❁ س٨١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ [التوبة: ١٢٦ ـ ١٢٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ قال: أي يمرضون ﴿ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾، قال: وقوله تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾ يعني المنافقين ﴿ثم انصرفوا﴾ أي تفرّقوا ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن الحقّ إلى الباطل باختيارهم الباطل على الحقّ.

ثم خاطب الله عزّ وجلّ الناس، واحتجّ عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ أي مثلكم في الخلقة، ويقرأ «من أنفسكم» أي من أشرفكم ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي ما أنكرتم وجحدتم ﴿حريص

---

(١) الكافي: ص٢٨، ح١.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١١٨، ح١٦٤.

عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾.

ثم عطف على النّبي بالمخاطبة، فقال: ﴿فإن تولوا﴾ يا محمد عمّا تدعوهم إليه: ﴿فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[1].

وقال عبد الله بن سليمان: تلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾، قال: «من أنفسنا» قال: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾، قال: ﴿حريص عليكم﴾، قال: «علينا». ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾، قال: (بشيعتنا رءوف رحيم) فلنا ثلاثة أرباعها، ولشيعتنا ربعها»[2].

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٠٨.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١١٨، ح١٦٦.

تفسير
سورة يونس

رقم السورة ـ ١٠ ـ

سورة يونس

❁ س١: ما هو فضل سورة يونس؟!

الجواب/ ١ ـ قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ هذه السورة أعطي من الأجر الحسنات بعدد مَنْ كذّب يونس عليه السلام وصدّق به، ومَنْ كتبها وجعلها في منزله وسمّى جميع من في الدّار وكان بهم عُيوب ظهرت، ومَنْ كتبها في طستٍ وغسلها بماءٍ نظيفٍ وعجن بها دقيقاً على أسماء المُتّهمين وخبزه، وكسر لكلّ واحدٍ منهم قطعةً وأكلها المُتّهمُ، فلا يكادُ يبلعُها، ولا يبلعها أبداً ويُقرُّ بالسّرقة»[(١)].

٢ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَنْ قرأ سورة يونس في كلّ شهرين أو ثلاثة لم يُخف عليه أن يكون من الجاهلين، وكان يوم القيامة من المُقرّبين»[(٢)].

❁ س٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ١ ـ ٢]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام في معنى ﴿الر﴾: «معناه أنا الله الرءوف»[(٣)].

---

(١) خواص القرآن: ٢ «قطعه منه».

(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٦.

(٣) معاني الأخبار: ص٢٢، ح١.

وقال علي بن إبراهيم القمّي: ﴿الر﴾ هو حرفٌ من حُروف الاسم الأعظم المُقطّع في القُرآن، فإذا ألّفه الرسولُ أو الإمام فدعا به أُجيب، ثمّ قال: ﴿أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾(١).

وفي قوله تعالى: ﴿قدم صدق عند ربهم﴾:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو رسولُ الله ﷺ»(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «ولاية أمير المؤمنين عليه السلام»(٣).

وقال الطّبرسي: قيل: إنّ معنى ﴿قدم صدق﴾ شفاعة محمّد ﷺ لهم يوم القيامة. قال: وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام(٤).

❁ س٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلُق الشرّ قبل الخير، وفي يوم الأحد والاثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السّماواتِ يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٥)»(٦).

---

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٠٨.
(٢) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٢٠، ح٥.
(٣) الكافي: ج١، ص٣٤٩، ح٥٠.
(٤) مجمع البيان: ج٥، ص١٣٤.
(٥) الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤.
(٦) الكافي: ج٨، ص١٤٥، ح١١٧.

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ الله خلق الشُّهور اثني عشر شهراً، وهي ثلاثمائة وستّون يوماً، فخرج منها ستة أيّام خلق فيها السماوات والأرض، فمن ثمّ تقاصرت الشُّهور»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله جلّ ذكره وتقدّستْ أسماؤه خلق الأرض قبل السّماء، ثمّ استوى على العرش لتدبير الأمور»[٢].

أما معنى استوى والعرش:

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام لعبد الرحمٰن بن الحجّاج عندما سأله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٣]: «استوى في كلّ شيءٍ، فليس شيءٌ أقرب إليه من شيءٍ، لم يبعُد منه بعيدٌ ولم يقرُب منه قريب، استوى في كلّ شيءٍ»[٤].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مُستولٍ على العرش، بائِنٌ من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنّ العرش حاوٍ له، ولا أنّ العرش محلّ له، لكنّا نقول: هو حامل العرش، ومُمسك للعرش ونقول في ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٥]، فثبّتنا من العرش والكُرسيّ ما ثبّته، ونفينا أن يكون العرش والكُرسيّ حاوياً له، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان، أو إلى شيءٍ ممّا خلق، بل خلقُهُ محتاجون إليه»[٦].

---

(١) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٢٠، ح٧.
(٢) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٢٠، ح٨.
(٣) طه: ٥.
(٤) التوحيد: ص٣١٧، ح٦٢٥.
(٥) البقرة: ٢٥٥.
(٦) الاحتجاج: ص٣٣٢.

٢ ـ قال حنان بن سدير: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسيّ؟!

فقال عليه السلام: «إنّ للعرش صفاتٍ كثيرةً مختلفةً، له في كلّ سبب وضع في القرآن صفةٌ على حدةٍ. فقوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ يقول ربّ الملك العظيم، وقوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يقول: على الملك احتوى»[1].

س٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٤] وما هو وجه الاتصال بما قبلها؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿إليه مرجعكم جميعا﴾ المرجع يحتمل معنيين أحدهما: أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع. والآخر: أن يكون بمعنى موضع الرجوع أي: إليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء ﴿وعد الله حقا﴾ أي: وعد الله تعالى ذلك عباده، وعداً حقاً صدقاً ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: يبتدىء الخلق ابتداء، ثم يعيدهم بعد موتهم ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: ليؤتيهم جزاء أعمالهم ﴿بالقسط﴾ أي: بالعدل، لا ينقص من أجورهم شيئاً ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ أي: ماء حار قد انتهى حره في النار ﴿وعذاب أليم﴾ وجيع ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: جزاء على كفرهم.

---

(١) التوحيد: ص٣٢١، ح١.

أما وجه اتصال هذه الآية بما قبلها: أنه قال: أكان للناس عجباً؟ قالوا: وكيف لا نعجب، ولا علم لنا بالمرسل؟ فقال: إن ربكم الله، ويجوز أن يكون على أنه لما قال أكان للناس عجباً، وكان هذا حكماً على الله سبحانه، فكأنه قال: أفتحكمون عليه وهو ربكم.

قال الأصم: ويحتمل أن يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعاً، احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعه في السماوات والأرض، وفي أنفسهم[(١)].

❁ س٥: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥]؟!

الجواب/ قال أبو ذرّ الغفاري (رحمه الله): كنتُ آخذاً بيد النبيّ ﷺ ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشّمس حتّى غابت، فقلتُ: يا رسول الله، أين تغيب؟

قال: «في السّماء، ثمّ تُرفع من سماء إلى سماء، حتّى تُرفع إلى السّماء السابعة العُليا، حتى تكون تحت العرش، فتخرُّ ساجدةً، فتسجُد معها الملائكة الموكَّلون بها، ثمّ تقول: يا ربّ، من أين تأمُرني أن أطلع، أمن مشرقي أو من مغربي؟ فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[(٢)] يعني بذلك صُنع الربّ العزيز في مُلكه، العليم بخلقه ـ قال ـ فيأتيها جبرائيل عليه السلام بحُلّة ضوء من نُور العرش، على مقدار ساعات

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٥٦.

(٢) يس: ٣٨.

النهار، على طوله في أيّام الصّيف، أو قصره في الشّتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والرّبيع ـ قال ـ فتلبس تلك الحُلّة كما يلبسُ أحدُكم ثيابه، ثمّ ينطلق بها في جوّ السّماء حتّى تطلُعَ من مطلعها». قال النبي ﷺ: «فكأنّي بها وقد حُبست مقدار ثلاث ليال، ثمّ لا تكسى ضوءاً وتُؤمر أن تطلعُ من مغربها، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾[1].

والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في أُفق السّماء ومغربه، وارتفاعه إلى السّماء السابعة، ويسجُد تحت العرش، ثمّ يأتيه جبرائيل بالحُلّة من نُور الكُرسي، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾. قال أبو ذر (رحمه الله): ثم اعتزلتُ مع رسول الله ﷺ وصلّينا المغرب[2].

س٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس: ٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض﴾ أي: فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة في السماوات من الأفلاك، والكواكب السيارة، وغير السيارة، وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد، وأنواع الأرزاق، والنعم (الآيات) أي: حججاً ودلالات على وحدانية الله ﴿لقوم يتقون﴾ معاصي الله، ويخافون عقابه. وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها[3].

---

(١) التكوير: ١ ـ ٢.

(٢) التوحيد: ص٢٨٠، ح٧.

(٣) مجمع البيان: ج٥، ص١٥٨.

❁ س٧: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧ ـ ٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القميّ: قوله تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي لا يؤمنون به ﴿بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ قال: الآياتُ: أمير المؤمنين والأئمةعليهم السلام، والدليل على ذلك قولُ أمير المؤمنينعليه السلام: «ما لله آيةٌ أكبرُ منّي»(١).

وقال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿أولئك مأواهم النار﴾ أي: مستقرهم النار ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي(٢).

❁ س٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾ [يونس: ٩]؟!

الجواب/ قال عبد الله بن الفضل الهاشميّ، سألت أبا عبد الله جعفر بن محمدعليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(٣).

فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى يُضلّ الظّالمين يوم القيامة عن دار كرامته، ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(٤) وقال عزّ وجلّ: ﴿إن الذين ءامنوا وعملوا

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٩.
(٢) مجمع البيان: ج٥، ص١٥٩.
(٣) الكهف: ١٧.
(٤) إبراهيم: ٢٧.

الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾»[١].

س٩: ما هو معنى قوله تعالى:
﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[٢].

فقال: يا عليّ، إنّ الوفد لا يكونون إلاّ ركباناً، أولئك رجالٌ اتّقوا الله فأحبَّهم الله عزّ ذكره واختصَّهم ورضي أعمالهم فسمَّاهم المتَّقين. ثمّ قال له: يا عليّ، أما والذي فلق الحبّة وبرأ النَّسمة إنهم ليخرجون من قبورهم، وإنّ الملائكة تستقبلهم بنوقٍ من نوق الجنّة. عليها رِحال الذَّهب، مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلائلها الاستبرق والسُّندس، وخطمها جدل الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر، مع كل رجلٍ منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله، يزفُّونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم. وعلى باب الجنّة شجرة، إنّ الورقة منها ليستظلُّ تحتها ألف رجل من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مُزكّية - قال - فيسقون منها شربةً شربة فيطهّر الله بها قلوبهم من الحسد، ويسقط عن أبشارهم الشعر وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٣] من تلك العين المطهّرة. قال: ثم يصرفون إلى عينٍ أخرى عن يسار الشجرة، فيغتسلون فيها، وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً.

قال: ثمّ يوقف بهم قدّام العرش، وقد سلموا من الآفات والأسقام

---

(١) التوحيد: ص٢٤١، ح١.
(٢) مريم: ٨٥.
(٣) الإنسان: ٢١.

والحرّ والبرد أبداً.

قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم احشروا أوليائي إلى الجنّة، ولا توقفوهم مع الخلائق، فقد سبق رضاي عنهم، ووجبت رحمتي لهم، وكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسّيئات! قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنّة».

وساق الحديث بطوله إلى أن قال في آخره ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «أمّا الجنان المذكورة في الكتاب، فإنّهنّ: جنّة عدنٍ، وجنّة الفردوس، وجنّة النّعيم، وجنّة المأوى». قال: «فإن لله عزّ وجلّ جناناً محفوفة بهذه الجنّات، وإن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى، يتنعّم فيهنّ كيف يشاء، وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهى إنما دعواه فيها إذا أراد، أن يقول: سبحانك اللهمّ، فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام﴾ يعني الخدّام. قال: ﴿وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ يعني بذلك عندما يقضون من لذّاتهم من الجماع والطّعام والشّراب يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم»[1].

❁ س١٠: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ١١]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم﴾، قال: لو عجّل الله لهم الشّرّ كما يستعجلون الخير لقضي لهم أجلهم، أي فرغ من أجلهم[2].

---

(١) الكافي: ج٨، ص٩٥، ح٦٩. (٢) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٠٩.

✿ س١١: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿دعانا لجنبه﴾ العليلُ الذي لا يقدر أن يجلس ﴿أو قاعدا﴾، قال: الذي لا يقدر أن يقوم ﴿أو قائما﴾، قال: الصّحيح. وقوله: ﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾ أي ترك ومرَّ ونسي ﴿كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾(١).

✿ س١٢: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٣ ـ ١٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾، قال: يعني عاداً وثمود ومن أهلكه الله، ثم قال: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ يعني حتى نرى، فوضع النظر مكان الرّؤية.

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٩.

وقال: وقوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرءان غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾، قال: فإن قريشاً قالت لرسول الله ﷺ: ائتنا بقرآنٍ غير هذا، فإنّ هذا شيءٌ تعلّمته من اليهود والنصارى، قال الله: ﴿قل﴾ لهم ﴿لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ أي لقد لبثت فيكم أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ ولم أتكلّم بشيءٍ منه حتى أوحي إليّ[(١)].

ثم قال علي بن إبراهيم: وأمّا قوله ﴿أو بدله﴾ فإنه حدّثني الحسن بن علي، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي السَّفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ ﴿ائت بقرءان غير هذا أو بدله﴾: «يعني أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ يعني في عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام»[(٢)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لم يزل رسولُ الله ﷺ يقول: «إنّي أخافُ إن عصيتُ ربّي عذاب يومٍ عظيم» حتى نزلت سورة الفتح فلم يعد إلى ذلك الكلام»[(٣)].

س١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: ١٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿فمن أظلم ممن

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٠٩.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٠.

(٣) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٠، ح١٢.

افترى على الله﴾ أي: لا أحد أظلم ممن اخترع على الله ﴿كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ أي: المشركون.. فإن قيل: أليس من ادعى الربوبية أعظم ظلماً من المدعي للنبوة؟

قلنا: إن المراد بقوله ﴿من افترى على الله كذبا﴾ من كفر بالله تعالى، فقد دخل فيه من ادعى الربوبية، وغيره من أنواع الكفار، فكأنه قال لا أحد أظلم من الكافر(١).

❁ س١٤: ما هو تفسير قوله تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

[يونس: ١٨ ـ ١٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: كانت قريش تعبد الأصنام ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فإنّا لا نقدر على عبادة الله. فردَّ الله عليهم، فقال: قل لهم، يا محمد: ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم﴾ أي ليس يعلم، فوضع حرفاً مكان حرفٍ، أي ليس له شريك يعبد.

وقال: قوله: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي على مذهب واحد ﴿فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم﴾ أي كان ذلك في علم الله السابق أن يختلفوا، وبعث فيهم الأنبياء والأئمّة بعد الأنبياء، ولولا ذلك لهلكوا عند اختلافهم(٢).

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٦٧.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣١٠.

س١٥ : ما هو تفسير قوله تعالى :

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يونس: ٢٠]؟!

الجواب/ قال يحيى بن أبي القاسم: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(١)].

فقال: «المُتّقون: شيعة عليّ عليه السلام، والغيب: هو الحجّة القائم، وشاهد ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾»[(٢)].

وقال الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصّبر وانتظار الفرج! أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[(٣)] و﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾، فعليكم بالصّبر، فإنّه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»[(٤)].

س١٦ : ما هو معنى قوله تعالى :

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢١ ـ ٢٢]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى):

---

(١) البقرة: ١ ـ ٣.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص١٧.
(٣) هود: ٩٣.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٤٥، ح٥.

ثم أخبر سبحانه ذميم فعالهم، فقال: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ يريد بالناس الكفار، فهو عموم يراد به الخصوص ﴿من بعد ضراء مسهم﴾ أي: راحة ورخاء بعد شدة وبلاء، وحقيقة الذوق فيما له طعم يوجد إنما يكون طعمه بالفم، وإنما قال أذقناهم الرحمة على طريق البلاغة، لشدة إدراك الحاسة إياها ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ أي: فهم يحتالون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهة، أو تخليط في مناظرة، أو غير ذلك من الأمور الفاسدة. وقال مجاهد: مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم.

﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿الله أسرع مكرا﴾ أي: أقدر جزاء على المكر، ومعناه أن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أي أوقع في حقه. وقيل: إن مكره سبحانه إنزاله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون. ﴿إن رسلنا﴾ يعني الملائكة الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ أي ما تدبرون من سوء التدبير.

وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين أحدهما أنه يحفظ مكرهم والآخر أنه أقدر على جزائهم وأسرع فيه. ثم امتن الله سبحانه على خلقه، بأن عدد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال، فقال ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ أي: يمكنكم من السير في البر والبحر، بما هيأ لكم من آلات السير، وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبوها في البر، وتحملوا عليها أثقالكم، وهيأ السفن في البحر، وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة.

﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ خص الخطاب براكب البحر أي: إذا كنتم راكبي السفن في البحر ﴿وجرين بهم﴾ أي: وجرت السفن بالناس لما ركبوها، عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب، تصرفاً في الكلام، على أنه يجوز أن يكون خطاباً لمن كان في تلك الحال، وإخباراً لغيرهم من الناس ﴿بريح طيبة﴾ أي: بريح لينة يستطيبونها.

﴿وفرحوا بها﴾ أي: سروا بتلك الريح لأنها تبلغهم مقصودهم... وقيل: فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتعتهم ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ أي: جاءت للسفينة ريح عاصف، شديدة الهبوب الهائلة ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ من البحر. والموج: اضطراب البحر، ومعناه: وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه.

﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أيقنوا أنهم دنوا من الهلاك. وقيل: غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج ﴿دعوا الله﴾ عند هذه الشدائد والأهوال، والتجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: على وجه الإخلاص في الاعتقاد، ولم يذكروا الأوثان والأصنام لعلمهم بأنها لا تنفعهم ههنا شيئاً، وقالوا: ﴿لئن أنجيتنا﴾ يا رب ﴿من هذه﴾ الشدة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي: من جملة من يشكرك على نعمك...[1].

❁ س١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاثٌ يرجعن على صاحبهنّ: النَّكث، والبغي، والمكر، قال الله: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾»[2].

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢١، ح١٣.

س١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤]؟!

الجواب/ قال الفضيل بن يسار: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، إنّا نتحدّث أن لآل جعفر رايةً، ولآل فلان رايةً، فهل في ذلك شيء؟

فقال: «أمّا لآل جعفر فلا، وأمّا راية بني فلان فإنّ لهم ملكاً مبطئاً، يُقرّبون فيه البعيد، ويبعّدون فيه القريب، وسلطانهم عسرٌ ليس فيه يسر، لا يعرفون في سلطانهم من أعلام الخير شيئاً، يصيبهم فيه فزعاتٌ ثم فزعات، كل ذلك يتجلّى عنهم، حتى إذا أمنوا مكر الله، وأمنوا عذابه، وظنّوا أنهم قد استقرّوا، صيح فيهم صيحةً لم يكن لهم فيها منادٍ يسمعهم ولا يجمعهم[1]، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ إلى قوله: ﴿لقوم يتفكرون﴾ ألا إنه ليس أحدٌ من الظُّلمة إلا ولهم بُقيا، إلا آل فلان فإنهم لا بُقيا لهم».

قال: جعلت فداك، أليس لهم بقيا؟

قال: «بلى، ولكنّهم يصيبون منّا دماً، فبظلمهم نحن وشيعتنا فلا بقيا لهم»[2].

---

(١) في «ط»: منال يَسَهم ولا يجمعهم.

(٢) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢١، ح١٤.

س١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]؟!

الجواب/ قال العلاء بن عبد الكريم: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾، فقال: «إنّ السلام، هو الله عزّ وجلّ، وداره التي خلقها لأوليائه الجنّة»[(١)].

وقال زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، في قوله تعالى: ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾: «يعني به الجنّة ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ يعني به ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[(٢)].

س٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾: «فأمّا الحسنى فهي الجنّة، وأما الزيادة فالدنيا، ما أعطاهم الله فيها لم يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع الله لهم ثواب الدنيا والآخرة، ويثيبهم بأحسن أعمالهم في الدنيا والآخرة، يقول الله: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾»[(٣)].

وروي في (نهج البيان): عن علي بن إبراهيم. قال: قال عليه السلام: الزيادة هبة الله عزّ وجلّ: ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾، قال: القتر: الجوع

---

(١) معاني الأخبار: ص١٧٦، ح٢.

(٢) المناقب: ج٣، ص٧٤، شواهد التنزيل: ج١، ص٢٦٣، ح٣٥٨.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣١١.

والفقر، والذلّة: الخوف[١].

س٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم﴾.

قال: «هؤلاء أهل البدع والشُبهات والشّهوات يسوّد الله وجوههم، ثمّ يلقونه، يقول الله: ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾ يسوّد الله وجوههم يوم القيامة، ويلبسهم الذلّة والصَّغار، يقول الله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما﴾، قال: «أما ترى البيت إذا كان اللّيل كان أشدّ سواداً من خارج، فلذلك هم يزدادون سواداً»[٣].

س٢٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [يونس: ٢٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعا

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣١١ وليس فيه (الزيادة هبة الله عزّ وجلّ) ولم تجد الحديث في نهج البيان المخطوط.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣١١.

(٣) الكافي: ج٨، ص٢٥٢، ح٣٥٥.

ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم﴾ قال: يبعث الله ناراً تزيّل بين الكفّار والمؤمنين.

س٢٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): هذا إخبار من الله تعالى عن شركاء المشركين من الآلهة والأوثان يوم القيامة حين قال المشركون إنا إنما إياكم كنا نعبد، وأنهم يجحدون ذلك ويقولون: حسبنا الله شاهداً بيننا وبينكم أيها المشركون بأنه تعالى عالم أنا ما علمنا ما تقولون، وأنا كنا عن عبادتكم إيانا غافلين، لا نشعر به ولا نعلمه. وإنما قال ﴿شهيدا بيننا﴾ ولم يقل علينا، لأنه إذا قال بيننا فمعناه لنا وعلينا، فهو أعم وأحسن. ونصب ﴿شهيدا﴾ على التميز، وتقديره وكفى بالله من الشهداء. وقال الزجاج: نصب على الحال وتقديره كفى بالله في حال الشهادة. وقوله ﴿إن كنا﴾ فهذه ﴿إن﴾ المخففة عن الثقيلة بدلالة دخول اللام في الخبر للفرق بين ﴿إن﴾ الجحد و﴿إن﴾ المؤكدة. وقال الزجاج: هي بمعنى ﴿ما﴾ ومعناه ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين(١).

س٢٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القمّي: قوله تعالى: ﴿هنالك تبلوا كل

---

(١) التبيان: ج٥، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩.

نفس ما أسلفت﴾ أي تتبع ما قدّمت ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي بطل عنهم ما كانوا يفترون.

س٢٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾

[يونس: ٣١ ـ ٣٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ثمّ قرر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم، فقال: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿من يرزقكم﴾ أي: من يخلق لكم الأرزاق ﴿من السماء﴾ بإنزال المطر والغيب ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ بإخراج النبات، وأنواع الثمار. والرزق: في اللغة هو العطاء الجاري. يقال رزق السلطان الجند، إلا أن كل رزق فإن الله هو الرزاق به، لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الإنسان، لم يجيء منه شيء، فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى.

ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه، ويقيد في غيره، فيقال رب الدار، ورب الضيعة، ولا يجوز أن يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلا ويرزقه، لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ معناه: أم من يملك أن يعطيكم الأسماع، والأبصار، فيقويها وينورها، ولو شاء لسلب نورها وحسها.

﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ قيل: معناه ومن يخرج الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان. وقيل: معناه ومن يخرج

الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه، ويخرج غير التام، ولا البالغ حد الكمال من الحي.

وقيل: معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿ومن يدبر الأمر﴾ أي: ومن الذي يدبر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجبه الحكمة ﴿فسيقولون الله﴾ أي: فسيعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء، وأن الأصنام لا تقدر عليها.

﴿فقل أفلا تتقون﴾ أي: فقل لهم عند اعترافهم بذلك: أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام. وفي الآية دلالة على التوحيد، وعلى حسن المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاج به المشركين. وفيها دلالة على أنهم كانوا يقرون بالخالق، وإن كانوا مشركين، فإن جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة، ومن أقر بالصانع على هذا صنفان: موحد يعتقد أن الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره، ومشرك، وهم ضربان: فضرب جعلوا لله شريكاً في ملكه، يضاده ويناوئه، وهم الثنوية والمجوس، ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكاً قديماً كالمانوية، ومنهم من يثبت شريكاً محدثاً كالمجوس. وضرب آخر لا يجعل لله شريكاً في حكمه وملكه، ولكن يجعل له شريكاً في العبادة، يكون متوسطاً بينه وبين الصانع، وهم أصحاب المتوسطات.

ثم اختلفوا: فمنهم من جعل الوسائط من الأجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر. ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها، تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علواً كبيراً ﴿فذلكم الله﴾ ذلك إشارة إلىٰ اسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي. والكاف والميم للمخاطبين، وهم جميع الخلق.

أخبر سبحانه أن الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ربكم الحق﴾ الذي خلقكم، ومعبودكم الذي له معنى الإلهية ويحق له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان.

﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة، إذ لا يجد المجيب محيداً عن الإقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت إليه. والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال، لأنه ليس بينهما واسطة، فإذا ثبت أن عبادة ما سواه باطل وضلال ﴿فأنى تصرفون﴾ أي: فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ معناه: إن الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة، كالقول بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال. وقيل: إن معناه مثل انصرافهم عن الإيمان، وجبت العقوبة لهم أي: جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف. وهذا في قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، ومعناه: سبق علم ربك في هؤلاء أنهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ أو لأنهم لا يؤمنون أي: وجبت العقوبة عليهم لذلك[1].

❁ س٢٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: ٣٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر، فقال: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده﴾ أي: هل من هذه الأصنام التي

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

جعلتموها شركاء لله في العبادة. وقيل: الذين جعلتموهم شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدء الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن، وهو النشأة الأولى، ثم يعيده في النشأة الثانية ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ معناه: فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه، أو سكتوا، فقل أنت لهم: الله هو الذي يبدأ الخلق بأن ينشئه على غير مثال، ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة ﴿فأنى تؤفكون﴾ أي: كيف تصرفون عن الحق، وتقلبون عن الإيمان[1].

س٢٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

[يونس: ٣٥]؟!

الجواب/ قال الرضا عليه السلام - في حديث طويل: «إنّ الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل زمانهم في قوله تعالى: ﴿أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾»[2].

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾. فأمّا ﴿من يهدى إلى الحق﴾ فهم محمد صلى الله عليه وآله وآل محمّد عليهم السلام من بعده، وأمّا ﴿من لا يهدى إلا أن يهدى﴾ فهو من خالف - من قريش وغيرهم - أهل بيته من بعده»[3].

---

(١) نفس المصدر: ج٥، ص١٨٧.

(٢) الكافي: ج١، ص١٥٧، ح١، معاني الأخبار: ص١٠٠.

(٣) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٢.

س٢٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [يونس: ٣٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظنا﴾ أي: ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا ظناً، الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقاً، وعرفه معرفة صحيحة، والظن يكون فيه تجويز أن يكون المظنون على خلاف ما ظن، فلا يكون مثل العلم ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ من عبادة غير الله تعالى، فيجازيهم عليه، وفيه ضرب من التهديد[1].

س٢٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾
[يونس: ٣٧ ـ ٣٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم: إئت بقرآن غير هذا، أو بدله.

وقولهم أن النبي صلى الله عليه وآله افترى هذا القرآن فقال: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى﴾ أي: افتراء ﴿من دون الله﴾ فأقام أن مع الفعل مقام المصدر، بل هو وحي من الله، ومتلقى منه ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب كما قال

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٨٨.

في موضع آخر ﴿مصدقا لما بين يديه﴾.

وهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور، بأنها حق، ومن وجه آخر هو شاهد لها من حيث أنه مصداق لها على ما تقدمت البشارة به فيها. وقيل: معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور، والحساب، والجزاء. ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي: تبيين المعاني المجملة في القرآن من الحلال، والحرام، والأحكام الشرعية. وقيل: معناه وبيان الأدلة التي تحتاجون إليها في أمور دينكم ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: لا شك فيه أنه نازل من عند الله، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله، وهذا غاية في التحدي.

﴿أم يقولون افتراه﴾: هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة أخرى وتقديره: بل أيقولون أفتراه هذا فألزمهم على الأصل الفاسد إمكان أن يأتوا بمثله و﴿قل﴾ لهم ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ أي: مثله في البلاغة لأنكم من أهل لسانه، فلو قدر على ذلك لقدرتم أنتم أيضاً عليه، فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من كلام البشر، وأنه منزل من عند الله عز اسمه، وقيل: ﴿بسورة مثله﴾ أي: بسورة مثل سورة منه. وقال: ﴿مثله﴾ لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس.

﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ أي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله، واستعينوا به للمعاضدة على المعارضة بسورة مثله ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن هذا القرآن مفترى من دون الله، وهذا أيضاً غاية في التحدي والتعجيز[(١)].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص١٨٩.

❁ س٣٠: ما هو معنى قوله تعالى:
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس: ٣٩ ـ ٤٠]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ أي لم يأتهم تأويله. ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾، قال: نزلت في الرّجعة كذبوا بها، أي أنها لا تكون، ثم قال: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ «فهم أعداء محمّد وآل محمد من بعده ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ الفساد: المعصية لله ولرسوله»(٢).

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا ما لا يعلمون ولا يردّوا ما لا يعلمون». ثم قرأ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾(٣)، وقال: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾(٤).

وقال زرارة: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الأمور العظام من الرّجعة وأشباهها. فقال: «إنّ هذا الذي تسألون عنه لم يجيء أوانه، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾»(٥).

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٢.
(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٢.
(٣) الأعراف: ١٦٩.
(٤) الكافي: ج١، ص٣٤، ح٨.
(٥) مختصر بصائر الدرجات: ص٢٤.

س٣١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يونس: ٤١ - ٤٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم﴾ إلى قوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أنّ محكم. ثم قال: ﴿وأما نرينك﴾ يا محمد ﴿بعض الذي نعدهم﴾ من الرّجعة وقيام القائم عليه السلام ﴿أو نتوفينك﴾ من قبل ذلك ﴿فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾[1].

س٣٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧]؟!

الجواب/ قال جابر سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال: «تفسيرها بالباطن: أن لكلّ قرنٍ من هذه الأمّة رسولاً من آل محمّد يخرج إلى القرن الذي هو إليهم رسول، وهم الأولياء، وهم الرُّسل».

وأمّا قوله: ﴿فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط﴾، قال: «معناه أنّ

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٢.

الرسل يقضون بالقسط ﴿وهم لا يظلمون﴾ كما قال الله»[١].

س٣٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: ٤٨]؟!

الجواب/ قال الحسين بن علي عليه السلام: منا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون ويقال لهم: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾، أما إن الصابرين في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وقال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): لما وعد سبحانه المكذبين، بين عقيبه أنهم إذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد، فقال ﴿ويقولون﴾ أي: ويقول هؤلاء المشركون ﴿متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة، وقيل: من العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك[٣].

س٣٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس: ٤٩]؟!

الجواب/ قال حمران: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إذا جاء

---

(١) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٣، ح٢٣.

(٢) إكمال الدين ج١، ص٣١٧، وأعلام الورى: ص٤٠٦، والعيون: ج١، ص٦٨، كفاية الأثر: الخزازُ القميّ: ص٢٣٢.

(٣) مجمع البيان: ج٥، ص١٩٥.

أجلهم فلا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، قال: «هو الذي سُمّي لملك الموت عليه السلام في ليلة القدر»[١].

وقد تقدّمت روايات في ذلك، في قوله تعالى: ﴿ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده﴾ من أوّل سورة الأنعام[٢].

❁ س٣٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يونس: ٥٠]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿قل أرءيتم إن أتاكم عذابه بياتا﴾: «يعني ليلاً أو نهاراً ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ فهذا عذابٌ ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة وهم يجحدون نزول العذاب عليهم»[٣].

❁ س٣٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥١ ـ ٥٣]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿أثم إذا ما وقع ءامنتم به﴾ أي صدّقتم في الرّجعة، فيقال لهم: ﴿ءالئن﴾ تؤمنون يعني بأمير المؤمنين عليه السلام ﴿وقد كنتم به﴾ من قبل ﴿تستعجلون﴾، ﴿ثم قيل للذين

---

(١) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٣، ح٢٤.
(٢) تقدّمت في تفسير الآية (٢) من سورة الأنعام.
(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٢.

ظلموا﴾ آل محمدٍ حقَّهم ﴿ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾. ثم قال: ﴿ويستنبئونك﴾ يا محمّد، أهل مكة في عليّ ﴿أحق هو﴾ أي إمامٌ هو ﴿قل إي وربي إنه لحق﴾ إمام[١].

س٣٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس: ٥٤]؟!

الجواب/ سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾، قال: قيل له: ما ينفعهم إسرار النّدامة وهم في العذاب؟ قال: «كرهوا شماتة الأعداء»[٢].

س٣٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٥ ـ ٥٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾ إنّه محكم. قال: ثمّ قال: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن. ثمّ قال: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿بفضل الله وبرحمته﴾ [قال: الفضل رسول الله صلى الله عليه وآله، ورحمته أمير المؤمنين عليه السلام] ﴿فبذلك

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٢.

(٢) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٣، ح٢٦.

فليفرحوا﴾، قال: فليفرح شيعتنا ﴿هو خير مما﴾ أعطوا أعداؤنا من الذهب والفضة[١].

وهذا ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال الحسين عليه السلام، في قوله تعالى ﴿هو خير مما يجمعون﴾: يعني مخالفيهم، من الأهل والمال والوُلد في دار الدنيا[٢].

وقال جعفر بن محمد عليه السلام: «شكا رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وجعاً في صدره، فقال: استشف بالقرآن، لأنّ الله يقول: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾»[٣].

❁ س٣٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: وهو ما أحلّته وحرّمته أهل الكتاب لقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[٤]، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾[٥] الآية، فاحتجّ الله عليهم، فقال: ﴿قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[٦].

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٣ وروي الحديث في روضة الواعظين: ص١٠٦، كفاية الطالب: ص٢٣٧ وتاريخ بغداد: ج٥، ص١٥....

(٢) الأمالي: ص٣٩٩، ح١٣.

(٣) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٤، ح٢٧.

(٤) الأنعام: ١٣٩.

(٥) الأنعام: ١٣٦.

(٦) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٣.

س٤٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ معناه: أي شيء يظن الذين يكذبون على الله أنه يصيبهم يوم القيامة على افترائهم على الله أيّ: لا ينبغي أن يظنوا أن يصيبهم على ذلك إلا العذاب الشديد، والعقاب الأليم ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ بما فعل بهم من ضروب الإنعام ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ نعمه، ويجحدونها. وهذا الكلام خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب، وإن كان في صورة الاستفهام، وتقديره: أيؤديهم افتراؤهم الكذب إلى خير أم شر. وقيل: إن معنى قوله ﴿لذو فضل على الناس﴾ أنه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتم ذلك عليه. وقيل: معناه إنه لذو فضل على خلقه بترك معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إياهم إلى يوم القيامة(١).

س٤١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: مخاطبة لرسول الله ﷺ: ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٠١.

بكى بكاءً شديداً. ومعنى قوله: ﴿وما تكون في شأن﴾ أي في عملٍ تعمله خيراً أو شرّاً ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي لا يغيب عنه ﴿من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾[١].

❁ س٤٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤]؟!

جواب/ سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. فقيل له: من هؤلاء الأولياء؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «هم قومٌ أخلصوا لله تعالى في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فعرفوا آجلها حين غرَّ الخلق سواهم بعاجلها، فتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، وأماتوا منها ما علموا أنه سيميتهم».

ثم قال: «أيها المعلل نفسه بالدنيا، الراكض على حبائلها، المجتهد في عمارة ما سيخرب منها، ألم تر إلى مصارع آبائك في البلى[٢]، ومضاجع أبنائك تحت الجنادل والثرى، كم مرّضت بيديك وعلّلت بكفّيك، تستوصف لهم الأطباء وتستعتب لهم الأحباء فلم يغن عنهم غناؤك، ولا ينجع فيهم دواؤك»[٣].

ثم قال: «تدرون من أولياء الله؟» قالوا: من هم، يا أمير المؤمنين؟ فقال: «هم نحن وأتباعنا فمن تبعنا من بعدنا، طوبى لهم، وطوباهم أفضل من طوبانا».

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣١٣.

(٢) البلى: الفناء.

(٣) الأمالي: ص٨٦، ح٢.

قيل: يا أمير المؤمنين، ما شأن طوباهم أفضَل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على أمرٍ؟

قال: «لا، لأنهم حملوا، وأطاقوا ما لم تطيقوا»(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام، قال: «وجدنا في كتاب علي بن الحسن عليه السلام ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال: إذا أدوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله، لا يريدون به التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوقٍ واجبةٍ، فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويثابون على ما قدموا لآخرتهم»(٢).

قال ابن بابويه مرسلاً: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلٌ من أهل البادية له حشمٌ وجمال، فقال: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

فقال: «أما قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فهي الرؤيا الحسنة، يراها المؤمن فيبشّر بها في دنياه، وأمّا قول الله عزّ وجلّ: ﴿وفي الآخرة﴾ فإنّها بشارة المؤمن عند الموت، يُبشّر بها عند موته، إن الله قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك»(٣).

وقال علي بن إبراهيم القمي: وقوله: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ أي لا تغيير للإمامة، والدليل على أن الكلمات الإمامة، قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً

---

(١) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٤، ح٣٠.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٤، ح٣١.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٧٩، ح٣٥٦، الدر المنثور: ج٤، ص٣٧٥.

فِي عَقِبِهِۦ﴾[١] يعني الإمامة[٢].

❁ س٤٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

[يونس: ٦٥]؟!

جواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿ولا يحزنك قولهم﴾: ظاهره النهي، والمراد به التسلية للنبيﷺ عن أقوالهم المؤذية، وهو مثل قولهم: لا رأيتك ههنا، أي: لا تكن ههنا، فمن كان ههنا رأيته، وكذلك المراد بالآية لا تعبأ بأذاهم فمن عبأ به أذاه أذاهم.

﴿إن العزة لله جميعا﴾ فيمنعهم منك بعزته، ويدفع أذاهم عنك بقدرته، وقيل: معناه لا يحزنك قولهم: إنك ساحر، أو مجنون، فسينصرك الله عليهم، وسيذلهم، وينتقم منهم لك، فإنه عزيز قادر عليه ﴿هو السميع العليم﴾ يسمع أقوالهم، ويعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها، ويدفع عنك شرهم، ويرد كيدهم، وضرهم[٣].

❁ س٤٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يونس: ٦٦ ـ ٦٧]؟!

جواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): لما سلى الله سبحانه نبيهﷺ بقوله: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ فإنهم لا يفوتونني، بين بعد ذلك ما يدل

---

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٤.

(٣) مجمع البيان: ج٥، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

على صحته، فقال: ﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ يعني العقلاء، وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم، وإنما خص العقلاء تفخيماً ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ يحتمل ما ها هنا وجهين:

١ ـ أن يكون بمعنى أي شيء، فكأنه قال: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، تقبيحاً لفعلهم.

٢ ـ أن يكون نافية أي: وما يتبعون شركاء في الحقيقة. ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون ﴿ما﴾ بمعنى الذي، ويكون منصوباً بالعطف على ﴿من﴾. ويكون التقدير: والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء، فحذف العائد من الصلة، و﴿شركاء﴾ حال من ذلك المحذوف. وإن جعلت ﴿ما﴾ نفياً فقوله ﴿شركاء﴾ ينتصب بيد عونه، والعائد إلى ﴿الذين﴾ الواو في ﴿يدعون﴾، ويكون قوله ﴿إن يتبعون﴾ مكرراً لطول الكلام. وتقف في هذا القول على قوله ﴿ومن في الأرض﴾ وفي ذلك القول على قوله ﴿شركاء﴾. ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي: ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن، لتقليدهم أسلافهم في ذلك، أو لشبهة دخلت عليهم، بأنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي: وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ معناه: إن الذي يملك من في السموات، ومن في الأرض، هو الذي خلق لكم الليل لسكونكم، ولأن يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه ﴿والنهار مبصرا﴾ أي: وجعل النهار مبصراً مضيئاً، تبصرون فيه، وتهتدون به في حوائجكم بالإبصار ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي: لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره ﴿لقوم يسمعون﴾ الحجج، سماع تدبر، وتفهم، وتعقل[1].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

س٤٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨ ـ ٧٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار أنهم أضافوا إليه اتخاذ الولد، وهم طائفتان إحداهما: كفار قريش والعرب، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله، والأخرى: النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، فقال سبحانه ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ وإنما قال ﴿قالوا﴾، وإن لم يكن سبق ذكرهم، لأنهم كانوا بحضرة النبيﷺ، وكان يعرفهم. وتصح الكناية عن المعلوم كما تصح عن المذكور ﴿سبحانه﴾ أي: تنزيهاً له عما قالوا ﴿هو الغني﴾ عن اتخاذ الولد. ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ومعناه: إذا كان له ما في السموات وما في الأرض ملكاً، وملكاً، وخلقاً، فهو الغني عن اتخاذ الولد، لأن الإنسان إنما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف، أو ليستغني به من فقر، والله سبحانه منزه عن ذلك، وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه، استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني. ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: ما عندكم من حجة وبرهان بهذا ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك.

ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك، فقال: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إن الذين يفترون﴾ أي: يكذبون ﴿على الله الكذب﴾ باتخاذ الولد، وغير ذلك ﴿لا يفلحون﴾ أي: لا يفوزون بشيء من الثواب. وأصل الافتراء من القطع،

من فريت الأديم أي: قطعته. فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى. وقوله: ﴿متاع في الدنيا﴾ معناه: لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياماً قلائل، ثم تنقضي، وقوله: ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾ أي: ثم إلى حكمنا مصيرهم ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد﴾ وهو عذاب النار ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي: بكفرهم[١].

س٤٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿واتل عليهم﴾ مخاطبة لمحمّد صلى الله عليه وآله ﴿نبأ نوح﴾ أي خبر نوح ﴿إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي[٢] وتذكيري[٣] بآيات الله[٤] فعلى الله توكلت[٥] فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ الذين تعبُدون ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أي لا تغتمّوا ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أي ادعوا عليّ ﴿ولا تنظرون﴾[٦].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) أي: شق وعظم عليكم إقامتي بين أظهركم.

(٣) وعظي وتنبيهي إياكم.

(٤) أي بحججه وبيانه على صحة التوحيد والعدل، والنبوة، والمعاد، وبطلان ما تدينون به.

(٥) معناه: فإلى الله فوضت أمري، وبه وثقت أن يكفيني أمركم.

(٦) تفسير القمي: ج١ ـ ص٣١٤ .

س٤٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس: ٧٢ ـ ٧٣]؟!

الجواب/ قال الطبرسيّ: ﴿فإن توليتم﴾ أي: ذهبتم عن الحق وأتباعه، ولم تقبلوه، ولم تنظروا فيه ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي: لا أطلب منكم أجراً على ما أؤديه إليكم من الله فيثقل ذلك عليكم. وقيل: معناه إن أعرضتم عن قبول قولي، لم يضرني، لأني لم أطلع فيما لكم، فيفوتني ذلك بتوليكم عني، وإنما يعود الضرر عليكم ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي: ما أجري إلا على الله في القيام بأداء الرسالة ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي: أمرني الله بأن أكون من المستسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد.

﴿فكذبوه﴾ يعني أنهم كذبوا نوحاً أي: نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من أنه نبي الله، وإن الله بعثه إليهم ليدعوهم إلى طاعته ﴿فنجيناه ومن معه في الفلك﴾ أي: في السفينة ﴿وجعلناهم خلائف﴾ أي: جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق. وقيل: إنهم كانوا ثمانين نفساً. وقال البلخي: يجوز أن يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي: أهلكنا باقي أهل الأرض أجمع لتكذيبهم لنوح عليه السلام. ﴿فانظر﴾ أيها السامع ﴿كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: المخوفين بالله وعذابه، أي كيف أهلكهم الله(١).

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢١١ ـ ٢١٢.

س٤٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ [يونس: ٧٤ - ٧٨]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ خلق الخلق، فخلق من أحبَّ مما أحبّ، وكان ما أحبَّ أن خلقه من طينة الجنّة. وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم في الظّلال».

فقلت: وأيّ شيء الظّلال؟ فقال: «ألم تر إلى ظلّك في الشّمس شيئاً وليس بشيء؟ ثمّ بعث منهم النبيّين، فدعوهم إلى الإقرار بالله عزّ وجلّ، وهو قوله عزّ وجلّ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1]، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيّين، فأقرّ بعض وأنكر بعضٌ، ثم دعوهم إلى ولايتنا، فأقرّ بها والله من أحبّ، وأنكرها من أبغض. وهو قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾». ثم قال: أبو جعفر عليه السلام: «كان التّكذيب ثمّ[2]»[3].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: إن الله خلق الخلق وهي أظلّة، فأرسل رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به، ومنهم من كذّبه، ثم بعثه

---

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) ثمّ هنا: ظرفٌ لا يتصرّف، بمعنى هنالك.

(٣) الكافي: ج٢، ص٨، ح٣. علل الشرائع: ص١١٨، ح٣.

في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن به في الأظلة، وجحده من جحد به يومئذٍ، فقال: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام، في قوله: ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم﴾ إلى قوله ﴿بما كذبوا به من قبل﴾، قال: «بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء، فمن صدّق حينئذٍ صدّق بعد ذلك»[٢].

وقال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح، فقال: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي: من بعد نوح، وإهلاك قومه ﴿رسلاً﴾ يريد إبراهيم، وهوداً، وصالحاً، ولوطاً، وشعيباً ﴿إلى قومهم﴾ الذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا، وكثروا ﴿فجاءوهم بالبينات﴾ أي: فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم، الشاهدة بنبوتهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ أي لم يكونوا ليصدقوا، يعني أولئك الأقوام الذين بعث إليهم الرسل، بما كذبت به أوائلهم الذين هم قوم نوح أي: كانوا مثلهم في الكفر والعتو. وقيل: معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها، بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها. . .

﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ أي: نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم، الذين تعدوا حدود الله، سمة وعلامة على كفرهم، يلزمهم الذم بها، ويعرفهم بها الملائكة، كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار.

وقد مر معاني الطبع والختم فيما تقدم ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ أي: من الرسل، أو من بعد الأمم ﴿موسى وهارون﴾ عليهما السلام نبيين مرسلين ﴿إلى فرعون وملائه﴾ أي: ورؤساء قومه ﴿بآياتنا﴾ أي: بأدلتنا ومعجزاتنا ﴿فاستكبروا﴾ عن الانقياد لها، والإيمان بها ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ عاصين

---

(١) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٦، ح٣٥. (٢) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٦، ح٣٦.

لربهم، مستحقين للعقاب الدائم ﴿فلما جاءهم﴾ أي: جاء قوم فرعون ﴿الحق من عندنا﴾ يعني: ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين ﴿قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ أي: ظاهر.

﴿قال موسى﴾ لهم ﴿أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ أي: أتقولون لمعجزاته سحر، والسحر باطل، والمعجز حق، وهما متضادان ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ أي: لا يظفرون بحجة، ولا يأتون على ما يدعونه بينة، وإنما هو تمويه على الضعفة ﴿قالوا﴾ يعني قال فرعون وقومه لموسى: ﴿أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي لتصرفنا عن ذلك ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي: الملك... وقيل: العظمة والسلطان، والأصل أن الكبرياء: استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب ﴿في الأرض﴾ أي: في أرض مصر. وقيل: أراد اسم الجنس، والمراد به الإنكار، وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام، تعلقوا بالشبهة في أنهم على رأي آبائهم، وإن من دعاهم إلى خلافه، فظاهر أمره أنه يريد التآمر عليهم فلم يطيعوه وما نحن لكما بمؤمنين أي: بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة(١).

❁ س٤٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨٢)﴾ [يونس: ٧٩ ـ ٨٢]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وقال فرعون﴾ حكى الله سبحانه عن فرعون أنه حين أعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى عليه السلام،

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢١٣.

ولم يكن له في دفعها حيلة، قال لقومه: ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾ بالسحر بليغ في عمله، وإنما طلب فرعون كل ساحر، ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى، وحتى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم. وإنما فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله، وليس بسحر، وبعد ذلك علم أنه ليس بسحر، فعاند كما قال سبحانه ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ وقيل: أنه علم أنه ليس بسحر، ولكنه ظن أن السحر يقاربه مقاربة تشبيه.

﴿فلما جاء السحرة﴾ الذين طلبهم فرعون، وأمر بإحضارهم وموسى حاضر ﴿قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون﴾ وفي الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالحبال والعصي قال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أي: اطرحوا ما جئتم به. وقيل: معناه افعلوا ما أنتم فاعلون. وهذا ليس بأمر بالسحر، ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام أي: من كان عنده ما يقاوم المعجزات، فليلقه. وقيل: إنه أمر على الحقيقة بالإلقاء ليظهر بطلانه، وإنما لم يقتصر على قوله ﴿ألقوا﴾ لأنه أراد ألقوا جميع ما أنتم ملقون في المستأنف، فلو اقتصر على ﴿ألقوا﴾ ما أفاد هذا المعنى. والإلقاء: إخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض، ويشبه بذلك قولهم: ألقى عليه مسألة، وألقى عليه رداه ﴿فلما ألقوا﴾ أي: فلما ألقت السحرة سحرهم ﴿قال موسى﴾ لهم ﴿ما جئتم به السحر﴾ أي: الذي جئتم به من الحبال، والعصي، السحر. أدخل عليه الألف واللام للعهد، لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى أنه سحر قال عليه السلام: ما جئتم به هو السحر... ﴿إن الله سيبطله﴾ أي: سيبطل هذا السحر الذي فعلتموه ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ معناه: إن الله لا يهيء عمل من قصد إفساد الدين، ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل، والمحق من المبطل. ﴿ويحق الله الحق﴾ أي: يظهر الله الحق،

ويحققه، ويثبته، وينصر أهله.

﴿بكلماته﴾ قيل في معناه أقوال:

١ ـ إن معناه بوعد موسى عليه السلام، وكان وعده النصر، فأنجز وعده...

٢ ـ إن معناه بكلامه الذين يتبين له معاني الآيات التي أتاها نبيه...

٣ ـ بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ، بأن ذلك سيكون ﴿ولو كره المجرمون﴾ ظهور الحق، وإبطال الباطل.

وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى ينصر المحقين كلهم في حقهم وذلك على وجهين:

١ ـ بالحجة، فهذه النصرة مستمرة على كل حال.

٢ ـ بالغلبة والقهر، وهذا يختلف بحسب المصلحة، لأن المصلحة قد تكون بالتخلية تارة، وبالحيلولة أخرى[1].

❁ س٥٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى عليه السلام فقال: ﴿فما آمن لموسى﴾ أي: لم يصدق موسى في ما ادعى من النبوة، مع ما أظهره من المعجزات الظاهرة ﴿إلا ذرية من قومه﴾ أي: أولاد من قوم فرعون. وقيل: أراد من قوم موسى عليه السلام، وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر. واختلف من قال بالأول، فقيل: إنهم قوم كانت أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم...

وقيل: إنهم أناس يسير من قوم فرعون، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢١٥.

فرعون، وجارية، وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون. . .

وقيل: إنهم بعض أولاد القبط، لم يستجب آباؤهم موسى. واختلف من قال بالثاني، فقيل: هم جماعة من بني إسرائيل، أخذهم فرعون لتعلم السحر، وجعلهم من أصحابه، فآمنوا بموسى. . .

وقيل: أراد مؤمني بني إسرائيل، وكانوا ستمائة ألف، وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين إنساناً، فتوالدوا حتى بلغوا ستمائة ألف، وإنما سماهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم. . .

وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء، وبقي الأبناء.

﴿على خوف من فرعون﴾ يعني آمنوا وهم خائفون من معرة فرعون ﴿وملائهم﴾ ومن أشرافهم ورؤسائهم.

وقال الزجاج: وإنما جاز أن يقال ﴿وملائهم﴾ لأن فرعون ذو أصحاب يأتمرون له. وقيل: إن الضمير في ﴿ملائهم﴾ راجع إلى الذرية، لأن آباؤهم كانوا من القبط، وكانوا يخافون قومهم من القبط أن يصرفوهم عن دينهم، ويعذبوهم. ﴿أن يفتنهم﴾ أي: يصرفهم عن الدين، يعني أن يمتحنهم لمحنة لا يمكنهم الصبر عليها، فينصرفون عن الدين. وكان جنود فرعون يعذبون بني إسرائيل، فكان خوفهم منه ومنهم.

﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي: مستكبر باغ طاغ في أرض مصر ونواحيها ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ أي: من المجاوزين الحد في العصيان، لأنه ادعى الربوبية، وأسرف في القتل، والظلم، والإسراف: التجاوز عن الحد في كل شيء[١].

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

س٥١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٤ ـ ٨٦]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾: «فإنّ قوم موسى استعبدهم آل فرعون، وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلّطنا عليهم. فقال موسى لقومه: ﴿يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين»[1].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، عن قوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾، قال: «لا تُسلّطْهم علينا فَتَفْتِنَهم بنا»[2].

س٥٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: ٨٧]؟!

الجواب/ قال أبو إبراهيم عليه السلام: «لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ ـ قال ـ أُمروا أن يصلّوا في بيوتهم»[3].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٤.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٧، ح٣٨.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٤.

وقال علي بن إبراهيم القميّ، في قوله تعالى: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾: يعني بيت المقدس[١].

وروي إنّ رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: «أيّها الناس، إنّ الله أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جُنُب، ولا يقرب فيه النساء إلاّ هارون وذُرّيّته، وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون وذرّيته من موسى، فلا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنُبٌ إلاّ عليٌّ وذرّيّته، فمن ساءه ذلك فها هنا». وأشار بيده نحو الشام[٢].

❁ س٥٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٨ ـ ٨٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة﴾ أي ملكاً ﴿وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ أي يفتنوا الناس بالأموال والعطايا ليعبدوه ولا يعبدوك ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أي أهلكها ﴿واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي لا تتّبعا سبيل فرعون وأصحابه[٣].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٤.

(٢) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٢٧، ح٣٩.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٥.

وقال الصادق عليه السلام: «كان بين أن قال: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ وبين أخذ فرعون أربعون سنة»(١).

س٥٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا﴾ إلى قوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾: «فإن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، ادعُ الله أن يجعل لنا مما نحن فيه فرجاً. فدعا، فأوحى الله إليه: أن أسرِ بهم. قال: يا ربِّ، البحر أمامهم. قال: امضِ، فإنّي آمره أن يطيعك وينفرج لك.

فخرج موسى ببني إسرائيل، وأتبعهم فرعون حتى إذا كاد أن يلحقهم، ونظروا إليه وقد أظلّهم، قال موسى للبحر: انفرج لي. قال: ما كنت لأفعل. وقال بنو إسرائيل لموسى: غررتنا وأهلكتنا، فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون، ولم نخرج إلى أن نقتل قتلةً. قال: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾(٢).

واشتدّ على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه، وقالوا: يا موسى، إنّا لمدركون، وزعمت أن البحر ينفرج لنا حتى نمضي ونذهب، فقد رهقنا فرعون وقومه، وهم هؤلاء نراهم قد دنوا منّا. فدعا موسى ربّه، فأوحى الله

---

(١) الاختصاص: ص٢٦٦. (٢) الشعراء: ٦٢.

إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾[١] فضربه فانفلق البحر، فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر، وأدركهم آل فرعون، فلما نظروا إلى البحر، قالوا لفرعون: ما تعجب مما ترى؟ قال: أنا فعلتُ هذا. فمرّوا ومضوا فيه، فلمّا توسّط فرعون ومن معه، أمر الله البحر فأطبق عليهم، فأغرقهم أجمعين، فلمّا أدرك فرعون الغرق ﴿قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ يقول الله: ﴿ءآلئن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ يقول: كنت من العاصين ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾ ـ قال ـ إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر، فلم ير منهم أحدٌ، هووا في البحر إلى النار، وأمّا فرعون فنبذه الله وحده فألقاه بالسّاحل لينظروا إليه وليعرفوه، ليكون لمن خلفه آيةً، ولئلاً يشُكّ أحدٌ في هلاكه، لأنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً، فأراهم الله إيّاه جيفةً ملقاةً بالساحل، ليكون لمن خلفه عبرة وعظةً، يقول الله: ﴿وإن كثيرا من الناس عن ءاياتنا لغافلون﴾»[٢].

❁ س٥٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

[يونس: ٩٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): قوله: ﴿ولقد بوأنا﴾ أخبار منه تعالى أنه وطأ منزل بني إسرائيل والتبوء توطئة المنزل لصاحبه الذي يأوي إليه...

وقوله: ﴿مبوأ صدق﴾ أي منزل صدق أي فيه فضل كفضل الصدق،

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٥.

كما يقال: أخو صدق وقيل: إنه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة. وقوله ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي ملكناهم الأشياء اللذيذة. والرزق العقد على العطاء الجاري، ودلت الآية على سعة أرزاق بني إسرائيل وقوله ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ قيل في معناه وجهان:

أنهم كانوا على الكفر فما اختلفوا حتى جاءهم الدليل المؤدي إلى العلم من جهة الرسول والكتاب، فآمن فريق وكفر آخرون. . . وقال قوم: كانوا على الإقرار بالنبي قبل مبعثه بصفته ونعته، فما اختلفوا حتى جاءهم معلوم العلم به. والمنزل الصدق الذي أنزلوه قيل فيه ثلاثة أقوال:

١ ـ هو مصر وهو منزل صالح خصب آمن.

٢ ـ هو الشام وبيت المقدس.

٣ ـ هو الشام ومصر.

وقوله ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ إخبار منه تعالى أنه الذي يتولى الفصل بين بني إسرائيل في الأمور التي يختلفون فيها(١).

❁ س٥٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السّماء، فأوحى الله إليه في عليّ (صلوات الله عليه) ما أوحى من شرفه وعظمه عند الله، ورُدّ إلى البيت المعمور، وجمع له النبيّين فصلّوا خلفه، عرض في نفس

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٢٩.

رسول الله ﷺ من عظم ما أوحى الله إليه في علي عليه السلام ، فأنزل الله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ يعني الأنبياء، فقد أنزلنا عليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ ، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[1]». فقال الصادق عليه السلام : «فوالله ما شكّ وما سأل»[2].

وقال محمد بن سعيد الإذخري ـ وكان ممّن يصحب موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السلام ـ أنّ موسى أخبره، أنّ يحيى بن أكثم كتب إليه يسأله عن مسائل، فيها: وأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب بها النبيّ ﷺ أليس قد شكّ فيما أنزل الله عزّ وجلّ إليه؟ وإن كان المخاطب غيره فعلى غيره إذن أُنزل القرآن؟

قال موسى: فسألتُ أخي علي بن محمد عليه السلام عن ذلك، فقال: «أمّا قوله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ فإنّ المخاطب بذلك رسول الله ﷺ ، ولم يكن في شكّ مما أنزل الله عزّ وجلّ، ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة؟ إنّه لم يُفرّق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق. فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه ﷺ : ﴿فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ بمحضرٍ من الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ وهو يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أُسوة، وإنّما قال: ﴿فإن كنت في شك﴾ ولم يكن،

---

(١) يونس: ٩٥.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣١٦.

ولكن لينصفهم، كما قال له ﷺ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١) ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم. لم يكونوا يجيبون للمباهلة عرف أنّ نبيه ﷺ مؤدٍّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبيّ ﷺ أنّه صادقٌ فيما يقول، لكن أحبَّ أن ينصف من نفسه»(٢).

وسئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾.

فقال: «قال رسول الله ﷺ: لمّا أُسري بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام، وجمع النبيّين والصدّيقين والشهداء والملائكة، ثمّ تقدّمتُ وصلّيتُ بهم، فلما انصرفت قال لي جبرئيل: قل لهم: بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين»(٣).

❁ س٥٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [يونس: ٩٥]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: هذا الكلام عطف على قوله ﴿فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله﴾ أي من جملة من يجحد بآيات الله ولا يصدق بها فإنك إن فعلت ذلك كنت من الخاسرين. والمراد بالخطاب غير النبيّ ﷺ من جملة أمته من كان شاكاً في نبوته. والنون في قوله ﴿لا تكونن﴾ نون التأكيد، وهي تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول أنت تكونن، دخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق، وبني

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) علل الشرائع: ص١٢٩، ح١.

(٣) البحار: ج٣٧، ص٣٣٨، ح٧٩ عن تأويل الآيات.

الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الأخرى مع أن الأولى ساكنة، واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين. وإنما شبه الكافر بالخاسر مع أن حاله أعظم من حال الخاسر لأن حال الخاسر قد جرت بها عادة. وذاق طعم الحسرة فيها فرد إليها لبيان أمرها، وخسران النفس الذي هو أعظم منها(١).

س٥٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس: ٩٦ ـ ٩٧]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: الذين جحدوا أمير المؤمنين عليه السلام، وقوله: ﴿حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون﴾ قال: عرضت عليهم الولاية، وقد فرض الله عليهم الإيمان بها، فلم يؤمنوا بها(٢).

س٥٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨]؟!

الجواب/ قال أبو عبيدة الحذّاء، سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «وجدنا في بعض كتُب أمير المؤمنين عليه السلام، قال: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله أن جبرئيل عليه السلام حدّثه أن يونس بن متّى عليه السلام بعثه الله إلى قومه وهو ابنُ ثلاثين سنةً، وكان رجلاً يعتريه الحِدّة وكان قليل الصّبر على قومه والمداراة لهم، عاجزاً عمّا حُمّل من ثقيل حمل أوقار النبُوة وأعلامها، وأنّه تفسّخ تحتها كما يتفسّخ الجذع تحت حمله(٣).

(١) التبيان: ج٥، ص٤٢٩.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣١٧.

(٣) الجَذَع: الشاب من الإبل، والكلام كناية عن عدم التحمّل لما يعرض له.

وأنّه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان بالله والتصديق به واتّباعه ثلاثاً وثلاثين سنةً، فلم يؤمن به ولم يتَّبعه من قومه إلا رجلان اسم أحدهما روبيل، واسم الآخر تنوخا، وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة، وكان قديم الصحبة ليونس بن متّى من قبل أن يبعثه الله بالنبوّة. وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً، منهمكاً في العبادة، وليس له علمٌ ولا حكم، وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويتقوّت منها، وكان تنوخا رجلاً حطّاباً يحتطب على رأسه، ويأكل من كسبه. وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا، لعلم روبيل وحكمته وقديم صحبته.

فلمّا رأى يونس أن قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون، ضجر وعرف من نفسه قلّة الصَّبر، فشكا ذلك إلى ربّه، وكان فيما شكا أن قال: يا ربّ، إنّك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنةً، فلبثت فيهم أدعوهم إلى الإيمان بك والتَّصديق برسالاتي، وأخوّفهم عذابك ونقمتك ثلاثاً وثلاثين سنةً، فكذّبوني ولم يؤمنوا بي، وجحدوا نبوّتي واستخفّوا برسالاتي، وقد تواعدوني وخفتُ أن يقتلوني، فأنزل عليهم عذابك، فإنّهم قوم لا يؤمنون».

قال: «فأوحى الله إلى يونس: أنَّ فيهم الحَمل والجنين والطفل، والشيخ الكبير والمرأة الضَّعيفة والمستضعف المهين، وأنا الحَكَمُ العدل، سبقت رحمتي غضبي، لا أعذّبُ الصغار بذُنوب الكبار من قومك، وهم - يا يُونس - عبادي وخلقي وبريَّتي في بلادي وفي عيلتي، أحبّ أن أتأنّاهم وأرفُق بهم وأنتظر توبتهم، وإنّما بعثتك إلى قومك لتكون حيّطاً عليهم، تعطف عليهم لسخاء الرَّحِم الماسّة منهم، وتتأنّاهم برأفة النُّبوّة، وتصبر معهم بأحلام الرسالة، وتكون لهم كهيئة الطبيب المُداوي العالم بمداواة الدّاء، فخرقتَ بهم[١]، ولم تستعمل قلوبهم بالرِّفق، ولم تَسُسهم بسياسة المرسلين، ثمّ

(١) أي لم ترفق بهم وتحسن معاملتهم.

سألتني عن سوء نظرك العذاب لهم عند قلّة الصّبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبةً، وأشدَّ تأنياً في الصَّبر عندي، وأبلغَ في العُذر، فغضبتُ له حين غضب لي، وأجبتُه حين دعاني.

فقال يُونُس: يا ربّ، إنّما غضبتُ عليهم فيك، وإنّما دعوتُ عليهم حين عصوك، فوعزَّتك لا أتعطَّفُ عليهم برأفة أبداً، ولا أنظُر إليهم بنصيحة شفيقٍ بعد كفرهم وتكذيبهم إيّاي، وجحدهم نُبوّتي، فأنزل عليهم عذابك، فإنّهم لا يؤمنون أبداً.

فقال الله: يا يونُس، إنّهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي، يعمُرون بلادي، ويلدون عبادي، ومحبّتي أن أتأنّاهُم للذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك، وأنتَ المُرسَل وأنا الربُّ الحكيم، وعلمي فيهم ـ يا يونُس ـ باطنٌ في الغيب عندي لا يُعلم ما مُنتهاه، وعلمُك فيهم ظاهرٌ لا باطن له. يا يونُس، قد أجبتُكَ إلى ما سألتَ من إنزال العذاب عليهم، وما ذلك ـ يا يونس ـ بأوفَر لحظّك عندي، ولا أحمد لشأنك، وسيأتيهم العذابُ في شوّال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فأعلِمْهُم ذلك».

قال: «فسرّ ذلك يونُس ولم يَسؤه، ولم يدر ما عاقبته، فانطلق يُونس إلى تنوخا العابد، فأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم، وقال له: انطلق حتى أعلمهم بما أوحى الله إليّ من نزول العذاب.

فقال تَنوخا: فدعهُم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذّبهم الله تعالى.

فقال له يونس: بل نلقى روبيل فنشاوره، فإنّه رجل عالم حكيم من أهل بيت النُبوّة، فانطلقا إلى روبيل، فأخبره يونس بما أوحى الله إليه من نزول

العذاب على قومه في شوّال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشَّمس. فقال له: ما ترى؟ انطلق بنا حتى أعلمهم ذلك.

فقال له روبيل: ارجع إلى ربّك رجعة نبيّ حكيم ورسولٍ كريم، وسلهُ أن يصرف عنهم العذاب فإنّه غنيٌّ عن عذابهم، وهو يحبّ الرّفق بعباده، وما ذلك بأضرَّ لك عنده ولا أسوأ لمنزلتك لديه، ولعلّ قومك بعد ما سمعتَ ورأيتَ من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً، فصابرهم وتأنّهم.

فقال له تنوخا: ويحك يا روبيل! ما أشَرْتَ على يُونُس وأمرته به بعد كُفرهم بالله، وجحدهم لنبيّه، وتكذيبهم إيّاه، وإخراجهم إيّاه من مساكنه، وما همّوا به من رجمه!

فقال روبيل لتنوخا: اسكُتْ، فإنك رجُل عابدٌ، لا علم لك، ثمَّ أقبل على يونُس، فقال: أرأيت يا يونُس إذا أنزل الله العذاب على قومك، أيُنزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقى بعضاً؟ فقال له يونُس: بل يهلكهم الله جميعاً، وكذلك سألتُه، ما دخلتني لهم رحمة تعطُّفٍ فأُراجع الله فيها وأسأله أن يصرف عنهم.

فقال له روبيل: أتدري - يا يونس - لعلّ الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسُّوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم، فإنّه أرحم الراحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله يُنزلُ عليهم العذابَ يوم الأربعاء، فتكون بذلك عندهم كذّاباً.

فقال له تنوخا: ويحك - يا روبيل - لقد قلت عظيماً، يخبرك النّبيُّ المرسلُ أنّ الله أوحى إليه بأنّ العذاب ينزلُ عليهم، فترُدُّ قول الله وتشكّ فيه وفي قول رسوله؟! اذهب فقد حبط عملك.

فقال روبيل لتنوخا: لقد فشِل رأيك، ثمّ أقبل على يونس، فقال: إذا

نزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم وقوله الحقّ، أرأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخرِبَت قريتهم، أليس يمحو الله اسمكَ من النُبوّة، وتبطل رسالتك، وتكون كبعض ضعفاء الناس، ويهلك على يديك مائة ألف أو يزيدون من الناس؟

فأبى يونس أن يقبل وصيّته، فانطلق ومعه تنوخا إلى قومه، فأخبرهم أنّ الله أوحى إليه أنّه منزل العذاب عليكم يوم الأربعاء في شوّال في وسط الشّهر بعد طلوع الشّمس. فردّوا عليه قوله، فكذّبوه، وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً. فخرج يونُس ومعه تنوخا من القرية، وتنحّيا عنهم غير بعيدٍ، وأقاما ينتظران العذاب.

وأقام روبيل مع قومه في قريتهم، حتّى إذا دخل عليهم شوّال صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل، شفيقٌ عليكم، رحيمٌ بكم، هذا شوّالُ قد دخل عليكم، وقد أخبركم يونُس نبيُّكم ورسول ربّكم أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليكم في شوّال في وسط الشّهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشّمس، ولن يخلف الله وعده رسله، فانظروا ما أنتم صانعون؟ فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب، فأجفلوا نحو روبيل، وقالوا له: ماذا أنتَ مُشيرٌ به علينا ـ يا روبيل ـ فإنّك رجلٌ عالمٌ حكيمٌ، لم نزل نعرفك بالرّأفة علينا والرّحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرتَ به على يونس فينا، فمُرنا بأمرك وأشر علينا برأيك.

فقال لهم روبيل: فإنّي أرى لكم وأشيرُ عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجرُ يوم الأربعاء في وسط الشّهر أن تعزلوا الأطفال عن الأمّهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، وتوقفوا النساء وكلّ المواشي جميعاً عن أطفالها في سفح الجبل، ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس، فإذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق، فعجّوا عجيجاً، الكبير منكم والصغير بالصراخ

والبكاء، والتضرّع إلى الله، والتّوبة إليه والاستغفار له، وارفعوا رؤوسكم إلى السّماء، وقولا: ربّنا ظلمنا أنفسنا وكذّبنا نبيّك وتُبنا إليك من ذنوبنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين المعذّبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين. ثمّ لا تملّوا من البكاء والصراخ والتضرُّع إلى الله والتوبة إليه حتى تتوارى الشّمس بالحجاب، أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك فأجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبيل.

فلما كان يوم الأربعاء الذي توقّعوا فيه العذاب، تنحّى روبيل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا نزل، فلمّا طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به، فلمّا بزغت الشمس أقبلت ريحٌ صفراء مظلمة مسرعة، لها صريرٌ وحفيفٌ وهديرٌ، فلمّا رأوها عجّوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرّع إلى الله، وتابوا إليه واستغفروه، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمّهاتها، وعجّت سخال[1] البهائم تطلُب الثّدي، وعجّت الأنعام تطلب الرّعي، فلم يزالوا بذلك ويونس وتنوخا يسمعان ضجيجهم وصراخهم، ويدعوان الله بتغليظ العذاب عليهم، وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم، ويرى ما نزل، وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم.

فلمّا أن زالتِ الشمسُ، وفُتحت أبوابُ السماء، وسكن غضب الرّبّ تعالى، رحمهم الرّحمٰن فاستجاب دعاءهم، وقبل توبتهم، وأقالهم عثرتهم، وأوحى الله إلى إسرافيل عليه السلام: أن اهبط إلى قوم يونس، فإنّهم قد عجّوا إليّ بالبكاء والتضرُّع، وتابوا إليّ واستغفروني، فرحمتهم وتبت عليهم، وأنا الله التواب الرحيم، أُسرع إلى قبول توبة عبدي التائب من الذنوب، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه، وقد أنزلته عليهم، وأنا

(١) السخال: جمع سَخلة، ولد الغنم ذكراً كان أو أنثى. «الصحاح ـ سخل: ج٥، ص١٧٢٨».

الله أحقُّ من وفى بعهده، وقد أنزلته عليهم، ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أنزل عليهم العذاب أن أهلكهم، فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي.

فقال إسرافيل: يا ربّ، إنّ عذابك قد بلغ أكتافهم، وكاد أن يهلكهم، وما أراه إلاّ وقد نزل بساحتهم. فإلى أين أصرِفه؟

فقال الله: كلاّ إني قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه، ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم أمري فيهم وعزيمتي، فاهبط ـ يا إسرافيل ـ عليهم، واصرفه عنهم، واضرب به إلى الجبال بناحية مفائض العيون ومجاري السيول في الجبال العاتية، المستطيلة على الجبال، فأذلّها به وليّنها حتى تصير ملتئمة حديداً جامداً. فهبط إسرافيل عليهم فنشر أجنحته فاستاق بها ذلك العذاب، حتى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها ـ قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم ـ فصارت حديداً إلى يوم القيامة. فلمّا رأى قوم يونس أنّ العذاب قد صُرف عنهم هبطوا إلى منازلهم من رؤوس الجبال، وضمّوا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وحمدوا الله على ما صرف عنهم.

وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس في موضعهما الذي كانا فيه، لا يشُكّان أنّ العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً، لمّا خفيت أصواتهم عنهما، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس، ينظران إلى ما صار إليه القوم، فلمّا دنوا من القوم واستقبلهم الحطابون والحمّارة[1] والرعاة بأغنامهم، ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا: يا تنوخا، كذّبني الوحي، وكذبت وعدي لقومي، لا وعزّة ربّي لا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذبني

---

(١) الحمّارة: أصحاب الحمير في السَفر. «الصحاح ـ حمر ـ ج٢، ص٦٣٧».

الوحي[1] فانطلق يونُس هارباً على وجهه، مغاضباً لربّه[2]، ناحية بحر أيلة متنكّراً، فراراً من أن يراه أحدٌ من قومه، فيقول له: يا كذّاب، فلذلك قال الله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[3] الآية.

ورجع تنوخا إلى القرية، فلقي روبيل، فقال له: يا تنوخا، أيّ الرأيين كان أصوب وأحقّ أن يتّبع: رأيي، أو رأيك؟

فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب، ولقد كنت أشرت برأي الحكماء والعلماء.

وقال له تنوخا: أما إني لم أزل أرى أني أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي، حتى استبان فضلك لفضل علمك، وما أعطاك الله ربُّك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم. فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما، ومضى يونس على وجهه مغاضباً لربّه، فكان من قصّته ما أخبر الله به في كتابه إلى قوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[4]».

قال أبو عُبَيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يونس عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوّة والرّسالة فآمنوا به وصدّقوه؟

قال: «أربعة أسابيع: سبعاً منها: في ذهابه إلى البحر، وسبعاً منها في رجوعه إلى قومه».

---

(١) قال المجلسي (رحمه الله): قوله عليه السلام: «بعدما كذبني الوحي» أي باعتقاد القوم، البحار ج١٧، ص٣٩٩.

(٢) قال المجلسي (رحمه الله): قوله: «مغاضباً لربّه» أي على قومه لربه تعالى، أي كان غضبه لله تعالى لا للهوى، أو خائفاً عن تكذيب قومه لما تخلّف عنه من وعد ربّه، البحار: ج١٧، ص٣٩٩.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

(٤) الصافات: ١٤٨.

فقلتُ له: وما هذه الأسابيع شهور أو أيّام، أو ساعات؟

فقال: «يا أبا عبَيْدَة، إنّ العذاب أتاهم يوم الأربعاء، في النصف من شوّال، وصرف عنهم من يومهم ذلك، فانطلق يُونُس مُغاضباً فمضىٰ يوم الخميس، سبعة أيّام في مسيرة إلى البحر، وسبعة أيّام في بطنِ الحوت، وسبعة أيّام تحت الشّجرة بالعراء، وسبعة أيّام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه مسير ثمانية وعشرين يوماً، ثمّ أتاهم فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، فلذلك قال الله: ﴿فلولا كانت قريةٌ أمنت فنفعها إيمانُها إلاّ قوم يُونس لمّا أمنوا كشفنا عنهمُ عذاب الخزْي﴾»[1].

❁ س٦٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠]؟

الجواب/ قال أبو الصّلت عبد السلام بن صالح الهرويّ، في مسائل سألها المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، فكان فيما سأله أن قال له المأمون: فما معنى قول الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾.

فقال الرضا عليه السلام: «حدّثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت ـ يا رسول الله ـ من قدرت عليه من الناس على الإسلام

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٢٩، ح٤٤.

لكثُر عددنا وقوينا على عدوّنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما كنتُ لألقى الله تعالى ببدعةٍ لم يُحدث لي فيها شيئاً، وما أنا من المتكلّفين. فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: يا محمّد ﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، لكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين، ليستحقّوا منّي الزُّلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنّها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلّفةً متعبَّدةً، وإلجاؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبُّد عنها».

فقال المأمون: فرّجت عني ـ يا أبا الحسن ـ فرّج الله عنك[1].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الرجسُ هو الشكّ، ولا نشكّ في ديننا أبداً»[2].

❁ س٦١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾.

قال: «لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله أتاه جبرئيل عليه السلام بالبُراق فركبها، فأتى

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص١٣٤، ح٣٣.

(٢) بصائر الدرجات: ص٢٢٦، ح١٣.

بيت المقدس، فلقي من لقي من إخوانه من الأنبياء (صلوات الله عليهم)، ثمّ رجع فحدّث أصحابه: إنّي أتيت بيت المقدس ورجعت من الليلة، وقد جاءني جبرئيل بالبُراق فركبتها، وآية ذلك أني مررت بعيرٍ لأبي سفيان على ماءٍ لبني فلان، وقد أضلّوا جملاً لهم أحمر، وقد همّ القوم في طلبه.

فقال بعضهم لبعض: إنّما جاء الشام وهو راكبٌ سريع، ولكنّكم قد أتيتم الشام وعرفتموها، فسلوه عن أسواقها وأبوابها وتجّارها. فقالوا: يا رسول الله، كيف الشام، وكيف أسواقُها؟» قال: «وكان رسول الله ﷺ إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شقّ ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه - قال - فبينما هو كذلك إذ أتاه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا رسول الله، هذه الشام قد رفعت لك. فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجّارها، وقال: أين السائل عن الشام؟ فقالوا له: فلان وفلان، فأجابهم رسول الله ﷺ في كلّ ما سألوه، فلم يؤمن منهم إلا قليل، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾». ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «نعوذ بالله أن لا نؤمن بالله وبرسوله، آمنا بالله وبرسوله ﷺ»[(1)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الآيات هم آل محمد، والنذر هم الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)»[(2)].

❁ س٦٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠٢]؟!

الجواب/ قال أبو محمد الفضيل: سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام عن شيء في الفرج.

---

(١) الكافي: ج٨، ص٣٦٤، ح٥٥٥. (٢) الكافي: ج١، ص١٦١، ح١.

فقال: «أو ليس تعلم أنّ انتظار الفرج من الفرج؟ إن الله يقول: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾»[1].

س٦٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾

[يونس: ١٠٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنّة؟! إن الله يقول: ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾»[2].

س٦٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾

[يونس: ١٠٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): هذا خطاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للخلق ﴿يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني﴾ فإن ديني أن ﴿لا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أي إن كنتم في شك مما أذهب إليه من مخالفتكم فإني أظهره لكم وأبرء مما أنتم عليه وأعرفكم ما أمرت به وهو أن أكون مؤمناً بالله وحده وأن أقيم وجهي للدين حنيفاً.

إن قيل: لم قال ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ مع اعتقادهم بطلان دينه؟

قلنا عنه ثلاثة أجوبة:

١ ـ أن يكون على وجه التقدير أي من كان شاكاً في أمري وهو مصمم على أمره فهذا حكمه.

(١) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٣٨، ح٥٠. (٢) تفسير العياشيّ: ج٢، ص١٣٨، ح٥١.

٢ ـ إنهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدون نفوسهم عليه عند ورود الآيات.

٣ ـ إن فيهم الشاك فغلب ذكرهم، وإنما جعل جواب ﴿إن كنتم في شك﴾ ﴿لا أعبد﴾ وهو لا يعبد غير الله كعبادتكم، كأنه قيل: إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله بشككم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي الذي أحياكم ثم يقبضكم وهو الذي يحق له العبادة دون أوثانكم ودون كل شيء سواه[1].

❁ س٦٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾

[يونس: ١٠٥]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): هذه الآية عطف على ما قبلها والتقدير وأمرت أن أكون من المؤمنين، وقيل لي: أقم وجهك وقيل في معناه قولان:

١ ـ استقم بإقبالك على ما أمرت به من القيام بأعباء النبوة وتحمل أمر الشريعة ودعاء الخلق إلى الله بوجهك، إذ من أقبل على الشيء بوجهه يجمع همته له فلم يضجع فيه.

٢ ـ أن يكون معناه أقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة. والإقامة نصب الشيء المنافي لإضجاعه تقول: أقام العود إذا جعله على تلك الصفة فأما أقام بالمكان فمعناه استمر به، والوجه عبارة عن عضو مخصوص ويستعمل بمعنى الجهة كقولهم: هذا معلوم في وجه كذا، ويستعمل بمعنى الصواب كقولك: هذا وجه الرأي.

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

وقيل في معنى الحنيف قولان:

١ ـ الاستقامة: وقيل للمايل القدم أحنف تفاؤلاً.

٢ ـ الميل، وقيل الحنف في الدين لأنه ميل إلى الحق.

وقوله ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ معناه نهي عن الإشراك مع الله تعالى غيره في العبادة تصريحاً بالتحذير عن ذلك والذم لفاعله[1].

❁ س٦٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القميّ: وقوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ فإنه مخاطبةٌ للنبيّ صلى الله عليه وآله والمعنيّ الناس[2].

❁ س٦٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

[يونس: ١٠٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): قوله ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ أي إن أحل بك الضر، لأن المس الحقيقي لا يجوز عليه، لأن حقيقتها تكون بين الجسمين، لكن لما أدخل الباء للتعدية جرى مجرى أن تقول يمسك من أمسه. وأما إذا لم يتعد فيكون كقوله ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾[3] والمماسة والمطابقة والمجامعة نظائر، وضدها المباينة. والكشف رفع الساتر

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٠.

(٣) الأنبياء: ٨٣.

المانع من الإدراك. فكأن الضر ههنا كأنه ساتر يمنع من إدراك الإنسان.

وقوله ﴿وإن يردك بخير﴾ تقديره وإن يرد بك الخير، وجاز على التقديم والتأخير كما يقول القائل: فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير. والمعنى أنه لا راد لما يريد الله بخلقه فإن أراد بهم سوءاً لا يقدر على دفعه أحد. وإن أرادهم بخير فلا يقدر أحد على صرفه عنهم ﴿يصيب به من يشاء من عباده﴾ يعني بالخير.

وقوله ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ معناه أنه الغفار لكل من تاب من شركه وذنبه فلا ييأس من ذلك أحد في حال تكليفه. وعندنا يجوز أن يغفر الله ذنب المؤمن من غير توبة. و﴿الرحيم﴾ معناه إنعامه على جميع خلقه[1].

❁ س٦٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٨ ـ ١٠٩]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القميّ: ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ أي لست بوكيلٍ عليكم أحفظ أعمالكم، إنما عليّ أن أدعوكم. ثم قال: ﴿واتبع﴾ يا محمّد ﴿ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾[2].

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٤٢.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٢٠.

تفسير سورة هود

رقم السورة - ١١ -

سورة هود

❁ س١: ما هو فضل سورة هود؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام: «من كتب هذه السورة على رقّ ظبي ويأخُذها معه أعطاه الله قوةً ونصراً، ولو حاربه مائة رجل لانتصر عليهم وغلبهم، وإن صاح بهم انهزموا، وكلّ من رآه يخاف منه»(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من قرأ سورة هود في كلّ جمعة بعثه الله يوم القيامة في زُمرة المؤمنين والنبيّين، وحوسِبَ حساباً يسيراً، ولم يعرف خطيئةً عملها يوم القيامة»(٢).

❁ س٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١]؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام في معنى ﴿الر﴾: «معناه: أنا الله الرؤوف»(٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «﴿الر كتاب أحكمت آياته﴾: «هو القرآن» ﴿من لدن حكيم خبير﴾ قال: «من عند حكيمٍ خبير»(٤).

---

(١) خواص القرآن: ص٤٢ «مخطوط».

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٣٩، ح١.

(٣) معاني الأخبار: ص٢٢، ح١.

(٤) تفسير القمي: ج١، ص٣٢١.

❁ س٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود: ٢]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: يحتمل (أن) في قوله ﴿أن لا تعبدوا﴾ أمرين:

أحدهما: أن يكون بمعنى المصدر كقولك كتبت إليه أن لا تخرج بالجزم وكان يجوز في العربية أن لا تعبدون على الوجه الأول، وهو الأخبار بأنهم لا يعبدون كما نقول: كتبت إليه أن لا تخرج أي بأنك لا تخرج، و﴿أن لا تعبدوا﴾ في موضع نصب وتقديره فصلت آياته بأن لا تعبدوا أو لئلا تعبدوا.

والثاني: يحتمل أن يكون المعنى أمرتم بأن لا تعبدوا، فلما حذف الباء نصب بعدها، ومعنى (إلا) في الآية إيجاب للمذكور بعدها وهو ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الأعراب لما بعدها من الكلام. وقوله ﴿إني لكم منه نذير وبشير﴾ أخبار أن النبي صلى الله عليه وآله مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم عقابه مبشر بثواب الله على طاعاته واجتناب معاصيه، والنذارة إعلام موضع المخافة ليتقى، ونذير بمعنى منذر كأليم بمعنى مؤلم. والبشارة إعلام بما يظهر في بشرة الوجه به المسرة وبشير بمعنى مبشر. وقوله ﴿وأبشروا بالجنة﴾ معناه واستبشروا[1].

❁ س٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾ [هود: ٣]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: «﴿وأن استغفروا ربكم﴾ «يعني

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٤٦.

المؤمنين» وقوله: ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ «هو علي بن أبي طالب عليه السلام»[(١)].

❁ س٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [هود: ٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: قيل في معنى قوله ﴿إلى الله مرجعكم﴾ قولان:

١ ـ إليه مصيركم بإعادته إياكم للجزاء.

٢ ـ إلى الله مرجعكم بإعادته إلى مثل الابتداء من أنه لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً سواه تعالى، والمرجع المصير إلى مثل الحال الأولى.

وقوله ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أخبار منه تعالى أنه يقدر على كل شيء إلا ما أخرجه الدليل مما يستحيل أن يكون قادراً عليه من مقدورات غيره وما يقضى وقته من الأجناس التي لا يصلح عليها البقاء[(٢)].

❁ س٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ قال: الدُّخان والصَّيحة.

ثم قال: وقوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ يقول: يكتمون ما في صدورهم من بغض عليّ عليه السلام. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ آية

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) التبيان: ج٥، ص٤٤٨.

المنافق بغض علي». فكان قوم يظهرون المودّة لعليّ عليه السلام عند النبيّ صلى الله عليه وآله ويسرّون بغضه. فقال: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ فإنه كان إذا حدّث بشيء من فضل عليّ عليه السلام، أو تلا عليهم ما أنزل الله فيه، نفضوا ثيابهم وقاموا. يقول الله تعالى ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ حين قاموا ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أخبرني جابر بن عبد الله: أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت طأطأ أحدهم رأسه وظهره ـ هكذا ـ وغطّى رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾»[٢].

❁ س٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ يقول: تكفّل بأرزاق الخلق. قال: قوله: ﴿ويعلم مستقرها﴾ يقول: حيث تأوي بالليل ﴿ومستودعها﴾ حيث تموت[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجلٌ من أهل البادية، فقال: يا رسول الله، إنّ لي بنين وبنات، وإخوة وأخوات، وبني بنين وبني بنات، وبني إخوة وبني أخوات، والمعيشة علينا خفيفةٌ، فإن رأيت ـ يا رسول الله ـ أن تدعو الله أن يوسّع علينا؟ ـ قال ـ: وبكى، فرقّ له المسلمون، فقال

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢١.
(٢) الكافي: ج٨، ص١٤٤، ح١١٥.
(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢١.

رسول الله ﷺ: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ من كفل بهذه الأفواه المضمونة على الله رزقها صبّ الله عليه الرّزق صبّاً كالماء المنهمر، إن قليلاً فقليلاً، وإن كثيراً فكثيراً ـ قال: ـ ثمّ دعا رسول الله ﷺ وأمّن له المسلمون».

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «فحدّثني من رأى الرجل في زمن عمر فسأله عن حاله، فقال: من أحسن مَن خوّله حلالاً وأكثرهم مالاً»(١).

س٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ [هود: ٧]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ الله خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وخلق يوم الأحد والاثنين الأرضين وخلق يوم الثلاثاء أقواتها، وخلق يوم الأربعاء السّماوات، وخلق يوم الخميس أقواتها، والجمعة(٢)، وذلك في قوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ فلذلك أمسكت اليهود يوم السّبت»(٣).

وقال داود الرَّقّي: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فقال: «ما يقولون؟» قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء، والربّ فوقه! فقال عليه السلام: «كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً،

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٣٩، ح٣.

(٢) في (الكافي: ج٨، ص١٤٥، ح١١٨): «وخلق السماوات يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة».

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٠، ح٤.

ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه».

قلت: بيّن لي، جعلت فداك، فقال: «إن الله حَمَّل دينه وعلمه الماء، قبل أن تكون أرض أو سماء، أو جنّ أو إنس، أو شمس أو قمر، فلمّا أراد أن يخلُق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربُكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا: أنت ربُنا، فحمّلهم العلم والدّين. ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي، وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون. ثمّ قال لبني آدم: أقرّوا لله بالربوبيّة، ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ـ ربّنا ـ أقررنا. فقال الله للملائكة: اشهدوا فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً: إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنّما أشرك آباؤنا من قبل، وكنّا ذُريّةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود، ولايتنا مؤكّدةٌ عليهم في الميثاق»[(١)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾.

«ليس يعني أكثر عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة».

ثمّ قال: «الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحدٌ إلا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا إنّ النيّة هي العمل ـ ثم تلا قوله عزّ وجلّ ـ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[(٢)] يعني على نيّته»[(٣)].

---

(١) الكافي: ج١، ص١٠٣، ح٧، والتوحيد: ص٣١٩، ح١.

(٢) الإسراء: ٨٤.

(٣) الكافي: ج٢، ص١٣، ح٤.

س٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾ [هود: ٨]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: أصحاب القائم عليه السلام الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، هم والله الأمّة المعدودة التي قال الله في كتابه: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ ـ قال ـ يجمعون له في ساعةٍ واحدةٍ قزعاً[1] كقزع الخريف»[2].

قال أبو جعفر عليه السلام[3] في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[4].

[قال: «الخيرات: الولاية، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا﴾] يعني أصحاب القائم عليه السلام الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً ـ قال ـ هم والله الأمّة المعدودة ـ قال ـ يجتمعون والله في ساعةٍ واحدةٍ قزعاً كقزع الخريف»[5].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾.

«العذاب هو القائم عليه السلام وهو عذابٌ على أعدائه، والأمّة المعدودة هم الذين يقومون معه، بعدد أهل بدر»[6].

---

(١) القزع: قطعٌ من السحاب رقيقة.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٠، ح٨.

(٣) في «س، ط»: أبي عبد الله عليه السلام، راجع معجم رجال الحديث: ج٢١، ص٣٨٤.

(٤) البقرة: ١٤٨.

(٥) الكافي: ج٨، ص٣١٣، ح٤٨٧، ينابيع المودة: ص٤٢١.

(٦) تأويل الآيات: ج١، ص٢٢٣، ح٣.

وقال علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾.

قال: إن متّعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم عليه السلام فنردّهم ونعذّبهم ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ أي يقولون: ألا لا يقوم القائم، ولا يخرج، على حدّ الاستهزاء، فقال الله: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾[(١)].

❁ س١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود: ٩ ـ ١١]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني﴾ قال: إذا أغنى الله العبد ثم افتقر أصابه اليأس والجزع والهلع، وإذا كشف الله عنه ذلك فرح، وقال: ذهب السيئات عنّي ﴿إنه لفرح فخور﴾. ثمّ قال: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ قال: صبروا في الشدّة، وعملوا الصالحات في الرّخاء[(٢)].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٢.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٣.

س١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود: ١٢]؟!

الجواب/ قال عمار بن سويد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾.

فقال: «إنّ رسول الله ﷺ لمّا نزل قديداً[1]، قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إني سألت ربّي أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل.

فقال رجلان من قريش: والله لصاعٌ من تمرٍ في شنٍّ[2] بالٍ أحبُّ إلينا ممّا سأل محمّدٌ ربَّه، فهلاّ سأل ربّه ملكاً يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه[3] إلى حقٍّ ولا باطلٍ إلاّ أجابه إليه. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾ إلى آخر الآية»[4].

س١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم

---

(١) قُدَيد: موضعٌ قرب مكة. «معجم البلدان ج٤، ص٣١٣».

(٢) الشَنّ: القربة الخلق. «الصحاح ـ شنن ـ ج٥، ص٢١٤٦».

(٣) في «ط»: ما دعا علياً.

(٤) الكافي: ج٨، ص٣٧٨، ح٥٧٢.

مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣ ـ ١٤]؟!

الجواب/ قال عمّار بن سويد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾ إلى قوله: ﴿أو جاء معه ملك﴾.

قال: «إن رسول الله ﷺ لمّا نزل قديداً، قال لعليّ عليه السلام: إني سألت ربّي أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل.

فقال رجل من قريش: والله لصاعٌ من تمرٍ في شنٍّ بالٍ أحبُّ إلينا ممّا سأل محمّدٌ ربَّه، فهلاّ سأل ربّه ملكاً يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستغني به عن فاقته؟ والله ما دعاه إلى حقٍّ ولا باطلٍ إلاّ أجابه إليه. فأنزل الله عليه: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ إلى آخر الآية».

قال: «ودعا رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين في آخر صلاته، رافعاً بها صوته، يسمع الناس: اللهمّ هب لعليّ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾(١) بني أميّة.

قال رجل: والله لصاعٌ من تمر في شنٍّ بالٍ أحبُّ إليّ ممّا سأل محمدٌ ربه، أفلا سأله ملكاً يعضده، أو كنزاً يستظهر به على فاقته؟! فأنزل الله فيه عشر آياتٍ من هود، أوّلها: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ إلى ﴿أم

---

(١) مريم: ٩٦ ـ ٩٧.

يقولون افتراه﴾ ولاية عليّ ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ إلى ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ في ولاية عليّ (عليه الصلاة والسلام) ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١) لعليّ ولايته ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني فلاناً وفلاناً ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا﴾(٢)، ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ رسول الله ﷺ ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ أمير المؤمنين عليه السلام ﴿مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾(٣) ـ قال ـ كانت ولاية عليّ في كتاب موسى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾(٤) في ولاية عليّ ﴿إنه الحق من ربك﴾ إلى قوله: ﴿ويقول الأشهاد﴾(٥) هم الأئمة عليهم السلام ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٦).

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿أم يقولون﴾ إلى قوله: ﴿صادقين﴾: يعني قولهم: إنّ الله لم يأمره بولاية عليّ، وإنّما يقول من عنده فيه.

فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾

---

(١) هود: ١٤.
(٢) هود: ١٥.
(٣) هود: ١٧.
(٤) هود: ١٧.
(٥) هود: ١٧ ـ ١٨.
(٦) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤١، ح١١، الآية من سورة هود: ١٨ ـ ٢٤.

أي بولاية أمير المؤمنين عليه السلام من عند الله[١].

س١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم القميّ: مَن عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدنيا، أعطاه ثوابه في الدنيا، وكان له في الآخرة النار[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف، فقال: أترى يجيب الله هذا الخلق كلّه؟

فقال أبي: ما وقف بهذا الموقف أحدٌ إلا غفر الله له، مؤمناً كان أو كافراً، إلاّ أنّهم في مغفرتهم على ثلاث منازل ـ وذكر المنازل الثلاث فقال في الثالثة ـ وكافرٌ وقف هذا الموقف، زينة الحياة الدنيا، غفر الله له ما تقدم من ذنبه، إن تاب من الشّرك فيما بقي من عمره، وإن لم يتب وفّاه أجره ولم يحرمه أجر هذا الموقف، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾»[٣].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني فلاناً وفلاناً ﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾»[٤].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٤.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٤.

(٣) الكافي: ج٤، ص٥٢١، ح١٠.

(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٢، ح١١، تقدم الحديث في تفسير الآيات (٢٠٠ ـ ٢٠٢) من سورة البقرة.

❁ س١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧]؟!

الجواب/ قال الأصبغ بن نباته: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كسرت لي الوسادة فقعدت عليها، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، بقضاءٍ يصعد إلى الله يزهر. والله ما نزلت آية في كتاب الله، في ليلٍ أو نهار، إلاّ وقد علمتُ فيمن أُنزلت، ولا أحدٌ ممّن مرّت على رأسه المواسي من قريش إلاّ وقد أُنزلت فيه آية من كتاب الله، تسوقه إلى الجنّة أو النار».

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، ما الآية التي نزلت فيك؟ قال: «أما سمعت الله يقول: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنةٍ من ربّه، وأنا الشّاهد له، وأتلوه منه»[1].

وقال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة له -: «وقال في محكم كتابه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوّض إليه، وشاهداً له على من اتّبعه وعصاه. وبيّن ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم، فقال تبارك وتعالى، في التّحريض على اتّباعه، والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) بصائر الدرجات: ص١٥٢، ح٢.

(٢) النساء: ٨٠.

ذُنُوبَكُمْ﴾[(١)] فاتّباعه ﷺ محبّة الله، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنّة، وفي التولّي عنه والإعراض محادّة الله وغضبه وسخطه. والبعد منه سكن النار، وذلك قوله تعالى: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ يعني الجحود به والعصيان له»[(٢)].

وقد مضى حديثٌ في معنى الآية، عن العيّاشي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ الآية: ليطلب هناك[(٣)]. . .

❁ س١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [هود: ١٨ ـ ٢١]؟!

الجواب/ قال أبو عبيدة: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم﴾ إلى قوله: ﴿يبغونها عوجا﴾.

قال: «أي يطلبون لسبيل الله زيغاً عن الاستقامة، يحرّفونها بالتأويل ويصفونها بالانحراف عن الحقّ والصواب».

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) الكافي: ج٨، ص٢٦، ح٤.

(٣) تقدم في الحديث من تفسير الآية (١٢) من هذه السورة.

وقال النبيّ ﷺ: «إن الله تعالى فرض على الخلق خمسةً، فأخذوا أربعةً وتركوا واحداً، فسألوا عن الأربعة، قال: الصلاة والزكاة والحجّ والصوم». قالوا: فما الواحد الذي تركوا؟ قال: «ولاية علي بن أبي طالب» قالوا: هي واجبةٌ من الله تعالى؟ قال: «نعم، قال الله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾» الآيات[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد﴾.

«هم الأئمة عليهم السلام: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾»[2].

وقال علي بن إبراهيم، في معنى الآية: يعني بالأشهاد الأئمة عليهم السلام، ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ لآل محمّد ﷺ حقّهم. ثمّ قال: وقوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا﴾ يعني يصدّون عن طريق الله، وهي الإمامة ﴿ويبغونها عوجا﴾ يعني حرّفوها إلى غيرها.

ثمّ قال: وقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ قال: ما قدروا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قال: وقوله: ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل﴾ أي بطل ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني يوم القيامة، بطل الذي يدعونه غير أمير المؤمنين عليه السلام[3].

❁ س١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [هود: ٢٢]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي: معنى ﴿لا جرم﴾: معنى ﴿لا﴾ نفي لما

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج٣، ص١٩٩.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٢، ح١١.

(٣) تفسير القمّي: ج١، ص٣٢٥.

ظنوه أنه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك. ثم ابتدأ ﴿جرم أنهم﴾ أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران.

قال غيره: معناه لا بد أنهم، ولا محالة أنهم. وقيل: معناه حقاً أنهم. وأصل ﴿الجرم﴾ القطع فكأنه قال لأقطع من أنهم في الآخرة هم الأخسرون و﴿جرم﴾ في قوله ﴿لا جرم﴾ فعل، وتقديره لا قطع قاطع عن ذا، إلا أنهم كثر في كلامهم حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أي قطعتهم إلى الغضب، فرواية الفراء نصب فزارة، والمعنى كسبهم أن يغضبوا، وخسران النفس يتعاظم، لأن خسران النفس بعذاب دائم أعظم من خسرانها بعذاب منقطع، و﴿هم﴾ في قوله ﴿هم الأخسرون﴾ يحتمل أن يكون فصلاً والأخسرون خبر ﴿أن﴾ و﴿هم﴾ إذا كانت فصلاً لم تقع في النكرة. وقولهم: ما كانوا في الدار هم القائمون. فلا يكون إلا اسماً، فإن جعلتهما فصلاً قلت: كانوا في الدار هم القائمون[١].

س١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣)﴾ [هود: ٢٣]؟!

الجواب/ قال أبو أسامة زيد الشحّام، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ عندنا رجلاً يُسمّى كليباً، فلا يخرج عنكم حديثٌ ولا شيء إلاّ قال: أنا أُسلّم، فسمّيناه: كليب تسليم؟ قال: فترحّم عليه، وقال: «أتدرون ما

(١) التبيان: ج٥، ص٤٤٦.

التسليم؟» فسكتنا، فقال: «هو والله الإخبات، قول الله عزّ وجلّ: ﴿الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾»[١].

وقال علي بن إبراهيم القمي: وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي تواضعوا لله وعبدوه[٢].

۞ س١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ٢٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ: المثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول، والأمثال لا تغير عن صورتها كقولك للرجل ﴿أطرى أنك ناعلة﴾ وكذلك يقال للكافر: هو أعمى أصم أي هو بمنزلة الذين قيل لهم هذا القول، ويجري هذا في كل كافر يأتي من بعد.

و(الواو) في قوله ﴿كالأعمى والأصم﴾ قيل في دخولها قولان:

١ ـ العموم في التشبيه أي حال الكافر كحال الأعمى وكحال الأصم وكحال من جمع العمى والصمم.

٢ ـ أن المعنى واحد، وإنما دخلت الواو لاتصال الصفة الأولى بعلامة.

وإنما قال: هل يستويان، لأنه أراد الفريقين: الموصوف أحدهما بالصم والعمى، والآخر بالبصر والسمع. وفائدة الآية تشبيه المؤمن والكافر في تباعد ما بينهما فشبههما، بالأعمى والبصير، والأصم والسميع، فالكافر كالأعمى والأصم في أنه لا يبصر طريق الرشد، ولا يسمع الحق، وأنه مع ذلك على

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص٧٥.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٥.

صفة النقص، والصمم عبارة عن فساد آلة السمع، ولو كان معنى يضاد السمع لتعاقبا على الحي، والأمر بخلافه، لأنه قد ينتفي حال الصمم ولا يكون سامعاً، وكذلك العمى عبارة عن فساد آلة الرؤية، وليس بمعنى يضاد الإبصار، لأن الصحيح أن الإدراك أيضاً ليس بمعنى، ولو كان معنى لما وجب أن يكون العمى ضده. لأنه لو كان ضده لعاقبه على حال الحي وكان يجوز أن يحضر المرئي من الأجسام الكثيفة من غير ساتر فلا يرى مع حصول شروط الإدراك لأجل وجود الضد، وكذلك الصمم، ولا ضد له لأنه ليس هنا حال يعاقبه على حال مخصوصة كمعاقبة العجز والقدرة على حال الحياة.

وقوله ﴿هل يستويان مثلا﴾ وإن كان بصورة الاستفهام فهو لضرب من التوبيخ والتقريع. وقوله ﴿أفلا تتفكرون﴾ معناه أفلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرنا[١].

❁ س١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: ٢٥ ـ ٢٨]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: لما تقدم ذكر الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، عقب ذلك سبحانه بذكر أخبار الأنبياء، تأكيداً لذلك، وتخويفاً

---

(١) التبيان: ج٥، ص٤٦٨.

للقوم، وتسلية للنبيﷺ، وبدأ بقصة نوح عليه السلام فقال: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾ وقد مر بيانه ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾ أي: أنذركم أن لا تعبدوا إلا الله، عن الزجاج، يريد أن توحدوا الله وتتركوا عبادة غيره. وبدأ بالدعاء إلى الإخلاص في العبادة.

وقيل: إنه دعاهم إلى التوحيد، لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد.

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ إنما قال ﴿أخاف﴾ مع أن عقاب الكفار مقطوع عليه، لأنه لم يعلم ما يؤول إليه عقابة أمرهم، من إيمان أو كفر، وهذا لطف في الاستدعاء، وأقرب إلى الإجابة في الغالب ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي: من قوم نوح لنوح عليه السلام: ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ ظناً منهم أن الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل إليه، ولم يعلموا أن البعثة من الجنس قد تكون أصلح، ومن الشبهة أبعد ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أي: لم يتبعك الملأ، والأشراف، والرؤساء منا، وإنما اتبعك أخساؤنا الذين لا مال لهم، ولا جاه ﴿بادي الرأي﴾ أي: في ظاهر الأمر، والرأي، لم يتدبروا ما قلت، ولم يتفكروا فيه.

وقال الزجاج: معناه اتبعوك في الظاهر، وباطنهم على خلاف ذلك. ومن قرأ بالهمز: فالمعنى أنهم اتبعوك ابتداء الرأي أي: حين ابتدأوا ينظرون، ولو فكروا لم يتبعوك. وقيل: معناه إن في مبتدأ وقوع الرؤية عليهم يعلم أنهم أراذلنا وأسافلنا ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ أي: وما نرى لك ولقومك علينا من فضل، فإن الفضل إنما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا، والشرف في النسب، وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقة الاستدلال، ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته، لعلموا أنه نبي، وأن من آمن به مؤمن، ومن خالفه كافر، وعرفوا حقيقة الفضل، وهكذا عادة أرباب الدنيا،

يستحقرون أرباب الدين إذا كانوا فقراء، ويسترذلونهم، وإن كانوا هم الأكرمين الأفضلين عند الله سبحانه ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ هذا تمام الحكاية، عن كفار قوم نوح، قالوه لنوح، ومن آمن به ﴿قال﴾ نوح لقومه ﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ أي: على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة. وقال ابن عباس: على بينة، أي: على يقين وبصيرة، ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته. واختلف في قول نوح عليه السلام هذا أنه جواب عماذا، فقيل: إنه جواب عن قولهم: ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ فكأنه قال: بل هو جواب عن قولهم: ﴿وما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ أي: وإن كنت بشراً فماذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقوني؟

وفيه بيان أن الرسالة إنما تظهر بالمعجزة، فلا معنى لاعتبار البشرية. وقيل: هو جواب عن قولهم ﴿ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ فكأنه قال أنهم اعتصموا بالله، وبما آتاهم من البينة والرحمة، فنالا بذلك الرفعة والفضل، وأنتم قنعتم بالدنيا الدنية الفانية، فأنتم في الحقيقة الأراذل لا هم. وقيل: هو جواب عن قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ فكأنه قال: لا تتبعوا المال والجاه، فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة. ويجوز أن يكون جواباً عن جميع ذلك.

﴿وأتاني رحمة من عنده﴾ رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه. والرحمة والنعمة هي ههنا النبوة أي وأعطاني نبوة من عنده ﴿فعميت عليكم﴾ أي: خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها. ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ أي: أتريدون مني أن أكرهكم على المعرفة، وألجئكم إليها، على كره منكم؟ هذا غير مقدور لي. والهاء كناية عن الرحمة، فيدخل فيها النبوة، والدين، وسائر النعم. وقيل: معناه أنلزمكم قبولها، فحذف المضاف. ويجوز أن يكون الهاء كناية عن البينة. ويكون المراد: إن علي أن أدلكم بالبينة، وليس علي أن

أضطركم إلى معرفتها[١].

❁ س٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢٩ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣١﴾ [هود: ٢٩ ـ ٣١]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي: ثم أنكر نوح استثقالهم بالتكليف، والعاقل، إنما يستثقل الأمر إذا ألزمته مؤنة ثقله، فقطع هذا العذر بقوله: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالا﴾ أي لا أطلب منكم على دعائكم لي الله أجراً، فتمتنعون من إجابتي خوفاً من أخذ المال ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي: ما ثوابي، وما أجري في ذلك، إلاّ على الله ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ أي: لست أطرد المؤمنين من عندي، ولا أبعدهم على وجه الإهانة. وقيل: إنهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له، أنفة من أن يكونوا معهم على سواء، ﴿إنهم ملاقوا ربهم﴾ وهذا يدل على أنهم سألوه طردهم، فأعلمهم أنه يطردهم لأنهم ملاقوا ربهم. فيجازي من ظلمهم، وطردهم بجزائه من العذاب، وقيل: معناه إنهم ملاقوا ثواب ربهم، فكيف يكونون أراذل؟ وكيف يجوز طردهم، وهم لا يستحقون ذلك؟... ﴿ولكني أراكم قوما تجهلون﴾ الحق وأهله. وقيل: معناه تجهلون أن الناس إنما يتفاضلون بالدين، لا بالدنيا. وقيل: تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين ﴿ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتم﴾ معناه:

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥.

من يمنعني من عذاب الله إن أنا طردت المؤمنين، فكانوا خصمائي عند الله في الآخرة ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: أفلا تتفكرون فتعلمون أن الأمر على ما قلته؟ وفرق علي بن عيسى بين التفكر والتذكر، بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس. والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب، وإن لم يكن حاضراً للنفس. وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في شيء، لأن النصرة: هي المنع على وجه المغالبة، والقهر. والشفاعة هي المسألة على وجه الخضوع، فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة للمذنبين، على ما قال بعضهم ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه، ومعناه: إني لا أرفع نفسي فوق قدرها، فأدعي أن عندي مقدورات الله تعالى، فأفعل ما أشاء، وأعطي ما أشاء، وأمنع من أشاء... وقيل: خزائن الله: مفاتيح الله في الرزق. وهذا جواب لقولهم: ﴿ما نراك إلا بشرا مثلنا﴾ أو قولهم: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي: ولا أدعي علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم ومضاركم. وقيل: لا أعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في نفوسكم، فيكون جواباً لقولهم إن هؤلاء الذين آمنوا بك، اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم أي: فسبيلي قبول إيمانهم الذي ظهر لي، ولا يعلم ما يضمرونه إلا الله تعالى ﴿ولا أقول إني ملك﴾ فأخبركم بخبر السماء من قبل نفسي، وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى. وقيل: معناه لا أقول إني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى، بل أنا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ أي: لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم، وتستخفونهم، وتحتقرهم أعينكم، لما ترون عليهم من زي الفقراء ﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾ أي: لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم، ولا يثيبهم عليها، بل أعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق، ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب ﴿الله أعلم بما في

أنفسهم﴾ أي: بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾ إن طردتهم، تكذيباً لظاهر إيمانهم، أو قلت فيهم غير ما أعلم[١].

س٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: ٣٢ ـ ٣٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم، فقال: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ أي: خاصمتنا، وحاججتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾ أي: زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية. ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أن الله تعالى يعذبنا على الكفر أي: فلسنا نؤمن بك، ولا نقبل منك ﴿قال﴾ نوح ﴿إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ أي: لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء، لا يقدر عليه غيره، فإن شاء عجل وإن شاء أخر ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: لا تفوتونه بالهرب[٢].

س٢٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]؟!

الجواب/ قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «قال الله في قوم نوح عليه السلام: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾.

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٦٦.

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص٢٦٨.

ـ قال ـ: الأمرُ إلى الله يهدي ويضلّ»[١].

وقال الباقر عليه السلام: «نزلت في العبّاس»[٢].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ حديث مسند[٣].

س٢٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود: ٣٥]؟!

الجواب/ الشيباني في (نهج البيان): عن مُقاتل، قال: إنّ كفّار مكّة قالوا: إنّ محمّداً افترى القرآن. قال: وروي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٤].

س٢٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٣، ح١٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٤٤، ح١٧.

(٣) يأتي في الحديث من تفسير الآية (٧٢) من سورة الإسراء.

(٤) نهج البيان: ج٢، ص١٤٦ (مخطوط).

وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ابْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَآءُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

[هود: ٣٦ ـ ٤٩]؟!

الجواب/ قال الصادق عليه السلام: «كان اسم نوح عليه السلام عبد الغفّار، وإنّما سُمّي نُوحاً لأنّه كان ينوحُ على قومه»[1].

وقال عليه السلام: «كان اسمُ نوح عبدُ الملك، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة سنة»[2].

وقال عليه السلام: «كان اسمُ نوحِ عبد الأعلى، وإنّما سُمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة عام».

---

(١) علل الشرائع: ص٢٨، ح١.

(٢) علل الشرائع: ص٢٨، ح٢.

ثمّ قال ابن بابويه: الأخبار في اسم نوح عليه السلام كلّها متّفقة غير مختلفةٍ، تثبِتُ له التّسمية بالعبودية، وهو عبد الغفار والملك والأعلى[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «بقي نوحٌ في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يجيبوه، فهمّ أن يدعو عليهم، فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا، وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح عليه السلام: من أنتم؟ فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا، وإنّ مسيرة غلظ سماء الدنيا خمسمائة عام، ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وخرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك في هذا الوقت، فنسألك أن لا تدعو على قومك. فقال نوح: قد أجّلتهم ثلاثمائة سنة.

فلمّا أتى عليهم ستّمائة سنةٍ ولم يؤمنوا، همّ أن يدعوا عليهم، فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية، فقال نوح: من أنتم؟ فقالوا نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية، وغلظ السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثانية إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وغِلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، خرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك ضحوةً نسألك أن لا تدعو على قومك. فقال نوح: قد أجّلتهم ثلاثمائة سنة.

فلمّا أتى عليهم تسعمائة سنةٍ ولم يؤمنوا، همّ أن يدعو عليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ فقال نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ

---

(١) علل الشرائع: ص٢٨، ح٣.

يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[(١)].

فأمره الله أن يغرس النخل، فأقبل يغرس، فكان قومه يمرّون به فيسخرون منه ويستهزئون به، ويقولون: شيخٌ قد أتى له تسعمائة سنةٍ يغرس النخل! وكانوا يرمونه بالحجارة، فلمّا أتى لذلك خمسون سنةً وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه، فسخروا منه، وقالوا: بلغ النخل مبلغه، وهو قوله: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون﴾.

فأمره الله أن ينحت السفينة، وأمر جبرئيل أن ينزل عليه ويعلّمه كيف يتخذها، فقدر طولها في الأرض ألف ومائتا ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً. فقال: يا ربّ من يُعينني على اتّخاذها؟ فأوحى الله إليه: ناد في قومك: من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّةً، فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليها، وكانوا يسخرون منه ويقولون يتّخذ سفينةً في البرّ!»[(٢)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «لمّا أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنةً، فلم يولد فيهم مولود، فلمّا فرغ نوحٌ من اتّخاذ السّفينة أمره الله أن ينادي بالسّريانية فلا تبقى بهيمة ولا حيوان إلاّ حضر، فأدخل من كلّ جنسٍ من أجناس الحيوان زوجين في السّفينة، وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلا قليل﴾ وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة، فلمّا كان في اليوم الذي أراد الله

---

(١) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٢٥.

إهلاكهم، كانت امرأة نوحٍ تخبز في الموضع الذي يعرف بـ﴿فار التنور﴾ في مسجد الكوفة، وقد كان نوحٌ اتّخذ لكلّ ضربٍ من أجناس الحيوان موضعاً في السَّفينة، وجمع لهم فيها جميع ما يحتاجون من الغذاء، فصاحت امرأته لمّا فار التنّور، فجاء نوحٌ إلى التَّنُّور فوضع عليه طيناً وختمه، حتى أدخل جميع الحيوان السَّفينة.

ثم جاء إلى التَّنّور ففضّ الخاتم ورفع الطّين، وانكسفت الشَّمس، وجاء من السَّماء ماءٌ منهمر، صبٌّ بلا قطر، وتفجَّرت الأرض عيوناً، وهو قوله عزّ وجـــلّ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾(١) وقال الله عزّ وجلّ: ﴿اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ يقول: مجراها: أي مسيرها، ومُرساها: أي موقفها.

فدارت السفينة ونظر نوحٌ إلى ابنه يقع ويقوم، فقال له: ﴿يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ فقال ابنه، كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ فقال نوح: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾ ثمّ قال نوح: ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ فقال الله: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ فقال نُوح، كما حكى الله: ﴿رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ فكان كما حكى الله: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾».

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «فدارت السَّفينة، فضربها الموج حتى وافت مكّة وطافت بالبيت، وغرق جميع الدنيا إلاّ موضع البيت وإنّما سمّي البيت

(١) القمر: ١١ ـ ١٣.

العتيق لأنه أُعتق من الغرق، فبقي الماء ينصبُّ من السّماء أربعين صباحاً، ومن الأرض عيوناً، حتى ارتفعت السفينة، فسَحت[١] السّماء - قال - فرفع نوحعَلَيْهِ السَّلَامُ يده، فقال: يا دهمانُ، أيقن. وتفسيرها يا ربّ احبس. فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها، وهو قوله: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾ أي أمسكي ﴿وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾ فبلعت الأرض ماءها، فأراد ماء السّماء أن يدخل في الأرض، فامتنعت الأرض عن قبوله، وقالت: إنّما أمرني الله عزّ وجلّ أن ابلع مائي، فبقي ماء السّماء على وجه الأرض، واستوت السّفينة على جبل الجوديّ، وهو بالموصل جبلٌ عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا. وأنزل الله على نوح: ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم ستمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ فنزل نوحٌ - بالموصل - من السّفينة مع الثمانين، وبنوا مدينة الثّمانين، وكان لنوح بنتٌ ركبت معه في السفينة، فتناسل الناس منها، وذلك قول النبيّصلى الله عليه وآله: نوحٌ أحد الأبوين. ثمّ قال الله تعالى لنبيّه: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾»[٢].

وقال الرضاعَلَيْهِ السَّلَامُ: «قال أبيعَلَيْهِ السَّلَامُ: قال أبو عبد اللهعَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ الله عزّ وجلّ قال لنوحٍعَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ لأنه كان مخالفاً له، وجعل من اتبعه من أهله».

قال الحسن بن عليّ الوشّاء: وسألني: «كيف يقرءون هذه الآية في ابن نوح؟». فقلتُ: يقرؤها الناس على وجهين: (إنه عملٌ غير صالحٍ) و(إنّه عمل

---

(١) سحّ الماء: صبّ، وسال من فوق. «الصحاح - سحح - ج١، ص٣٧٣».

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٦.

غير صالح)[١]. فقال: كذبوا هو ابنه، ولكن الله عزّ وجلّ نفاه عنه حين خالفه في دينه»[٢].

✿ س٢٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٠ ـ ٥٣]؟!

الجواب/ قال ابن شهر آشوب: قيل لزين العابدين عليه السلام: إنّ جدّك كان

---

(١) قرأ الكسائي ويعقوب وسهل: (إنه عمل غير صالح) وقرأ الباقون: (عمل غير صالح).
قال أبو علي الطبرسي: من قرأ: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ فالمراد أن سؤالك ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح. ويحتمل أن يكون الضمير في (إنه) لما دلّ عليه قوله: ﴿اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ هود: ٤٢، فيكون تقديره: أن كونك مع الكافرين وانحيازك إليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا، عمل غير صالح. ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح، كأنه جعل عملاً غير صالح، كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه، كقولهم: الشعر زهير. أو يكون المراد أنه ذو عمل غير صالح فحذف المضاف.
ومن قرأ: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ فيكون في المعنى كقراءة من قرأ: ﴿إنه عمل غير صالح﴾ وهو يجعل الضمير لابن نوح. وتكون القراءتان متفقتين في المعنى، وإن اختلفتا في اللفظ.
ومن ضعّف هذه القراءة بأنّ العرب لا تقول: هو يعمل غير حسنٍ، حتى يقولوا: عمل غير حسنٍ، فالقول فيه: إنهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى، فيقول القائل: قد فعلت صواباً، وقلت حسناً، بمعنى فعلت فعلاً صواباً، وقلت قولاً حسناً.
قال عمر بن أبي ربيعة:

أيها القائل غير الصواب ... أخّر النصح وأقلل عتابي

مجمع البيان: ج٥، ص٢٥١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٧٥، ح٣.

يقول: «إخواننا بغوا علينا».

فقال عليه السلام: «أما تقرأ كتاب الله: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾؟ فهم مثلهم، أنجاه الله والذين معه، وأهلك عاداً بالرّيح العقيم»[١].

وقال علي بن إبراهيم، قال عليه السلام: إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية، من المشرق[٢] إلى الأجْفُر[٣]، أربعة منازل، وكان لهم زَرعٌ ونخيل كثير، ولهم أعمارٌ طويلةٌ وأجسامٌ طويلةٌ، فعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد، فأبوا ولم يؤمنوا بهودٍ وآذوه، فكفَّت عنهم السَّماء سبع سنين حتى قحطوا، وكان هود زرّاعاً، وكان يسقي الزَّرع، فجاء قومٌ إلى بابه يريدونه فخرجت عليهم امرأةٌ شمطاء[٤] عوراء، فقالت لهم: من أنتم؟ فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا، أجدبت بلادنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله لنا حتى نمطر وتخصب بلادنا فقالت: لو استجيب لهودٍ لدعا لنفسه، فقد احترق زرعُه لقلّة الماء.

فقالوا: وأينَ هو؟ قالت: هو في موضع كذا وكذا. فجاءوا إليه، فقالوا يا نبيّ الله، قد أجدبت بلادنا ولم نمطر، فاسأل الله أن تخصب بلادنا ونمطر. فتهيّأ للصّلاة وصلّى ودعا لهم، فقال لهم: «ارجعوا فقد أمطرتم وأخصبت بلادكم».

فقالوا: يا نبيّ الله، إنّا رأينا عجباً. قال: «وما رأيتم؟» قالوا: رأينا في

---

(١) المناقب: ج٣، ص٢١٨، الاحتجاج: ص٣١٢.

(٢) وفي تفسير القمي: ج٢، ص٢٩٨ (سورة الأحقاف) قال: والأحقاف بلاد عاد من الشقوق إلى الأجفر. وجميعاً تطلق على عدّة مواضع في البادية. انظر «معجم البلدان: ج٣، ص٣٥٦ وج٥، ص١٣٣».

(٣) الأجفُر: موضعٌ بين فيد والخُزيميّة. «معجم البلدان ج١، ص١٠٢».

(٤) الشمط: بياض شعر الرأس يخالطه سواده. «الصحاح ـ شمط ـ ج٣، ص١١٣٨».

منزلك امرأةً شمطاء عوراء، قالت لنا: من أنتم، وما تريدون؟ قلنا: جئنا إلى نبيّ الله هود ليدعو الله لنا فنمطر. فقالت: لو كان هود داعياً لدعا لنفسه، فإنّ زرعه قد احترق.

فقال هود: «تلك أهلي، وأنا أدعو الله لها بطول العمر والبقاء» قالوا، وكيف ذاك! قال: «لأنّه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدوّ يؤذيه، وهي عدوي، فلئن يكون عدوّي ممّن أملكه خيرٌ من أن يكون عدوّي ممن يملكني».

فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى خصبت بلادهم، وأنزل الله عليهم المطر، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ قالوا، كما حكى الله: ﴿يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ الآية، فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الرّيح الصَّرصر، يعني الباردة، وهو قوله في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[1] وحكى في سورة الحاقّة، فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[2] قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام[3].

(١) القمر: ١٨ ـ ١٩.

(٢) الحاقة: ٦ ـ ٧.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٢٩.

❁ س٢٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ: لسنا نقول فيك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بسوء، فخبل عقلك لشتمك لها، وسبك إياها. ﴿قال﴾ أي: قال هود لقومه ﴿إني أشهد الله واشهدوا﴾ أي: وأشهدكم أيضاً بعد إشهاد الله ﴿إني بريء مما تشركون من دونه﴾ أي: إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها، فإني على بصيرة في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون أنها أصابتني بسوء، وإنما أشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة، من حيث كانوا كفاراً فساقاً، إقامة للحجة عليهم، لا لتقوم الحجة بهم، فقال هذا القول إعذاراً وإنذاراً.

وقيل: إنه أراد بقوله اشهدوا واعلموا كما قال شهد الله أيّ: علم الله.

﴿فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون﴾ أي: فاحتالوا واجتهدوا أنتم وآلهتكم في إنزال مكروه بي، ثم لا تمهلوني. قال الزجاج: وهذا من أعظم آيات الأنبياء، أن يكون الرسول وحده، وأمته متعاونة عليه. فيقول لهم: كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره. وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ الآية. وقال نبينا ﷺ: فإن كان لكم كيد فكيدون. ومثل هذا القول لا يصدر إلا عمن هو واثق بنصر الله، وبأنه يحفظه عنهم، ويعظمه منهم ثم ذكر هود عليه السلام هذا المعنى، فقال: ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم﴾ أي: فوضت أمري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته، تاركاً لمعصيته.

وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ أي: ما من حيوان يدب على وجه الأرض، إلا وهو مالك لها، يصرفها كيف يشاء، ويقهرها، وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة، لأن من أخذ بناصية غيره، فقد قهره وأذله[١]. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾: «يعني أنه على حقّ، يجزي بالإحسان إحساناً، وبالسّيّء سيئاً، ويعفو عمّن يشاء، ويغفر سبحانه وتعالى»[٢].

❁ س٢٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

[هود: ٥٧ ـ ٦٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ هذا حكاية عما قاله هود عليه السلام لقومه والمعنى: فإن تتولوا، ويجوز أن يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود، والمعنى: فإن تولوهم ﴿ف﴾ قل لهم ﴿قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ أي: ليس ذلك لتقصير مني في إبلاغكم، وإنما هو لسوء اختياركم في إعراضكم عن نصحي، فقد أبلغتكم جميع ما أوحي إلي.

﴿ويستخلف ربي قوما غيركم﴾ أي: ويهلككم ربي بكفركم، ويستبدل

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٩١.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٥١، ح٤٢.

بكم قوماً غيركم، يوحدونه، ويعبدونه ﴿ولا تضرونه شيئا﴾ يعني إذا استلف غيركم، فجعلهم بدلاً منكم، لا تقدرون له على ضر. وقيل: معناه لا تضرونه بتوليكم، وإعراضكم شيئاً، ولا ضرر عليه في إهلاككم، لأنه لم يخلقكم لحاجة منه إليكم ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ يحفظه من الهلاك إن شاء، ويهلكه إذا شاء. وقيل: معناه إن ربي يحفظني عنكم، وعن أذاكم. وقيل: معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها ﴿ولما جاء أمرنا﴾ بهلاك عاد ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه﴾ من الهلاك. وقيل: إنهم كانوا أربعة آلاف ﴿برحمة منا﴾ أي: بما أريناهم من الهدى والبيان. وقيل: برحمة منا أي: بنعمة منا، وهي النجاة أي: أنجيناهم برحمة ليعلم أنه عذاب أريد به الكفار، لا اتفاق وقع ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ أي: كما نجيناهم من عذاب الدنيا، نجيناهم من عذاب الآخرة. والغليظ: الثقيل العظيم. ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود. ثم ذكر سبحانه كفر عاد، فقال: ﴿وتلك﴾ أي: وتلك القبيلة ﴿عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته ﴿وعصوا رسله﴾ إنما جمع الرسل، وكان قد بعث إليهم هود، لأن من كذب رسولاً واحداً، فقد كفر بجميع الرسل، ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به، وبمن تقدمه من الرسل، وبما أنزل عليهم من الكتب، فكذبوا بهم جميعاً، فلذلك عصوهم.

﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ أي: وأتبع السفلة والسقاط الرؤساء. وقيل: إن الجبار: من يقتل ويضرب على غضبه، والعنيد: الكثير العناد الذي لا يقبل الحق ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي: وأتبع عاداً بعد إهلاكهم في الدنيا بالإبعاد عن الرحمة، فإن الله تعالى أبعدهم من رحمته، وتعبد المؤمنين بالدعاء عليهم باللعن ﴿ويوم القيامة﴾ أي وفي يوم القيامة يبعدون من رحمة الله، كما بعدوا في الدنيا منها، ويلعنون بأن يدخلوا النار، فإن اللعنة: الدعاء

بالإبعاد، من قولك لعنه إذا قال عليه لعنة الله. وأصله الإبعاد من الخير ﴿ألا﴾ ابتداء وتنبيه ﴿إن عادا كفروا ربهم﴾ أراد بربهم، فحذف الباء كما قالوا أمرتك الخير أي: بالخير ﴿ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ أي: أبعدهم الله من رحمته، فبعدوا بعداً(١).

س٢٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦١ ـ ٦٨]؟!

الجواب/ جاء رجلٌ من أهل الشام إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: أنت عليّ بن الحسين؟ قال: «نعم». قال: أبوك الذي قتل المؤمنين، فبكى عليّ بن الحسين ثمّ مسح عينيه، فقال: «ويلك، كيف قطعت على أبي أنّه قتل

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

المؤمنين؟» قال: قوله: «إخواننا قد بغوا علينا، فقاتلناهم على بغيهم».

فقال: «ويلك، أما تقرأ القرآن؟» قال: بلى، قال: «فقد قال الله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[1]، ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ فكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم؟» قال له الرجل: لا، بل في عشيرتهم.

قال: «فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم». قال: فرّجت عنّي، فرّج الله عنك[2].

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عليه السلام كيف كان مهلك قوم صالح عليه السلام؟ فقال: يا محمّد، إنّ صالحاً بُعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشرة سنةً، فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومائة سنة، لا يجيبونه إلى خير، قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله عزّ ذكره فلمّا رأى ذلك منهم، قال: يا قوم، بعثت إليكم وأنا ابن ست عشرة سنةً، وقد بلغت عشرين ومائة سنة، وأنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما سألتموني، الساعة، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني بالذي سألت خرجت عنكم، فقد سئمتكم وسئمتموني.

قالوا: لقد أنصفت، يا صالح. فاتّعدوا ليوم يخرجون فيه، قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم، ثم قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلمّا أن فرغوا دعوه، فقالوا: يا صالح اسأل، فقال لكبيرهم: ما اسم هذا؟ قالوا: فلان. فقال له صالح: يا فلان، أجب. فلم يجبه، فقال صالح: ما له لا يجيب؟ قالوا: ادعُ غيره. فدعاها كلّها بأسمائها فلم يُجبه منها شيءٌ، فأقبلوا على أصنامهم، فقالوا لها: مالك لا تجيبين صالحاً؟ فلم تجب.

---

(١) الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠، ح٥٣.

فقالوا: تنحَّ عنا، ودعنا وآلهتنا ساعةً. ثمّ نحّوا بسطهم وفرشهم، ونحّوا ثيابهم، وتمرّغوا على التراب، وطرحوا التراب على رؤوسهم، وقالوا لأصنامهم: لئن لم تجبن صالحاً اليوم ليفضحنا. قال: ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح، ادعها. فدعاها فلم تجبه.

فقال لهم: يا قوم، قد ذهب صدر النهار، ولا أرى آلهتكم تجيبني، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة. فانتدب له منهم سبعون رجلاً من كبرائهم والمنظور إليهم منهم، فقالوا: يا صالح، نحن نسألك، فإن أجابك ربُّك اتَّبعناك وأجبناك، ويبايعك جميع أهل قريتنا.

فقال لهم صالح عليه السلام: سلوني ما شئتم. فقالوا: تقدَّم بنا إلى هذا الجبل. وكان الجبل قريباً منهم، فانطلق معهم صالح، فلمّا انتهوا إلى الجبل، قالوا: يا صالح، ادع لنا ربَّك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقةً حمراء شقراء وبراء عشراء، بين جنبيها ميل[1]، فقال لهم صالح: قد سألتموني شيئاً يعظم علي ويهون على ربّي جلّ وعزّ وتعالى.

قال: فسأل الله تبارك وتعالى صالحٌ ذلك، فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك، ثم اضطرب ذلك الجبل اضطراباً شديداً، كالمرأة إذا أخذها المخاض، ثم لم يفجأهم إلاّ رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمّت رقبتها حتى اجتزّت، ثم خرج سائر جسدها، ثمّ استوت قائمةً على الأرض، فلما رأوا ذلك، قالا يا صالح، ما أسرع ما أجابك ربّك! ادعُ لنا ربّك يخرج لنا فصيلها، فسأل الله عزّ وجلّ، فرمت به، فدبَّ حولها.

فقال لهم: يا قوم، أبقي شيء قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا ويؤمنون بك. قال: فرجعوا، فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتدّ منهم

---

(١) أي المسافة بين جنبيها قدر ميل.

أربعة وستّون رجلاً، قالوا: سحرٌ وكذب. قال: فانتهوا إلى الجميع، فقال الستّة: حقّ، وقال الجميع: كذبٌ وسحر، قال: فانصرفوا على ذلك ثمّ ارتاب من الستّة واحد، فكان فيمن عقرها».

قال ابن محبوب: فحدَّثت بهذا الحديث رجلاً من أصحابنا، يقال له: سعيد بن يزيد، فأخبرني أنه رأى الجبل الذي خرجت منه بالشام، قال: فرأيت جنبها قد حكّ الجبل فأثّر جنبها فيه، وجبل آخر بينه وبين هذا ميل[(١)].

وقال أبو بصير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[(٢)]؟

قال: «هذا فيما كذّبوا به صالحاً، وما أهلك الله عزّ وجلّ قوماً قطّ حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرُّسل، فيحتجّوا عليهم، فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله، فلم يجيبوه وعتوا عليه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصَّخرة ناقةً عشراء، وكانت الصَّخرة يعظمونه ويعبدونها، ويذبحون[(٣)] عندها في رأس كلّ سنةٍ، ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً، فادع لنا إلهك حتى يخرج لنا من هذه الصَّخرة الصمّاء ناقةً عشراء[(٤)]، فأخرجها الله كما طلبوا منه.

ثمّ أوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن ـ يا صالح ـ قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم، ولكم شرب يوم. وكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم، فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا، غدوا إلى مائهم فشربوا

---

(١) الكافي: ج٨، ص١٨٥، ح٢١٣.

(٢) القمر: ٢٣ ـ ٢٥.

(٣) في «ط»: ويدعون.

(٤) في «ط»: حمراء.

منه ذلك اليوم، ولم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ إنّهم عتوا على الله، ومشى بعضهم إلى بعضٍ، وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم. ثم قالوا: من الذي يلي قتلها، ونجعل له جعلاً ما أحبّ؟ فجاءهم رجلٌ أحمر أشقر أزرق، ولد زنا، لا يعرف له أب، يقال له: قُدار[1]، شقيّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له جُعلاً، فلمّا توجَّهت الناقة إلى الماء الذي كانت تردُه، تركها حتى شربت وأقبلت راجعة، فقعد لها في طريقها، فضربها بالسَّيف ضربةً فلم تعمل شيئاً، فضربة ضربةً أخرى فقتلها، وخرَّت إلى الأرض على جنبها، وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل، فرغا ثلاث مرّات إلى السَّماء. وأقبل قوم صالح، فلم يبق منهم أحدٌ إلاّ شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها.

فلمّا رأى ذلك صالح أقبل إليهم، فقال: يا قومِ، ما دعاكم إلى ما صنعتم، أعصيتم أمر ربّكم؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام: إنّ قومك قد طغوا وبغوا، وقتلوا ناقةً بعثتها إليهم حجّةً عليهم، ولم يكن عليهم فيها ضرر، وكان لهم منها أعظم المنفعة، فقل لهم: إنّي مرسلٌ عليهم عذابي إلى ثلاثة أيام، فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم، وصددتُ عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: يا قوم، إني رسول ربّكم إليكم، وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم استغفرتم غفرت لكم، تبت عليكم، فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث، وقالوا: ياصالح، ائتنا بما تعدنا إن

---

(١) في «ط»: قذار.

كنت من الصادقين.

قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مُصفرّة، واليوم الثاني وجوهكم محمرّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة. فلما أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله، وإن كان عظيماً، فلمّا كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرّة، فمشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: يا قوم، قد جاءكم ما قال لكم صالح. فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح، ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها. ولم يتوبوا ولم يرجعوا. فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودّة، فمشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: يا قوم، أتاكم ما قال لكم صالح. فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح. فلمّا كان نصف الليل أتاهم جبرئيل عليه السلام، فصرخ بهم صرخةً خرقت تلك الصّرخة أسماعهم، وفلقت[1] قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة أيام قد تحنّطوا وتكفّنوا، وعلموا أن العذاب نازلٌ بهم، فماتوا جميعاً في طرفة عين، صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق لهم ناعقةٌ ولا راغية ولا شيء إلاّ أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصّيحة النار من السّماء فأحرقتهم أجمعين، وكانت هذه قصتهم»[2].

قد تقدّم حديث أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام من طريق العيّاشي [في معنى الآية] في سورة الأعراف برقم [٧٥ ـ ٧٦].

---

(١) في «ط»: وقلعت.

(٢) الكافي: ج٨، ص١٨٧، ح٢١٤.

س٢٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ [هود: ٦٩-٨٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله تعالى بعث أربعة أملاكٍ في إهلاك قوم لوط: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وكروبيل عليهم السلام، فمرّوا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمّون، فسلّموا عليه فلم يعرفهم، ورأى هيئةً حسنة، فقال: لا يخدم هؤلاء أحد إلا أنا بنفسي، وكان صاحب ضيافةٍ، فشوى لهم

عجلاً سميناً حتى أنضجه ثم قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم و﴿رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ فلمّا رأى ذلك جبرئيل عليه السلام حسر العِمامة عن وجهه وعن رأسه فعرفه إبراهيم عليه السلام ، فقال: أنتَ هو؟ قال: نعم: ومرّت امرأته سارة، فبشّرها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. فقالت ما قال الله عزّ وجلّ، وأجابوها بما في الكتاب العزيز[1]:

فقال لهم إبراهيم عليه السلام : لماذا جئتم؟ قالوا: في إهلاك قوم لوط. فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ قال جبرئيل لا. قال: وإن كان فيهم خمسون؟ قال: لا. قال: وإن كان فيهم ثلاثون؟ قال: لا. قال: وإن كان فيهم عشرون؟ قال: لا. قال: وإن كان فيهم عشرة؟ قال: لا. قال: وإن كان فيهم خمسة؟ قال: لا. قال: إن كان فيهم واحد؟ قال: لا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾[2] ثم مضوا».

قال: وقال الحسن بن علي[3]: لا أعلم هذا القول إلا وهو

---

(١) قال أبو جعفر في قوله (فضحكت): يعني فعجبت من قولهم - وفي رواية أبي عبد الله عليه السلام : قال: حاضت، وقالت: ﴿يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب﴾ إلى قوله: ﴿حميد مجيد﴾.

فلما جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق، فذهب عنه الرّوع، أقبل يُناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم، فقال الله تعالى: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب﴾ بعد طلوع الشمس من يومك محتوماً ﴿غير مردود﴾». (تفسير العياشي: ج٢، ص١٥٢، ح٤٤ - ٤٥).

(٢) العنكبوت: ٣٢.

(٣) قال المجلسي (رحمه الله): أي ابن فضّال. البحار: ج١٢، ص١٦٩، وفي المصدر: الحسن العسكري أبو محمّد عليه السلام.

يستبقيهم[١]، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾[٢].

«فأتوا لوطاً وهو في زراة له قرب المدينة، فسلموا عليه وهم معتمون، فلما رآهم رأى هيئةً حسنةً، عليهم عمائم بيض وثياب بيض، فقال لهم: المنزل؟ فقالوا: نعم فتقدُمهم ومشوا خلفه، فندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أيّ شيء صنعت، آتي بهم قومي وأنا أعرفهم؟

فالتفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله. قال جبرئيل عليه السلام[٣]: لا تعجل عليهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرّات. فقال جبرئيل عليه السلام: هذه واحدة. ثم مشى ساعةً ثم التفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله. فقال جبرئيل عليه السلام: هذه اثنتان. ثمّ مضى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل عليه السلام: هذه الثالثة.

ثمّ دخل ودخلوا معه. حتى دخل منزله، فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئةً حسنةً، فصعدت فوق السّطح فصفقت، فلم يسمعوا، فدخّنت، فلمّا رأوا الدُخان أقبلوا يهرعون، حتى جاءوا إلى الباب، فنزلت إليهم، فقالت: عندنا قومٌ ما رأيت قوماً قطّ أحسن منهم هيئةً. فجاءوا إلى الباب ليدخلوا، فلمّا رآهم لوط قام إليهم، فقال لهم يا قوم: ﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد﴾ ثمّ قال: ﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فدعاهم كلّهم إلى الحلال، فقالوا: ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم

---

(١) قال المجلسيّ (رحمه الله): أي أظنّ أن غرض إبراهيم عليه السلام كان استبقاء القوم والشفاعة لهم، لا محض إنجاء لوطٍ من بينهم. البحار: ج١٢، ص١٦٩.

(٢) وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾. «دعاء». (تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٤، ح٥١).

(٣) كذا، والظاهر: فقال الله لجبرئيل.

ما نريد﴾ فقال لهم: ﴿لو أن لي بكم قوة أو ءاوى إلى ركن شديد﴾ ـ قال ـ فقال جبرئيل عليه السلام: لو يعلم أيّ قوّةٍ له! فكاثروه[١] حتى دخلوا الباب، فصاح به: جبرئيل، وقال: يا لوط، دعهم يدخلون، فلما دخلوا أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم، فذهبت أعينهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فطمسنا أعينهم﴾[٢].

ثمّ ناداه جبرئيل، فقال له: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فسر بأهلك بقطع من الليل﴾ وقال له جبرئيل: إنا بعثنا في إهلاكهم. فقال: يا جبرئيل، عجّل. فقال: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ فأمره فتحمّل ومن معه إلاّ امرأته، ثم اقتلعها ـ يعني المدينة ـ جبرئيل بجناحه من سبع أرضين، ثم رفعها حتى سمع أهل السّماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك، ثم قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل»[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل عليه السلام: كيف كان مهلك قوم لوط؟

فقال: يا محمّد، إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظّفون من الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة، بخلاء أشحّاء على الطعام، وإن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنةً، وإنما كان نازلاً عليهم ولم يكن منهم، ولا عشيرة له فيهم ولا قوم، وإنّه دعاهم إلى الإيمان بالله واتّباعه، وكان ينهاهم عن الفواحش، ويحُثّهم على طاعة الله فلم يجيبوه، ولم يتّبعوه.

وإنّ الله لمّا همّ بعذابهم بعث إليهم رسلاً منذرين عذراً ونذراً، فلما عتوا

---

(١) كاثره: غلبه بالكثرة. «الصحاح ـ كثر ـ ج٢، ص٨٠٣».

(٢) القمر: ٣٧.

(٣) الكافي: ج٨، ص٣٢٧، ح٥٠٥.

عن أمره بعث الله إليهم ملائكةً ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيتٍ من المسلمين فأخرجوهم منها، وقالوا للوط: ﴿فأسر بأهلك﴾ في هذه الليلة ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾(١).

قال: فلمّا انتصف الليل سار لوطٌ ببناته، وتولّت امرأته مدبرة فانطلقت إلى قومها تسعى بلوط، وتخبرهم أنّ لوطاً قد سار ببناته.

وإنّي نوديت من تلقاء العرش لمّا طلع الفجر: يا جبرئيل، حقّ القول من الله بحتم عذاب قوم لوط اليوم، فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت فاقتلعها من تحت سبع أرضين، ثمّ اعرج بها إلى السّماء، ثم أوقفها حتى يأتيك أمر الجبّار في قلبها، ودع منها آية بيّنة ـ منزل لوطٍ ـ عبرةً للسيّارة.

فهبطت على أهل القرية الظالمين، فضربتُ بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقها، وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى غربها، فاقتلعتها ـ يا محمّد ـ من تحت سبع أرضين إلاّ منزل لوطٍ آيةً للسيّارة، ثم عرجت بها في خوافي(٢) جناحي إلى السماء، وأوقفتها حتى سمع أهل السماء زقاء(٣) ديوكها ونباح كلابها فلمّا أن طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل، اقلب القرية على القوم المجرمين، فقلبتها عليهم حتى صار أسفلها أعلاها، وأمطر الله عليهم حجارةً من سجّيلٍ منضودٍ مُسوَّمةً عند ربّك، وما هي ـ يا محمّد ـ من الظالمين من أُمّتك ببعيد».

قال: «فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، وأين كانت قريتهم من البلاد؟

---

(١) الحجر: ٦٥.

(٢) الخوافي: الريش الصغار التي في جناح الطير عند القوادم. «مجمع البحرين ـ خفا ـ ج١، ص١٢٩».

(٣) زقا الصَّدى يزقو ويزقى زُقاءً: أي صاح. «الصحاح ـ زقا ـ ج٦، ص٢٣٦٨».

قال: كان موضع قريتهم إذ ذلك في موضع بُحيرة طبريّة[١] اليوم، وهي في نواحي الشام.

فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، أرأيت حيث قلبتها عليهم في أيّ موضعٍ من الأرض وقعت القرية وأهلها؟ فقال: يا محمّد، وقعت فيما بين الشام إلى مصر، فصارت تلالاً في البحر»[٢].

وقال علي بن إبراهيم القمّيّ: في قوله: ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أي يُسرعون ويعدون. وقال في قوله تعالى ﴿مسومة﴾: أي منقوطة[٣].

س٣٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا
تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ

---

(١) بُحيرة طبريّة: بركة تحيط بها الجبال، تصبّ إليها فضلات أنهارٍ كثيرةٍ، ومدينة طبريّة مشرفة عليها، وهي من أعمال الأردن. «معجم البلدان: ج١، ص٣٥١ وج٤، ص١٧».

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٧، ح٥٧.

(٣) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٣٥ و٣٣٦.

وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي
أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ
ثَمُودُ (٩٥)﴾ [هود: ٨٤ ـ ٩٥]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: بعث الله شعيباً إلى مدين، وهي قرية على طريق الشام، فلم يؤمنوا به، وحكى الله قولهم، قال: ﴿يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد ءاباؤنا﴾ إلى قوله: ﴿الحليم الرشيد﴾. قال: قالوا: إنك لأنت السّفيه الجاهل. فكنّى الله عزّ وجلّ قولهم فقال: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ وإنّما أهلكهم الله بنقص المكيال والميزان، قال: ﴿يا قوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

ثم قال علي بن إبراهيم: ثمّ ذكّرهم وخوّفهم بما نزل بالأمم الماضية، فقال: ﴿يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾، ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا ما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا﴾ وكان قد ضعف بصره ﴿ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ إلى قوله: ﴿إني معكم رقيب﴾. أي انتظروا. فبعث الله عليهم صيحةً فماتوا، وهو قوله: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا

والذين ءامنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود﴾[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إني أراكم بخير﴾. قال: «كان سعرهم رخيصاً»[٢].

وقال محمد بن الفضيل، سألت الرضا عليه السلام عن انتظار الفرج. فقال: «أو ليس تعلم أن انتظار الفرج من الفرج؟ ثم قال ـ إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾»[٣].

وقال الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿ارتقبوا إني معكم رقيب﴾ و﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[٤] فعليكُم بالصّبر فإنّه إنّما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم اصبر منكم»[٥].

وقال عبد الله بن الفضل الهاشميّ: سألتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: قلتُ: فقوله عزّ وجلّ: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٦].

فقال: «إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ وجلّ به من الطّاعة، كان فعله وفقاً لأمر الله عزّ وجلّ، وسُمّي العبد به مُوفّقاً، وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله، فحال الله تبارك وتعالى بينه وبين تلك المعصية فتركها، كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ذكره، ومتى خلى بينه وبين تلك المعصية فلم يحل

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٣٧.
(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦١.
(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦٢.
(٤) الأعراف: ٧١، يونس: ١٠٢.
(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ص٦٤٥، ح٥.
(٦) آل عمران: ١٦٠.

بينه وبينها حتى يرتكبها، فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه[١].

س٣١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾ [هود: ٩٦ ـ ١٠١]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ثم ذكر عزّ وجلّ قصّة موسى عليه السلام: فقال: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ إلى قوله تعالى ﴿واتبعوا في هذه لعنة﴾ يعني الهلاك والغرق ﴿ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ أي يرفدهم الله بالعذاب. ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ذلك من أنباء القرى﴾ أي أخبارها ﴿نقصه عليك﴾ يا محمّد ﴿منها قائم وحصيد﴾ إلى قوله: ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ أي غير تخسير[٢].

وقال أبو بصير قرأ أبو عبد الله عليه السلام: «فمنها قائماً وحصيداً» بالنّصب، ثمّ قال: «يا أبا محمّد، لا يكون حصيداً إلاّ بالحديد»[٣].

وفي رواية أخرى: «فمنها قائمٌ وحصيدٌ. أيكون الحصيد إلاّ بالحديد»[٤].

---

(١) التوحيد: ص٢٤١، ح١.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٣٧.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦٣.

(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٥٩، ح٦٤، وفي نور الثقلين: ج٢، ص٣٩٤، ح٢٠٥ هذه الرواية بالنصب أيضاً.

س٣٢: ما هو معنى قوله تعالى:
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٢ ـ ١٠٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ أي: وكما ذكر من أهلاك الأمم، وأخذهم بالعذاب. أخذ ربك ﴿إذا أخذ القرى﴾ أي: أخذ أهلها وهو أن ينقلهم إلى العقوبة والهلاك ﴿وهي ظالمة﴾ من صفة القرى، وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحوه: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ وفي (الصحيحين) عن النبيﷺ أنه قال: إن الله تعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ هذه الآية.

﴿إن أخذه أليم شديد﴾ معناه: إن أخذ الله سبحانه الظالم مؤلم شديد الألم ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: إن فيما قصصنا عليك من إهلاك من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم، لعبرة وتبصرة، وعلامة عظيمة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي: لمن خشي عقوبة الله يوم القيامة. وخص الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتفع به بالتدبر، والتفكر فيه ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ أي: يجمع فيه الناس كلهم، الأولون والآخرون منهم. للجزاء والحساب. والهاء في ﴿له﴾ راجعة إلى اليوم.

﴿وذلك يوم مشهود﴾ أي: يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس، وأهل السماء وأهل الأرض، أي: يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه. وفي هذا دلالة على إثبات المعاد، وحشر الخلق(١).

وسأل الأبرشُ الكلبي أبا جعفرعليه السلام عن قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾(٢).

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٢٩١.
(٢) البروج: ٣.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «وما قيل لك؟» فقال: قالوا: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة. فقال أبو جعفر عليه السلام: ليس كما قيل لك، الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة، أما تقرأ القرآن؟ قال الله عزّ وجلّ: (ذلك يومٌ مجموعٌ لهُ النّاسُ وذلك يومٌ مشهُودٌ)[١].

❁ س٣٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: ١٠٤]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ثم أخبر سبحانه عن اليوم المشهود، وهو يوم القيامة. فقال: ﴿وما نؤخره﴾ أي: وما نؤخر هذا اليوم ﴿إلا لأجل معدود﴾ وهو أجل قد عده الله تعالى لعلمه أن صلاح الخلق في إدامة التكليف عليهم إلى ذلك الوقت. وفيه إشارة إلى قربه لأن ما يدخل تحت العد فكأن قد نفد. وإنما قال: ﴿لأجل﴾، ولم يقل: إلى أجل، لأن اللام يدل على الغرض، وإن الحكمة اقتضت تأخيره وإلا لا يدل على ذلك[٢].

❁ س٣٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٥ ـ ١٠٨]؟!

الجواب/ قال عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله: سألت رسول

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٩٩، ح٥. (٢) مجمع البيان: ج٥، ص٣٣٢.

اللهﷺ ، فقلتُ: أخبرني أيعذّب الله عزّ وجلّ خلقاً بلا حجّة؟ فقال: «معاذ الله عزّ وجلّ».

قلت: فأولاد المشركين في الجنّة أم في النّار؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى أولى بهم، إنه إذا كان يوم القيامة، وجمع الله عزّ وجلّ الخلائق لفصل القضاء يأتي بأولاد المشركين، فيقول لهم: عبيدي وإمائي، من ربّكم، وما دينكم، وما أعمالكم؟ - قال - فيقولون: اللهمَّ ربّنا أنتَ خلقتنا، وأنت أمتّنا. ولم تجعل لنا ألسنةً ننطق بها، ولا أسماعاً نسمع بها، ولا كتاباً نقرؤه، ولا رسولاً فنتّبعه، ولا علم لنا إلاّ ما علّمتنا».

قال: «فيقول لهم عزّ وجلّ: عبيدي وإمائي، إن أمرتكم بأمرٍ أتفعلونه؟ فيقولون: السّمع والطاعة لك، يا ربّنا. فيأمر الله عزّ وجلّ ناراً يقال لها الفلق، أشدّ شيءٍ في جهنّم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسّلاسل والأغلال، فيأمرها الله عزّ وجلّ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخةً، فتنفخ. فمن شدّة نفختها تنقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمد البحار، وتزول الجبال، وتظلم الأبصار، وتضع الحوامل حملها، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة، ثم يأمر الله تبارك وتعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار، فمن سبق له في علم الله عزّ وجلّ أن يكون سعيداً، ألقى نفسه فيها، فكانت النار عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيمعليه السلام ، ومن سبق له في علم الله عزّ وجلّ أن يكون شقياً، امتنع فلم يلقَ نفسه في النار، فيأمر الله تبارك وتعالى النار فتلتقطه لتركه أمر الله، وامتناعه من الدخول فيها، فيكون تبعاً لآبائه في جهنّم، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير

مجذوذ﴾[١].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها﴾: فهذا في نار الدنيا قبل يوم القيامة: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ قال: وقوله: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها﴾ يعني في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متّصلاً به، وهو ردٌّ على من ينكر عذاب القبر والثّواب والعقاب في الدنيا في البرزخ قبل يوم القيامة[٢].

وقال حُمران: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّه بلغنا أنّه يأتي على جهنّم حتى تصفق أبوابها. فقال: «لا والله إنه الخلود».

قلت: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾؟ فقال: «هذه في الذين يخرجون من النار»[٣].

وقال محمّد بن مسلم: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الجهنّميّين.

فقال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: يخرجون منها فينتهى بهم إلى عينٍ عند باب الجنّة. تسمى عين الحيوان، فينضح عليهم من مائها، فينبتون كما ينبت الزرع، تنبت لحومهم وجلودهم وشعورهم»[٤].

وقال زُرارة: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وأما الذين سعدوا

---

(١) التوحيد: ص٣٩٠، ح١.
(٢) تفسير القمي: ج١، ص٣٣٨.
(٣) كتاب الزهد: ص٩٨، ح٢٦٥.
(٤) كتاب الزهد: ص٩٥، ح٢٥٦.

ففي الجنة﴾ إلى آخر الآيتين.

قال: «هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشّقاوة والسعادة، إن شاء الله يجعلهم خارجين. ولا تزعُم - يا زُرارة - أنّي أزعم ذلك»[1].

❁ س٣٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ [هود: ١٠٩ - ١١٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿فلا تك في مرية﴾ أي: في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من دون الله تعالى، إنه باطل، وأنهم يصيرون بعبادتهم إلى عذاب النار ﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ يعني: ما يعبدون غير الله تعالى إلا على جهة التقليد، كما كان آباؤهم كذلك ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ أي: إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم، وعقاب أعمالهم وافياً ﴿غير منقوص﴾ عن مقدار ما استحقوه. آيسهم سبحانه بهذا القول عن العفو. وقيل: معناه أنا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب، بعد أن نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا...

﴿ولقد آتينا﴾ أي: أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ يريد أن قومه اختلفوا فيه أي: في صحة الكتاب الذي أنزل عليه، وأراد بذلك تسلية النبيّ ﷺ عن تكذيب قومه إياه، وجحدهم للقرآن المنزل عليه. فبين أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى، فلا تحزن لذلك، ولا تغتم له.

---

(١) تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٠، ح٦٧.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: لولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة، لما علم في ذلك من المصلحة ﴿لقضي بينهم﴾ أي: لعجل الثواب والعقاب لأهله. وقيل: معناه لفصل الأمر على التمام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هؤلاء، وهلاك أولئك ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ يعني: إن الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيده، مريب. والريب: أقوى الشك. وقيل: معناه أن قوم موسى لفي شك من نبوته(١).

❁ س٣٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

[هود: ١١١ ـ ١١٢]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم القميّ، في قوله تعالى: ﴿وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ قال: في القيامة، ثم قال لنبيّه ﷺ: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾ أي في الدنيا لا تطغوا(٢).

❁ س٣٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو الرجل يأتي السُلطان فيحبُّ بقاءه إلى أن يدخل يده في كيسه فيعطيه»(٣).

وقال عليّ بن إبراهيم: ركون مودةٍ ونصيحةٍ وطاعةٍ(٤).

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٣٤١.
(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٣٨.
(٣) تفسير القميّ: ج٥، ص١٠٨، ح١٢.
(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٣٨.

وقال أحدهم عليه السلام: «هو الرّجل من شيعتنا يقول بقول هؤلاء الجائرين»[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إنّه لم يجعلها خلوداً ولكن تمسّكم النار، فلا تركنوا إليهم»[٢].

س٣٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤]؟!

الجواب/ قال زرارة سألت أبا جعفر عليه السلام عمّا فرض الله من الصلاة. فقال: «خمس صلواتٍ في الليل والنّهار».

فقلتُ: هل سمّاهنّ وبيّنهنّ في كتابه؟ فقال: «نعم، قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[٣] ودلوكها: زوالها، ففي ما بين دلوك الشّمس إلى غسق اللّيل أربع صلوات، سمّاهنّ وبيّنهنّ ووقّتهنّ، وغسق الليل: انتصافه. ثمّ قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٤] فهذه الخامسة.

وقال في ذلك: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ وطرفاه: المغرب والغداة ﴿وزلفا من الليل﴾ وهي صلاة العشاء الآخرة، وقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٥] وهي صلاة الظهر، وهي أول صلاةٍ صلاّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٦١، ح٧١.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٦١، ح٧٢.

(٣) الإسراء: ٧٨.

(٤) الإسراء: ٧٨.

(٥) البقرة: ٢٣٨.

وسط النهار، ووسط صلاتين بالنهار: صلاة الغداة، وصلاة العصر».

وفي بعض القراءات: «حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين».

قال: «ونزلت هذه الآية يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ في سفرٍ، فقنت فيها وتركها على حالها في السّفر والحضر، وأضاف للمقيم ركعتين، وإنّما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبيّ ﷺ يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الإمام، فمن صلّى يوم الجمعة في غير جماعة فليصلّها أربع ركعاتٍ كصلاة الظهر في سائر الأيّام»(١).

وقال إبراهيم الكرخي: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه مولىً له. فقال: «يا فلان، متى جئت؟» فسكت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «جئت من ها هنا ومن ها هنا، انظر بما تقطع به يومك، فإن معك ملكاً موكّلاً يحفظ عليك ما تعمل، فلا تحتقر سيّئةً، وإن كانت صغيرة، فإنها ستسوؤك يوماً، ولا تحتقر حسنةً فإنّه ليس شيءٌ أشدّ طلباً ولا أسرع دركاً من الحسنة، إنها لتدرك الذنب العظيم القديم فتذهب به، وقال الله في كتابه: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ ـ قال: قال ـ صلاة الليل تذهب بذنوب النهار ـ قال ـ تذهب بما جرحتم»(٢).

❁ س٣٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿واصبر﴾ قيل: معناه واصبر على الصلاة كما قال: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾. ﴿فإن

---

(١) التهذيب: ج٢، ص٢٤١، ح٩٥٤.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٦٢، ح٧٥.

الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: المصلين.

وقيل: معناه اصبر يا محمد على أذى قومك، وتكذيبهم إياك، وعلى القيام بما افترضته عليك، وعلى أداء الواجبات، والامتناع عن المقبحات، فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم، ولا يبطله، بل يكافيهم عليه أكمل الثواب(١).

❁ س٤٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود: ١١٦]؟!

الجواب/ قال زيد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض﴾ إلى آخر الآية، قال: تخرج الطائفة منّا، ومثلنا كمن كان قبلنا من القرون، فمنهم من يقتل، وتبقى منهم بقيّة ليحيوا ذلك الأمر يوماً ما(٢).

وقال زيد بن عليّ عليه السلام، في قوله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ قال: نزلت هذه فينا(٣).

وقال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية﴾ أي: هلا كان، وإلا كان، ومعناه: النفي، وتقديره: لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾ أي: كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع إنعام الله تعالى عليهم، بكمال

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٣٤٧.

(٢) تفسير فرات: ص٦٣.

(٣) تفسير فرات: ص٦٣.

العقل، وبعثة الرسل إليهم، وإقامة الحجج لهم. وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد، وثمود، والقرون التي عدها القرآن، وأخبر بهلاكها أي: إن العجب منهم، كيف لم تكن من جملتهم بقية في الأرض، يأمرون فيها بالمعروف، وينهون عن المنكر؟ وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب، وأنواع العقوبات لكفرهم بالله، ومعاصيهم له. وقيل: ﴿أولوا بقية﴾ معناه: ذوو دين وخير. وقيل: معناه ذوو بركة. وقيل: ذوو تمييز وطاعة ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ المعنى: إن قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد، وهم الأنبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل، فأنجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم. وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً، لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي، وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال، ولو رفع لجاز في الكلام. ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أي: وأتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم، وإيثار اللذات على أمور الآخرة، واشتغلوا بذلك عن الطاعات ﴿وكانوا﴾ أي: وكان هؤلاء المتنعمون البطرون ﴿مجرمين﴾ مصرين على الجرم.

وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر، لأنه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد، وأخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك، ونبه على أنه لو نهى الكثير كما نهى القليل، لما هلكوا. ثم أخبر سبحانه أنه لم يهلك إلا بالكفر والفساد، فقال: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ وذكر في تأويله وجوه:

١ ـ إن المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم، ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم، كما قال: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ الآية.

٢ ـ إن معناه لا يؤاخذهم بظلم واحدهم، مع أن أكثرهم مصلحون، ولكن إذا عم الفساد، وظلم الأكثرون، عذبهم.

٣ ـ إنه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لأنفسهم، وهم يتعاطون الحق بينهم أي: ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب. و(الواو): في قوله ﴿وأهلها﴾: واو الحال. وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم(١).

❁ س٤١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١١٧ ـ ١٢٣]؟!

الجواب/ سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾.

فقال عليه السلام: «كانوا أمّة واحدة، فبعث الله النبيين ليتّخذ عليهم الحُجّة»(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لا يزالون مختلفين ـ في الدّين ـ إلاّ من رحم ربُّك، يعني آل محمّد وأتباعهم، يقول الله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ يعني أهل رحمةٍ لا يختلفون في الدّين»(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج٥، ص٣٤٧.

(٢) الكافي: ج٨، ص٣٧٩، ح٥٧٣.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٣٨.

وقال رجل: سألت علي بن الحسين عليه السلام عن قول الله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ قال: «عنى بذلك من خالفنا من هذه الأمة، وكلُّهم يخالف بعضهم بعضاً في دينهم، وأمّا قوله: ﴿إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ فأولئك أولياؤنا من المؤمنين، ولذلك خلقهم من الطّينة الطيّبة، أما تسمع لقول إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ﴾(١) - قال - إيّانا عنى وأولياءه وشيعته وشيعة وصيّه، قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾(٢) - قال - عنى بذلك والله من جحد وصيَّه ولم يتّبعه من أمّته، وكذلك والله حال هذه الأمّة»(٣).

وقال علي بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ هم الذين سبق الشّقاء لهم، فحقّ عليهم القول أنّهم للنار خلقوا، وهم الذين حقّت عليهم كلمة ربّك أنهم لا يؤمنون.

قال علي بن إبراهيم: ثمّ خاب الله نبيّه، فقال: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل﴾ أي أخبارهم ﴿ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق﴾ في القرآن، وهذه السورة من أخبار الأنبياء وهلاك الأمم. ثم قال: ﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون﴾ أي نعاقبكم ﴿وانتظروا إنا منتظرون ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾(٤).

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، إنّ الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهديّةٍ لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلتُ: وما هي؟ قال: الصبر، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال:

---

(١) البقرة: ١٢٦.
(٢) البقرة: ١٢٦.
(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص١٦٤، ح٨٢.
(٤) تفسير القمّي: ج١، ص٣٣٨.

الرّضا، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الزهد، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: الإخلاصُ، وأحسن منه. قلت: وما هو؟ قال: اليقين، وأحسن منه. قلت: وما هو، يا جبرئيل؟ قال: إنَّ مَدرجة[1] ذلك التَّوكُّل على الله عزّ وجلّ فقلت: وما التوكُّل على الله عزّ وجلّ؟ فقال: العلم بأنّ المخلوق لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحدٍ سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحدٍ سوى الله، فهذا هو التوكُّل.

قال: قلت: يا جبرئيل، فما تفسير الصَّبر، قال: تصبر في الضرّاء كما تصبر في السرّاء، وفي الفاقة كما تصبر في الغناء، وفي البلاء كما تصبر في العافية، ولا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.

قلت: وما تفسير القناعة؟ قال: يقنع بما يصيبه من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر اليسير.

قلت: فما تفسير الرّضا؟ فقال: الرّضا أن لا يسخط على سيّده، أصاب من الدنيا أو لم يصب، ولا يرضىٰ لنفسه باليسير من العمل.

قلت: يا جبرئيل، فما تفسير الزُّهد؟ قال: الزاهد يحبّ من يحبُّ خالقه، ويبغض من يبغض خالقه، ويتحرَّج من حلال الدُّنيا ولا يلتفت إلى حرامها، فإنّ حلالها حسابٌ وحرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرّج من الكلام كما يتحرَّج من الميتة التي قد اشتد نتنها، ويتحرَّج عن حطام الدنيا وزينتها كما يجتنب النار أن يغشاها وأن يقصّر أمله وكأنَّ بين عينيه أجله.

---

(١) المَدْرَجة: الطريق، وممرّ الأشياء على الطريق.

قلت: يا جبرئيل، فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شيءٌ أعطاه في الله، فإنّ من لم يسأل المخلوق فقد أقرّ لله عزّ وجلّ بالعبودية، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راضٍ، والله تبارك وتعالى عنه راضٍ، وإذا أعطى لله عزّ وجلّ فهو على حدّ الثّقة بربّه عزّ وجلّ.

قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنّه يراه، فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وإنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كلُّه أغصان التوكّل، ومدرجة الزُّهد»[١].

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٦٠، ح١.

تفسير
سورة يوسف

رقم السورة ـ ١٢ ـ

سورة يوسف

❁ س١: ما هو فضل سورة يوسف؟!

قال أبو عبد الله عليه السلام: «من قرأ سورة يُوسف عليه السلام في كلّ يوم أو في كلّ ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله على جمال يوسف عليه السلام، ولا يصيبه يوم القيامة ما يصيب الناس من الفزع، وكان جيرانُه من عباد الله الصالحين». ثمّ قال: «إنّ يوسف كان من عباد الله الصالحين وأُومن في الدنيا أن يكون زانياً أو فحّاشاً»(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علموا أرقّاءكم سورة يوسف، فإنّه أيّما مسلم تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه، هوّن الله تعالى عليه سكرات الموت، وأعطاه من القوّة أن لا يحسده مسلم»(٢).

ومن (خواصّ القرآن) في سورة يوسف: قال الصادق عليه السلام: «مَن كتبها وجعلها في منزله ثلاثة أيام وأخرجها منه إلى جدارٍ من جدران البيت من خارج ودفنها لم يشعر إلاّ ورسول السُلطان يدعوه إلى خدمته، ويصرفه إلى حوائجه بإذن الله تعالى. وأحسن من هذا كلّه أن يكتبها ويشربها يسهّل الله له الرِّزق، ويجعل له الحظّ بإذن الله تعالى»(٣).

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٦٦، ح١.

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص٣١٥.

(٣) خواص القرآن: ص٣ «مخطوط».

س٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ١-٣]

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿الر تلك ءايات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون﴾: أي كي تعقلوا. قال: ثمّ خاطب الله نبيّه، فقال: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾[1].

س٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٣٩.

وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ
أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ
سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ
سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ
ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن
يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ
ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى
بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ
أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا
بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ
رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ
فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ
عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ
ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ

قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة يوسف: ٤ ـ ٣٤]؟!

الجواب/ قال أبو حمزة الثُّمالي: صلّيت مع عليّ بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم جُمعة، فلمّا فرغ من صلاته وسبحته[١]، نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاةً له تسمّى سُكينة، فقال لها: «لا يعبر على بابي سائلٌ إلاّ أطعتموه فإنّ اليوم يوم الجمعة».

قلتُ له: ليس كلّ من يسأل مستحقّاً؟ فقال: «يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقّاً فلا نطعمه ونردّه، فينزل بنا ـ أهل البيت ـ ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم أطعموهم.

إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل هو وعياله منه، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً محقّاً، لهُ عند الله منزلةٌ، وكان مجتازاً غريباً اعترّ[٢] على باب يعقوب عشيّة جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم. يهتف بذلك على بابه مراراً، وهم يسمعونه وقد جهلوا حقّه، ولم يُصدّقوا قوله، فلمّا أيس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله عزّ وجلّ، وبات

(١) السُّبْحَة: النافلة. «مجمع البحرين ـ سبح ـ ج٢، ص٣٧٠»، وفي «ط»: وتسبيحه.

(٢) اعترّ: تعرّض للسؤال. «مفردات ألفاظ القرآن ـ عزّ ـ ص٣٢٨».

طاوياً، وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله تعالى وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً، وأصبحوا وعندهم فضلٌ من طعامهم».

قال: «فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت ـ يا يعقوب ـ عبدي ذلّةً استجررت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي، ونزول عقوبتي وبلواي عليك وعلى وُلدك. يا يعقوب، إنّ أحبَّ أنبيائي إليَّ وأكرمهم عليَّ من رحم مساكين عبادي، وقرّبهم إليه، وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ. يا يعقوب، أما رحمت ذميال عبدي، المجتهد في عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا، عشاء أمس، لما اعترّ ببابك عند أوان إفطاره، وهتف بكم: أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع. فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبر وشكا ما به إليّ، وبات طاوياً، حامداً لي، وأصبح لي صائماً، وأنت ـ يا يعقوب ـ ووُلدك شباعٌ، وأصبحت وعندكم فضلٌ من طعامكم.

أو ما علمت ـ يا يعقوب ـ أنّ العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي؟ وذلك حسن النظر مني لأوليائي، واستدراجٌ منّي لأعدائي، أما وعزّتي لأُنزلنَّ بك بلواي، ولأجعلنّك وولدك غرضاً لمُصابي، ولأؤدّبنّك بعقوبتي، فاستعدّوا لبلواي، وارضوا بقضائي، واصبروا للمصائب».

فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك، متى رأى يوسف الرُّؤيا؟ فقال: «في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً، وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً. فلمّا رأى يوسف الرُّؤيا وأصبح يقصها على أبيه يعقوب، فاغتمّ يعقوب لما سمع من يوسف وبقي مغتمّاً، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن استعدّ للبلاء. فقال يعقوب ليوسف: لا تقصص رؤياك على إخوتك فإنّي أخاف أن يكيدوا لك كيداً، فلم يكتم يوسف رؤياه وقصّها على إخوته».

قال علي بن الحسين عليه السلام: «وكانت أوّل بلوى نزلت بيعقوب وآل

يعقوب الحسد ليوسف لمّا سمعوا منه الرّؤيا ـ قال ـ فاشتدّت رقّة يعقوب على يوسف، وخاف أن يكون ما أوحى الله عزّ وجلّ إليه من الاستعداد للبلاء هو في يوسف خاصّة، فاشتدّت رقته عليه من بين ولده، فلمّا رأى إخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف وتكرمته إياه وإيثاره إيّاه عليهم، اشتدّ ذلك عليهم وبدأ البلاء فيهم فتآمروا فيما بينهم وقالوا: ﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ أي تتوبون، فعند ذلك قالوا: ﴿يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع﴾ الآية. فقال يعقوب: ﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ فانتزعه حذراً عليه من أن تكون البلوى من الله عزّ وجلّ على يعقوب في يوسف خاصّةً لموقعه من قلبه وحبّه له».

قال: «فغلبت قدرة الله وقضاؤه ونافذ أمره في يعقوب ويوسف وإخوته، فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء عن نفسه، ولا عن يوسف ولده، فدفعه إليهم وهو لذلك كارهٌ متوقعٌ للبلوى من الله في يوسف، فلمّا خرجوا من منزلهم لحقهم مسرعاً فانتزعه من أيديهم وضمّه إليه واعتنقه وبكى ودفعه إليهم، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم، فلمّا أمعنوا[1] به، أتوا به غيضة[2] أشجارٍ، فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة فيأكله الذئب الليلة. فقال كبيرهم: ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ ولكن ﴿ألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين فانطلقوا به إلى الجُب فألقوه فيه، وهم يظنون أنه يغرق فيه، فلما صار في قعر الجبّ ناداهم: يا ولد

---

(١) أمعن: أبعد. «لسان العرب ـ معن ـ ج١٣، ص٤٠٩».

(٢) الغَيْضَة: مغيضُ ماءٍ يجتمع فينبُت فيه الشجر. «لسان العرب ـ غيض ـ ج٧، ص٢٠٢».

رومين، أقرئوا يعقوب منّي السلام. فلمّا سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض: لا تزولوا من هنا حتى تعلموا أنّه قد مات. فلم يزالوا بحضرته حتى أمسوا ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾ فلمّا سمع مقالتهم استرجع واستعبر، وذكر ما أوحى الله عزّ وجلّ إليه من الاستعداد للبلاء، فصبر وأذعن للبلوى، وقال لهم: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾ وما كان الله ليُطعم لحم يوسف الذئب من قبل أن أرى تأويل رؤياه الصادقة».

قال أبو حمزة: ثمّ انقطع حديث علي بن الحسين عليه السلام عند هذا(١).

وقال ابن عباس: لما استقرّ يوسف عليه السلام في قعر الجُبّ سالماً واطمأنّ من المؤذيات، جعل ينادي إخوته: «إنّ لكلّ ميّتٍ وصيّةً، ووصيّتي إليكم إذا رجعتم فاذكروا وحدتي، وإذا أمنتم فاذكروا وحشتي، وإذا طعمتم فاذكروا جوعتي، وإذا شربتم فاذكروا عطشي، وإذا رأيتم شاباً فاذكروا شبابي».

فقال له جبرئيل عليه السلام: يا يوسف، أمسك عن هذا، واشتغل بالدعاء، وقل: يا كاشف كل كربةٍ، ويا مجيب كل دعوةٍ، ويا جابر كل كسيرٍ، ويا حاضر كلّ بلوى، ويا مؤنس كل وحيدٍ، ويا صاحب كلّ غريبٍ، ويا شاهد كلّ نجوى، أسألك بحقّ لا إله إلا أنت أن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وأن تجعل في قلبي حُبّك حتى لا يكون لي همٌّ وشغلٌ سواك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

فقالت الملائكة: يا ربّنا، نسمع صوتاً ودعاءً، أمّا الصّوت فصوتُ نبيّ، وأمّا الدُّعاء فدعاء نبيّ، فأوحى الله تعالى إليهم: هو نبيّي يوسف، وأوحى

---

(١) علل الشرائع: ص٤٥، ح١.

تعالى إلى جبرئيل: أن اهبط على يوسف، وقل له: ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾.

نرجع إلى رواية أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليه السلام:

قال أبو حمزة: فلمّا كان من الغد غدوت عليه، فقلت له: جعلت فداك، إنّك حدَّثتني أمس بحديث يعقوب وولده ثم قطعته، فما كان من قصّة إخوة يوسف وقصّة يوسف بعد ذلك؟ فقال: «إنّهم لمّا أصبحوا، قالوا: انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حي؟ فلما انتهوا إلى الجُبّ وجدوا بحضرة الجُبّ سيّارةً، وقد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه، فلمّا جذب دلوه فإذا هو غلامٌ متعلقٌ بدلوه، فقال لأصحابه ﴿يا بشرى هذا غلام﴾ فلما أخرجوه أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجُبّ، وجئنا اليوم لنخرجه فانتزعوه من أيديهم، وتنحّوا به ناحيةً، فقالوا: إمّا أن تُقرَّ لنا أنّك عبدٌ لنا فنبيعك على بعض هذه السيّارة أو نقتلك؟ فقال لهم يوسف: لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم. فأقبلوا به إلى السيّارة، فقالوا: من منكم يشتري منّا هذا العبد فاشتراه رجلٌ منهم بعشرين درهماً، وكان إخوته فيه من الزّاهدين، وسار به الذي اشتراه من البدو حتى أدخله مصر، فباعه الذي اشتراه من البدو من ملك مصر، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾».

قال أبو حمزة: فقلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الجُبّ؟ فقال: كان ابنُ تسع سنين».

فقلت: كم كان بين منزل يعقوب يومئذٍ وبين مصر؟ فقال: «مسيرة اثني عشر يوماً».

قال: «وكان يوسف من أجمل أهل زمانه، فلمّا راهق يوسف راودته

امرأة الملك عن نفسه، فقال لها: معاذ الله، أنا من أهل بيتٍ لا يزنون، فغلّقت الأبواب عليها وعليه، وقالت: لا تخف. وألقت نفسها عليه، فأفلت منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته، فجذبت قميصه من خلفه فأخرجته منه، فأفلت يوسف منها في ثيابه ﴿وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ [1] ـ قال ـ فهمّ الملك بيوسف ليعذّبه، فقال له يوسف: وإله يعقوب، ما أردت بأهلك سوءاً، بل هي راودتني عن نفسي، فسل هذا الصبيّ: أيّنا راود صاحبه عن نفسه؟ ـ قال ـ وكان عندها من أهلها صبيٌ زائرٌ لها. فأنطق الله الصبيّ لفصل القضاء، فقال: أيّها الملك انظر إلى قميص يوسف، فإن كان مقدوداً من قدّامه فهو الذي راودها، وإن كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته.

فلما سمع الملكُ كلام الصبيّ وما اقتصّه، أفزعه ذلك فزعاً شديداً، فجيء بالقميص فنظر إليه، فلمّا رآه مقدوداً من خلفه، قال لها: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ وقال ليوسف: ﴿أعرض عن هذا﴾ ولا يسمعه منك أحدٌ، واكتمه ـ قال ـ فلم يكتمه يوسف، وأذاعه في المدينة حتّى قالت نسوةٌ منهنّ: ﴿امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ فبلغها ذلك، فأرسلت إليهنّ، وهيّأت لهنّ طعاماً ومجلساً، ثمّ أتتهنّ بأترج وأتت كل واحدةٍ منهنّ سكيناً، ثم قالت ليوسف: ﴿اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن﴾ ما قلن، فقالت لهنّ: ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ يعني في حبّه. وخرجت النسوة من عندها، فأرسلت كلُ واحدةٌ منهنّ إلى يوسف سرّاً من صاحبتها تسأله الزيارة فأبى عليهن، وقال: ﴿إلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾ فصرف الله عنه كيدهن. فلمّا شاع أمر يوسف وامرأة العزيز

---

(١) أقول: أرادة أمرأة الملك براءة نفسها وسجن يوسف أو عذابه وذلك لحبها له فلم ترد قتله.

والنسوة في مصر، بدا للملك بعدما سمع قول الصبي ليسجننّ يوسف، فسجنه في السجن، ودخل السجن مع يوسف فتيان، وكان من قصّتهما وقصّة يوسف ما قصّه الله في الكتاب».

قال أبو حمزة: ثمّ انقطع حديث عليّ بن الحسين عليه السلام(١).

س٤: ما هو معنى قوله تعالى:

١ ـ ﴿لولا أن رءا برهان ربه﴾؟!

٢ ـ ﴿لتنبههم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾؟!

٣ ـ ﴿وجاء وأعلى قميصه بدم كذب﴾؟!

٤ ـ ﴿قد شغفها حبا﴾؟!

الجواب/ ١ ـ قال أبو جعفر عليه السلام لبعض أصحابه: «أيّ شيءٍ يقول الناس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لولا أن رءا برهان ربه﴾»؟ قلت: يقولون: رأى يعقوب عاضّاً على إصبعه، فقال: «لا، ليس كما يقولون».

قلت: فأيّ شيء رأى؟ قال: «لمّا همَّتْ به وهَمَّ بها، قامت إلى صنم معها في البيت، فألقت عليه ثوباً، فقال لها يوسف: ما صنعت؟ قالت: طرحت عليه ثوباً، أستحي أن يرانا، فقال يوسف: فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي أنا من ربّي؟!»(٢).

٢ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: «لا يشعرون أنّك أنت يوسُف، أتاه جبرئيل وأخبره بذلك»(٣).

---

(١) علل الشرائع: ص٤٨، ح١.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٧٤، ح١٩.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٤٠.

٣ ـ قال أبو جعفر عليه السلام : «إنهم ذبحوا جدياً على قميصه»[١].

٤ ـ قال أبو جعفر عليه السلام : «قد حجبها حُبُّه عن الناس، فلا تعقِلُ غيره» والحِجاب: هو الشَّغاف، والشَّغاف: هو حِجاب القلب»[٢].

س٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ولقد همت به وهم بها﴾؟!

الجواب/ قال أبو الصَّلت الهرويّ: لمّا جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات، من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحدٌ إلا وقد ألزمه حجّته، كأنه ألقم حجراً، قام إليه علي بن محمّد بن الجهم، فقال: يا بن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: «نعم». فقال له: فما تقول في قوله عزّ وجلّ في يوسُف: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ ؟

فقال عليه السلام : «أمّا قوله تعالى في يوسُف عليه السلام : ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ فإنّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ والسوء: القتل، والفحشاء: الزنا»[٣].

وقال علي بن محمد بن الجهم: حضرتُ مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك: «إنّ الأنبياء معصومون»؟ قال: «بلى». وذكر الحديث، إلى أن قال فيه: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رءا برهان ربه﴾ .

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٤١.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٥٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١، ص١٩١، ح١.

فقال الرضا عليه السلام: «لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهمّ بذنبٍ ولا يأتيه. ولقد حدّثني أبي، عن أبيه الصادق عليه السلام، أنّه قال: همّت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل». فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن»[١].

س٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) نفس المصدر السابق: ج١، ص٢٠١، ح١.

ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا
نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ (٤٤) وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم
بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا
مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا
تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ
ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ
ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ
عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ
حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ
أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٢) ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ
لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ
أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ
خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ
مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾

[سورة يوسف: ٣٥ ـ ٥٦]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، قال أبو جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾: «فالآيات: شهادة الصبيّ، والقميصُ المخرّق من دُبر، واستباقهما الباب حتى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب، فلمّا عصاها لم تزل ملحّة بزوجها حتّى حبسه ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ يقول: عبدان للملك، أحدهما خبّازٌ،

والآخر صاحب الشراب، والذي كذب ولم ير المنام هو الخبّاز»[١].

وقال: وكّل الملك بيوسف رجلين يحفظانه، فلمّا دخلا السِّجن، قالا له: ما صناعتك؟ قال: أخبّر الرؤيا. فرأى أحد الموكَّلين في منامه، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه﴾ ولم يكن رأى ذلك، فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك ويصلبك، وتأكل الطير من رأسك. فضحك الرجل، وقال: إنّي لم أر ذلك. فقال يوسف، كما حكى الله تعالى: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ قال: «كان يقوم على المريض، ويلتمس المُحتاج، ويوسع على المحبوس». فلمّا أراد ـ من رأى في نومه يعصر خمراً ـ الخروج من الحبس، قال له يوسف: ﴿اذكرني عند ربك﴾ فكان كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ يوسف أتاه جبرئيل، فقال له: يا يوسف، إنّ ربّ العالمين يقرئك السلام، ويقول لك: مَن جعلك في أحسن خلقة؟ قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض، ثمّ قال: أنت يا ربّ، ثم قال له: ويقول لك: من حبّبك إلى أبيك دون إخوتك؟ ـ قال: ـ فصاح ووضع خدّه على الأرض، وقال: أنت يا ربّ، قال: ويقول لك: ومن أخرجك من الجُبّ بعد أن طرحت فيها، وأيقنت بالهلكة؟ قال: ويقول لك: ومن أخرجك من

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٤٤.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٤٤.

الجُبّ بعد أن طرحت فيها، وأيقنت بالهلكة؟ قال: ـ فصاح ووضع خدَّه على الأرض، ثمّ قال: أنت يا ربّ. قال: فإن ربّك قد جعل لك عقوبةً في استغاثتك بغيره ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾».

قال: «فلما انقضت المدّة، وأذن الله في دعاء الفرج، فوضع خده على الأرض، ثم قال: اللهمّ إن كانت ذنوبي قد أخلقَت وجهي عندك، فإنّي أتوجّه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب. ففرّج الله عنه».

قلت: جعلت فداك، أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال: «أدعُ بمثله: اللهمّ إن كانت ذنُوبي قد أخلقت وجهي عندك، فإنّي أتوجه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة محمدﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام»[1].

وقال علي بن إبراهيم: ثم إنّ الملك رأى رؤيا، فقال لوزرائه: إني رأيت في نومي ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ أي مهازيل، ورأيت ﴿سبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ وقرأ أبو عبد الله عليه السلام: «سبع سنابل»[2]. ثمّ قال: ﴿يا أيها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فلم يعرفوا تأويل ذلك، فذكر الذي كان على رأس الملك رؤياه التي رآها، وذكر يوسف بعد سبع سنين، وهو قوله: ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة﴾ أي بعد حين ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ فجاء إلى يوسف فقال: ﴿أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾؟

قال يوسف: ﴿تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٤٤.
(٢) انظر مجمع البيان: ج٥، ص٣٦١.

قليلا مما تأكلون﴾ أي لا يدوسوه فإنّه يفسد في طول سبع سنين، وإذا كان في سُنبله لا يفسد ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن﴾ أي سبع سنين مجاعة شديدة، يأكلن ما قدّمتم لهنّ في السبع سنين الماضية. قال الصادق عليه السلام: «إنّما نزل: ما قرّبتم لهنّ»[١].

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس فيه يعصرون﴾ أي يُمطرون.. قال أبو عبد الله عليه السلام: «قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ على البناء للفاعل، فقال: ويحك: أي شيء يعصرون، يعصرون الخمر؟! قال الرجل: يا أمير المؤمنين، كيف أقرأها؟ فقال: إنّما نزلت ﴿وفيه يعصرون﴾[٢] أي يمرون بعد سنيّ المجاعة، والدليل على ذلك، قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾»[٣].

فرجع الرجل إلى الملك فأخبره بما قال يوسف، فقال الملك: ﴿ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾ يعني إلى الملك ﴿فسئله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾ فجمع الملك النسوة، فقال لهُنّ: ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الئن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي

---

(١) انظر مجمع البيان: ج٥، ص٣٦١.

(٢) قرأ الصادق عليه السلام، والأعرج، وعيسى بن عُمر (يُعصَرون) بياء مضمومة وصاد مفتوحة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (تَعصِرون) بتاء مفتوحة وصاد مكسورة، والباقون بالياء، مجمع البيان: ج٥، ص٣٦١، النشر في القراءات العشر: ج٢، ص٢٩٥، كتاب التيسير في القراءات السبع: ص١٢٩.

(٣) النبأ: ١٤.

لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل. ثمّ قالت: ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ أي تأمر بالسوء ﴿إلا ما رحم ربي﴾ فقال الملك: ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ فلمّا نظر إلى يوسف ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ فاسأل حاجتك؟ ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يعني: على الكناديج[1] والأنابير[2]، فجعله عليها، وهو قوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾[3].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾: «حفيظ بما تحت يدي، عليم بكلّ لسان»[4].

وقال الرضا عليه السلام: «وأقبل يوسف عليه السلام على جمع الطّعام، فجمع في السبع سنين المحصنة، فكبسه في الخزائن، فلمّا مضت تلك السنون، وأقبلت السّنون المُجدبة، أقبل يوسف على بيع الطّعام، فباعهم في السّنة الأولى بالدّراهم والدّنانير، حتى لم يبق بمصر وما حولها دينارٌ ولا درهمٌ إلا صار في ملك يوسف: وباعهم في السّنة الثانية بالحُليّ والجواهر، حتى لم يبق بمصر وما حولها حليٌ ولا جواهر إلاّ صار في ملكه. وباعهم في السّنة الثالثة بالدّوابّ والمواشي، حتى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلا صار في ملكه، وباعهم في السّنة الخامسة بالدّور والعقار، حتى لم يبق بمصر وما حولها دارٌ ولا عقارٌ إلا صار في ملكه، وباعهم في السَّنة السادسة بالمزارع والأنهار، حتى لم يبق بمصر وما حولها نهرٌ ولا مزرعةٌ إلاّ صار في ملكه، وباعهم في السّنة السابعة برقابهم، حتى لم يبق بمصر وما حولها عبدٌ ولا حرٌّ

---

(١) الكُندوج: شبه المَخزَن، مُعرب كندو. «القاموس المحيط: ج١، ص٢١٢».

(٢) الأنابير: جمع أنبار: أكداس الطعام. «تاج العروس ـ نبر ـ ج٣، ص٥٥٣».

(٣) تفسير القمّي: ج١، ص٣٤٥.

(٤) علل الشرائع: ص١٢٥، ح٤.

إلا صار عبداً ليوسف. فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم، وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أُعطي هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً.

ثمّ قال يوسف للملك: أيها الملك، ما ترى فيما خوّلني ربّي من ملك مصر وما حولها؟ أشر علينا برأيك، فإنّي لم أصلحهم لأفسدهم ولم أُنجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم، ولكنّ الله تعالى أنجاهم على يدي. قال الملك: الرأي رأيك.

قال يوسف: إني أشهد الله وأشهدك أيها الملك إني قد أعتقت أهل مصر كلُّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددتُ عليك أيّها الملك خاتمك[1] وسريرك وتاجك، على أن لا تسير إلاّ بسيرتي، ولا تحكم إلاّ بحكمي.

قال له الملك: إنّ ذلك لزيني وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك، ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له، ولقد جعلت سلطاني عزيزاً لا يرام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّك رسوله، فأقم على ما وليتك، فإنك لدينا مكينٌ أمينٌ»[2].

❁ س٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة يوسف: ٥٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): أخبر الله تعالى أن الثواب الذي يثيب الله به الذين يؤمنون به ويتقون معاصيه في الآخرة، وهي النشأة الثانية، فإن الدنيا هي النشأة الأولى والآخرة خير وأعظم نفعاً من منافع

---

(١) في «ط»: عليك المُلك وخاتمك.

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص٣٧٢.

الدنيا التي تنالها الكفار.

وقيل: أجر الآخرة خير من ثواب الدنيا...[1].

س٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ
إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ
ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ
كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ
ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى
عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ
قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم

(١) التبيان: ج٦، ص١٥٩.

بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا
لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ
كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ
كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ
نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ
أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا
شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ
أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ
خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ
ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ
ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ
سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ
ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

[سورة يوسف: ٥٨ ـ ٨٢]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: فأمر يوسف أن تُبنى كناديج من صخر، وطيّنها بالكلس، ثم أمر بزروع مصر، فحصدت، ودفع إلى كلّ إنسان حصّةً، وترك الباقي في سنبله، ولم يدسه، ووضعها في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين.

فلمّا جاءت سنيّ الجدب، كان يخرج السنبل، فيبيع بما شاء، وكان بينه وبين أبيه ثمانية عشر يوماً ـ وروي أثني عشر يوماً ـ وكانوا في باديةٍ، وكان الناس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليمتاروا طعاماً، وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيها مُقْل[1]، فأخذ إخوة يوسف ذلك المُقل، وحملوه إلى مِصر، ليمتاروا طعاماً، وكان يوسف يتولّى البيع بنفسه، فلما دخل إخوته عليه، عرفهم ولم يعرفوه، كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم﴾ فأعطاهم، وأحسن إليهم في الكيل، قال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نحن بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، خليل الله الذي ألقاه نمرود في النار فلم يحترق، وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، قال: «فما فعل أبوكم» قالوا: شيخٌ ضعيفٌ، قال: «فلكم أخٌ غيركم»؟ قالوا: لنا أخٌ من أبينا، لا من أمّنا. قال: «فإذا رجعتم إليّ فائتوني به» وهو قوله: ﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾.

ثمّ قال يوسف لقومه: «ردّوا هذه البضاعة التي حملوها إلينا، واجعلوها فيما بين رحالهم، حتى إذا رجعوا إلى منازلهم ورأوها، رجعوا إلينا وهو قوله: ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾ يعني: كي يرجعوا: ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون﴾ فقال يعقوب: ﴿هل ءامنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾ في رحالهم

---

(١) المُقْل: ثَمَرُ الدّوم، الدّوم: شجرٌ عظام من الفصيلة النخليّة، يكثُرُ في صعيد مصر وبلاد العرب. «الصحاح ـ مقل ـ ج٥، ص١٨٢٠، المعجم الوسيط ـ دوم ـ ج١، ص٣٠٥».

التي حملوها إلى مصر ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ أي ما نريد ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ فقال يعقوب: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما ءاتوه موثقهم قال﴾ يعقوب: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ فخرجوا، وقال لهم يعقوب: ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ إلى قوله ﴿لا يعلمون﴾[1].

وقال الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال: «الزارعون»[2].

وقال أبو جعفر عليه السلام: فخرجوا وخرج معهم بنيامين، فكان لا يواكلهم ولا يجالسهم ولا يكلّمهم، فلمّا وافوا مصر، ودخلوا على يوسف وسلّموا، نظر يوسف إلى أخيه فعرفه، فجلس منهم بالبُعد. فقال يوسف: «أنت أخوهم؟». قال: نعم. قال: فلمَ لا تجلس معهم؟» قال: لأنّهم أخرجوا أخي من أبي وأُمي، فرجعوا ولم يرُدّوه، وزعموا أنّ الذئب أكله، فآليتُ على نفسي ألاّ أجتمع معهم على أمرٍ ما دمتُ حيّاً.

قال: «فهل تزوّجت؟» قال: بلى، قال: «فوُلد لك ولد؟» قال: بلى، قال: «كم ولد لك؟» قال: ثلاث بنين. قال: «فما سمّيتهم؟» قال: سمّيتُ واحداً منهم الذئب، وواحداً القميص، وواحداً الدّم. قال: «وكيف اخترتَ هذه الأسماء؟» قال: لئلاّ أنسى أخي، كلما دعوتُ واحداً من ولدي ذكرتُ أخي، قال يوسف لهم: «أُخرجوا» وحبس بنيامين عنده.

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣، ص١٦٠، ح٧٠٣، والآية من سورة إبراهيم: ١٢.

فلمّا خرجوا من عنده، قال يوسف لأخيه: «أنا أخوك يوسف﴿ فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ ». ثم قال له: «أنا أحبّ أن تكون عندي». قال: لا يدعني إخوتي، فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن يردّوني إليه. قال: فأنا أحتالُ بحيلةٍ، فلا تنكر إذا رأيت شيئاً، ولا تخبرهم». فقال: لا. ﴿ فلما جهزهم بجهازهم﴾ وأعطاهم وأحسن إليهم، قال لبعض قوّامه: «اجعلوا هذا الصاع في رحل هذا». وكان الصاعُ الذي يكيلون به من ذهبٍ، فجعلوه في رحله، من حيث لم يقف عليه إخوته. فلمّا ارتحلوا، بعث إليهم يوسف وحبهم، ثم أمر منادياً ينادي: ﴿ أيتها العير إنكم لسارقين﴾ . فقال إخوة يوسف: ﴿ ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ أي كفيل[1].

وقال أبو جعفر الباقرعَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى﴿ صواع الملك﴾ طاسه الذي يشربُ فيه»[2].

وقال أبو عبد اللهعَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿ صواع الملك﴾ : «كان قدحاً من ذهب ـ وقال ـ كان صواع يُوسف إذا كيل به قال: لعن الله الخوّان، ولا تخونوا به، بصوتٍ حسن»[3].

نرجع إلى الرواية السابقة: فقال إخوة يوسف: ﴿ تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين﴾ ، قال يوسفعَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾ فخذه واحبسه﴿ فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٤٨.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص١٨٥، ح٥١.

(٣) نفس المصدر: ج٢، ص١٨٥، ح٥٢.

فتشبثوا بأخيه وحبسوه، وهو قوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي احتلنا له: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾

فسئل الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿أيها العير إنكم لسارقون﴾. قال: «ما سرقوا، ما كذب يوسف عليه السلام فإنما عنى سرقتم يوسف من أبيه».

وقوله: ﴿أيتها العير﴾ أي يا أهل العير، ومثله قولهم لأبيهم: ﴿وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ يعني: أهل العير. فلما أخرج ليوسف الصواع من رحل أخيه، قال إخوته: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون يوسف عليه السلام: فتغافل يوسف عليهم، وهو قوله: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون﴾[(١)].

وقال الحسن بن عليّ الوشّاء: سمعتُ علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «كانت الحكومة في بني إسرائيل، إذا سرق أحدٌ شيئاً استُرِقَ به، وكان يوسف عليه السلام عند عمّته وهو صغيرٌ، وكانت تحبّه، كانت لإسحاق عليه السلام منطقة ألبسها يعقوب، وكانت عند ابنته، وإن يعقوب طلب يوسف أن يأخذه من عمته، فاغتمّت لذلك، وقالت له: دعه حتى أرسله إليك فأرسلته وأخذت المنطقة فشدُّتها في وسطه تحت الثياب، فلما أتى يوسف أباه، جاءت وقالت: سرقت المنطقة، ففتّشته، فوجدتها في وسطه. فلذلك قال إخوة يوسف حيث جعل الصاع في وعاء أخيه: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ فقال لهم يوسف: فما جزاء من وجدنا في رحله؟ قالوا: هو جزاؤه. كما جرت السّنّة التي تجري فيهم، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، ثمّ استخرجها من وعاء

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٤٨.

أخيه، ولذلك قال إخوةُ يوسف: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون المنطقة: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾»[١].

نرجع إلى الرواية قال: فاجتمعوا إلى يوسف، وجلودهم تقطر دماً أصفر، فكانوا يجادلونه في حبسه ـ وكان ولد يعقوب إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر ويقطر من رؤوسها دم أصفر ـ وهم يقولون: ﴿يأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين﴾ فأطلق عن هذا، فلمّا رأى يوسف ذلك، قال: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾ ولم يقل: إلاّ من سرق متاعنا ﴿إنا إذا لظالمون فلما استيئسوا منه﴾ وأرادوا الانصراف إلى أبيهم، قال لهم لاوي بن يعقوب: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ في هذا ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ فارجعوا أنتم إلى أبيكم، فأمّا أنا، فلا أرجع إليه ﴿حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾ ثمّ قال لهم: ﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يأبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ أي أهل القرية وأهل العير ﴿وإنا لصادقون﴾.

قال: فرجع إخوةُ يوسف إلى أبيهم وتخلّف يهودا[٢]، فدخل على يوسف، فكلّمه حتى ارتفع الكلام بينه وبين يوسف وغضب، وكانت على كتف يهودا شعرةٌ، فقامت الشعرة فأقبلت تقذف بالدّم، وكان لا يسكن حتى يَمسّه بعض أولاد يعقوب ـ قال ـ وكان بين يدي يوسف ابنٌ له، في يده رُمّانة من ذهبٍ يلعب بها، فلمّا رأى يوسف أن يهودا قد غضب وقامت الشعرة تقذف بالدّم، أخذ الرُمّانة من الصبيّ، ثمّ دحرجها نحو يهودا وتبعها الصبيّ

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص٧٦، ح٦.

(٢) وقيل أنّه: لاوي.

ليأخذها، فوقعت يدُه على يهودا، فذهب غضبه. قال: فارتاب يهودا، ورجع الصّبي بالرُّمّانة إلى يوسف، ثمّ ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا، وقامت الشعرة تقذف بالدّم، فلمّا رأى ذلك يوسف دحرج الرُّمّانة نحو يهدا فتبعها الصّبيّ ليأخذها، فوقعت يده على يهودا، فسكن غضبه، وقال: إنّ في البيت لمن ولد يعقوب. حتى صنع ذلك ثلاث مرّات[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾: «كان يوسف يوسّع المجلس، ويستقرض للمُحتاج، ويعين الضعيف»[2].

س٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٤٩.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٦٥، ح٣.

عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة يوسف: ٨٣ ـ ١٠١]؟!

الجواب/ نرجع إلى رواية عليّ بن إبراهيم قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا رجع إخوةُ يوسف إلى أبيهم، وأخبروه بخبر أخيهم، قال يعقوب: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم﴾ ثمّ ﴿تولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن﴾ يعني عميتا من البكاء ﴿فهو كظيم﴾ أي محزون، والأسف أشدّ الحزن.

وسئل أبو عبد الله عليه السلام: ما بلغ من حُزن يعقوب على يوسف؟ قال: «حزن سبعين ثكلى بأولادها ـ وقال ـ إنّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع، ومن

هنا قال: ﴿يا أسفي على يوسف﴾ فقالوا له: ﴿تالله تفتؤا تذكر يوسف﴾ أي لا تفتؤ عن ذكر يوسف ﴿حتى تكون حرضا﴾ أي ميتاً ﴿أو تكون من الهالكين قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾»[(١)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام قال: «قدِم أعرابيّ على يوسف عليه السلام ليشتري منه طعاماً، فباعه فلمّا فرغ قال له يوسف عليه السلام: أين منزلك؟ قال له: بموضع كذا وكذا. فقال له: فإذا مررت بوادي كذا وكذا، فقف وناد: يا يعقوب، يا يعقوب، فإنّه سيخرج لك رجلٌ عظيمٌ جميلٌ وسيمٌ، فقل له: لقيت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ وديعتك عند الله عزّ وجلّ لن تضيع».

قال: «فمضى الأعرابيّ حتى انتهى إلى الموضع، فقال لغلمانه: احفظوا عليّ الإبل. ثمّ نادى: يا يعقوب، يا يعقوب. فخرج إليه رجل أعمى طويلٌ جسيمٌ جميلٌ يتقي الحائط بيده حتى أقبل، فقال له الرجل: أنت يعقوب؟ قال: نعم، فأبلغه ما قال يوسف، فسقط مغشيّاً عليه، ثمّ أفاق، وقال للأعرابي: يا أعرابي، ألك حاجةٌ إلى الله عزّ وجلّ؟ فقال له: نعم، إني رجل كثيرُ المال، ولي ابنة عمّ ليس يولد لي منها، وأحبُّ أن تدعو الله أن يرزقني ولداً. ـ قال ـ فتوضّأ يعقوب، وصلّى ركعتين، ثمّ دعا الله عزّ وجلّ، فرزق أربعة بطون ـ أو قال: ستّة أبطن ـ في كل بطن اثنان.

فكان يعقوب عليه السلام يعلم أن يوسف عليه السلام حيّ لم يمت، وأنّ الله تعالى ذكره سيُظهره له بعد غيبته، وكان يقول لبنيه: ﴿إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وكان بنوه وأهله وأقرباؤه يفنّدونه على ذكره ليوسف، حتى إنه لمّا وجد ريح يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٥٠.

إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير﴾ وهو يهودا ابنه، فألقى قميص يوسف ﴿على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾»[١].

نرجع إلى رواية عليّ بن إبراهيم: قال عليه السلام: «فلمّا ولّى الرسول إلى الملك بكتاب يعقوب، رفع يعقوب يديه إلى السّماء فقال: يا حسن الصُحبة، يا كريم المعونة، يا خير كلمة، ائتني بروحٍ منك وفرج من عندك. فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا يعقوب، ألا أعلّمك دعواتٍ يردّ الله عليك بصرك وابنيك؟ قال: نعم. قال: قل: يا من لا يعلم أحدٌ كيف هو إلاّ هو، يا من سدّ السّماء بالهواء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروحٍ منك وفرجٍ من عندك. قال: فما انفجر عمود الصبح، حتى أتي بالقميص فَطُرح عليه، وردّ الله عليه بصره وولده».

قال: «ولمّا أمر الملك بحبس يوسف في السجن، ألهمه الله تأويل الرّؤيا. فكان يُعبّر لأهل السجن، فلمّا سأله الفتيان الرُؤيا: وعبّر لهما، وقال للّذي ظنّ أنّه ناج منهما: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[٢]. ولم يفزع في تلك الحالة إلى الله، فأوحى الله إليه: من أراك الرُؤيا التي رأيتها؟ قال يوسف: أنت يا ربّ. قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن وجّه إليك السيّارة التي رأيتها؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن علّمك الدعاء الذي دعوت به حتّى جعلتُ لك من الجُبّ فرجاً؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن أنطق لسان الصّبي بعذرِك؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فمن ألهمك تأويل الرّؤيا؟ قال: أنت يا ربّ. قال: فكيف استعنت بغيري ولم تستعن بي، وأمّلت عبداً من عبيدي

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص١٤١، ح٩.

(٢) يوسف: ٤٢.

ليذكرك إلى مخلوقٍ من خلقي وفي قبضتي، ولم تفزع إليّ؟ فالبث في السجن بضع سنين.

فقال يوسف: أسألك بحقّ آبائي عليك إلاّ فرّجت عنّي. فأوحى الله إليه: يا يوسف وأيُّ حقٍّ لآبائك عليّ، إن كان أبوك آدم، خلقتُه بيدي، ونفختُ فيه من روحي، وأسكنتُه جنّتي، وأمرتُه أن لا يقرب شجرةً منها، فعصاني وسألني فتبتُ عليه وإن كان أبوك نوح، انتجبتُه من بين خلقي، وجعلته رسولاً إليهم، فلمّا عصوا دعاني فاستجبت له فأغرقتُهم وأنجيتُه ومن معه في الفُلك، وإن كان أبوك إبراهيم، اتّخذتُه خليلاً، وأنجيتُه من النار، وجعلتُها عليه برداً وسلاماً، وإن كان أبوك يعقوب، وهبتُ له اثني عشر ولداً، فغيّبتُ عنه واحداً، فما زال يبكي حتّى ذهب بصره، وقعد على الطريق يشكوني إلى خلقي، فأيّ حقّ لآبائك عليّ؟

قال: «فقال له جبرئيل: يا يوسف، قل: أسألك بمنّك العظيم، وإحسانك القديم، ولطفك العميم، يا رحمن يا رحيم. فقالها، فرأى الملك الرؤيا فكان فرجه فيها»[1].

وقال عليه السلام: «ثمّ رحل يعقوب وأهله من البادية، بعدما رجع إليه بنوه بالقميص، فألقوه على وجهه فارتد بصيراً، فقال له: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ قال: أخّرهُم إلى السَّحَر، لأنّ الدعاء والاستغفار فيه مستجاب.

فلمّا وافى يعقوب وأهله وولده مصر، قعد يوسف على سريره، ووضع

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٥٢.

تاج الملك على رأسه، فأراد أن يراه أبوه على تلك الحالة، فلمّا دخل أبوه لم يقم له، فخرّوا له كلُّهم سُجّداً، فقال يوسف: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾»[١].

ثمّ قال عليّ بن إبراهيم: وحدّثني محمد بن عيسى، أنّ يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى مسائل، فعرضها على أبي الحسن عليه السلام، وكان أحدُها: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا﴾ أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟

فأجاب أبو الحسن عليه السلام: «أمّا سجود يعقوب وولده ليوسف، فإنّه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعةً لله، وتحيّةً ليوسف، كما كان السُّجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم، وإنّما كان ذلك منهم طاعةً لله وتحيّةً لآدم، فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم، ألم تر أنّه يقول في شُكره ذلك الوقت: ﴿رب قد ءاتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾.

فنزل عليه جبرئيل، فقال له: يا يوسف، اخرج يدك، فأخرجها فخرج من بين أصابعه نورٌ، فقال: ما هذا النور، يا جبرئيل؟ فقال: هذه النبوّة، أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم لأبيك. فحطّ الله نوره، ومحا النبوّة من صلبه، جعلها في ولد لاوي أخي يوسف، وذلك لأنّهم لما أرادوا قتل يوسف قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾[٢] فشكر الله له ذلك، ولمّا

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٥٥.
(٢) يوسف: ١٠.

أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه، قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾(١) فشكر الله له ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي، وكان موسى من ولده، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن واهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

فقال يعقوب لابنه: يا بُنيّ أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي؟ قال: يا أبتِ اعفني من ذلك. قال: فأخبرني ببعضه، فقال: يا أبت، إنّهم لمّا أدنوني من الجُبّ قالوا: انزَع قميصك. فقلت لهم: يا إخوتي، اتّقوا الله ولا تُجرّدوني. فسَلّوا عليّ السِّكّين، وقالوا: لئن لم تنزع لنذبحنّك. فنزعتُ القميص، فألقوني في الجُبّ عُرياناً ـ قال ـ فشهِق يعقوبُ شهقةً وأغمي عليه، فلمّا أفاق، قال: يا بُنيّ حدثني فقال: يا أبتِ، أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلاّ أعفيتني. فأعفاه»(٢).

ثُمّ قال: «ولمّا مات العزيز ـ وذلك في السنين المُجدبة ـ افتقرت امرأةُ العزيز واحتاجت حتّى سألت الناس، فقالوا لها: ما يضرُّك لو قعدت للعزيز ـ وكان يوسف يُسمّى العزيز ـ فقالت: أستَحي منه، فلم يزالوا بها حتى قعدت له على الطريق فأقبل يوسُفُ في موكبه، فقامت إليه، وقالت: سُبحانَ من جعل الملوك بالمعصيَة عبيداً، وجعل العبيد بالطاعةِ ملوكاً.

فقال لها يُوسف: أنتِ هاتيك؟ فقالت: نعم ـ وكان اسمُها زَليخا ـ فقال لها: هل لك فيّ؟ قالت: أنّى! بعدما كبرتُ، أتهزأ بي؟ قال: لا. فأمر بها، فحوّلت إلى منزله، وكانت هرمةً، فقال لها يوسف: ألستِ فعلتِ بي كذا وكذا؟

---

(١) يوسف: ٨٠.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٥٦.

فقالت: يا نبيّ الله، لا تلُمني، فإنّي بُليتُ ببليّةٍ لم يُبلَ بها أحدٌ.

قال: وما هي؟ قالت: بُليتُ بحبّك، ولم يخُلقِ الله لك في الدُنيا نظيراً، وبُليتُ بأنّه لم تكن بمصر امرأةٌ أجمل منّي، ولا أكثر مالاً منّي، نُزع عنّي مالي وذهب عنّي جمالي، وبُليتُ بزوج عنّينٍ.

فقال لها يوسف: وما حاجتُك؟ قالت: تسأل الله أن يرُدّ عليّ شبابي، فسأل الله، فردّ عليها شبابها، فتزوّجها وهي بِكر». قالوا: إنّ العزيز الذي كان زوجها أوّلاً كان عنّيناً(١).

❁ س١٠: ما هو معنى قوله تعاليك

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٢-١٠٥]

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ قال الله لنبيه: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ ثمّ قال: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾.

قال: وقوله تعالى: ﴿وكأين من ءاية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ قال: الكُسوف والزّلزلة والصّواعق(٢).

❁ س١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٦]؟!

الجواب/ وردت روايات عديدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام في معنى

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٥٧. (٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٥٧.

هذه الآية نذكر منها:

١ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «يطيع الشيطان من حيث لا يعلم، فيُشرك»[١].

٢ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: «شِركُ طاعةٍ وليس شركَ عبادةٍ، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعةٍ، أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة، أن يعبدوا غير الله»[٢].

٣ ـ قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «من ذلك قولُ الرجل: لا، وحياتك»[٣].

٤ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «كانوا يقولون: نُمطَر بنوءِ[٤] كذا، وبنوء كذا لا نُمطر. ومنهم أنهم كانوا يأتون الكُهّان فيصدّقونهم بما يقولون»[٥].

٥ ـ قال الرضا عليه السلام: «شركٌ لا يبلغُ به الكُفر»[٦].

٦ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو الرجل يقول: لولا فلان لهلكتُ، ولولا فلان لأصبتُ كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنّه قد جعل لله شريكاً في مُلكه، يرزُقُه ويدفع عنه».

---

(١) الكافي: ج٢، ص٢٩٢، ح٣.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٥٨.

(٣) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٩٩، ح٩٠.

(٤) النوء: سُقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كلّ ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحرّ والبرد إلى الساقط منها، وقال الأصمعي: إلى الطالع منها في سُلطانه، فتقول: مطرنا بنوء كذا، والجمع، أنواء ونوآن. «الصحاح ـ نوأ ـ ج١، ص٧٩».

(٥) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٩٩، ح٩١.

(٦) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص١٩٩، ح٩٢.

قال: قلتُ: فيقول: لولا أنّ الله منَّ عليّ بفلان لهلكتُ؟ قال: «نعم، لا بأس بهذا»(١).

س١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧﴾ [سورة يوسف: ١٠٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسيّ (رحمه الله تعالى): هذا خطاب لهؤلاء الكفار الذين ذكرهم بأنهم لا يؤمنون إلاّ وهم مشركون، وتوبيخ لهم وتعنيف، وإن كان متوجهاً إلى غيرهم، فهم المعنون به، يقول: أفآمن هؤلاء الكفار أن تجيئهم غاشية من عذاب، وهو ما يتغشاهم من عذابه. والغاشية ما يتجلل الشيء بانبساطها عليه، يقال: غشيه يغشاه، فهو غاش، وهي غاشية أو: تجيأهم القيامة بغتة أي فجأة. والبغتة والفجأة والغفلة نظائر، وهي مجيء الشيء من غير تقدمة. قال يزيد بن مقسم الثقفي:

ولكنهم باتوا ولم أدر بغتة
وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

والساعة مقدار من الزمان معروف، وسمي به القيامة لتعجيل أمرها، كتعجيل الساعة.

وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ معناه لا يعلمون بمجيئه، فلذلك كان بغتة. والشعور إدراك الشيء بما يلطف، كدقة الشعر يقال: شعر به يشعر شعوراً وأشعره بالأمر إشعاراً، ومنه اشتقاق الشاعر لدقة فكره(٢).

---

(١) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص٢٠٠، ح٩٦.

(٢) التبيان: ج٦، ص٢٠٤.

س١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام.

«يعني علياً عليه السلام أوّل من اتّبعه على الإيمان به والتصديق له بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ، من الأُمّة التي بعث فيها ومنها وإليها قبل الخلق، ممّن لم يشرك بالله قطّ، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشّرك»(١).

وقال علي بن أسباط: قلتُ لأبي جعفر الثاني عليه السلام: يا سيّدي، إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنّك.

قال: «وما يُنكرون عليّ من ذلك؟ فوالله لقد قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ فما اتّبعه غير عليّ عليه السلام وكان ابن تسع سنين ـ قال ـ وأنا ابن تسع سنين»(٢).

وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي﴾ يعني نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام [و] من تبعه: آلُ محمّد»(٣).

وسأل رجل عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين: ما تفسير (سبحان الله)؟

فقال: إنّ في هذا الحائط رجلاً كان إذا سئل أنبأ، وإذا سكت ابتدأ(٤).

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٤، ح١.

(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٥٨. وأبو جعفر الثاني عليه السلام هو الإمام محمد الجواد عليه السلام.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٧٢.

(٤) في «ط»: أنبأ.

فدخل الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن ما تفسير ﴿سبحان الله﴾؟ قال: «هو تعظيم جلال الله عزّ وجلّ. وتنزيهه عمّا قال فيه كلّ مُشركٍ، فإذا قالها العبد صلّى عليه كلّ ملك»(١).

❁ س١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٩]؟!

الجواب/ قال الصادق جعفر ابن محمّد عليهما السلام - في حديث - قال فيه مُخاطباً: «أو لستَ تعلم أنّ الله تعالى لم يُخلِ الدنيا من نبيّ قطّ أو إمام من البشر؟ أو ليس الله تعالى يقول: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ يعني إلى الخلق: ﴿إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾؟ فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض، فيكونوا أئمّةً وحكّاماً، وإنّما أرسلوا إلى أنبياء الله»(٢).

❁ س١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة يوسف: ١١٠]؟!

الجواب/ قال عليّ بن محمد بن الجهم: حضرتُ مجلس المأمون وعنده الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: «بلى» - وذكر الحديث إلى أن قال فيه - فقال المأمون لأبي الحسن عليه السلام: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حتى إذا

---

(١) التوحيد: ص٣١١، ح١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٧٠، ح١.

استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ .

قال الرضا عليه السلام : «يقول الله تعالى حتّى إذا استيأس الرسُل من قومهم، وظنّ قومهم أنّ الرُسُل قد كذبوا، جاء الرُسُل نصرُنا»(١) .

وقال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام في قول الله: ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ . مخفّفة، قال: «ظنّت الرسل أنّ الشياطين تمثّل لهم على صُورة الملائكة»(٢) .

وقال أبو عبد الله عليه السلام : «وكَلَهم الله إلى أنفسهم أقلّ من طرفة عين»(٣) .

❁ س١٦ : ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة يوسف: ١١١]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ يعني لأولي العقول: ﴿ ما كان حديثا يفترى﴾ يعني القرآن ﴿ لكن تصديق الذي بين يديه﴾ يعني من كتُب الأنبياء ﴿ وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾(٤) .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج١، ص٢٠١، ح١.

(٢) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص٢٠١، ح١٠٢.

(٣) تفسير العيّاشيّ: ج٢، ص٢٠١، ح١٠٣.

(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٥٨.

تفسير
سورة الرعد

رقم السورة ـ ١٣ ـ

سورة الرعد

❁ س١: ما هو فضل سورة الرعد؟!

الجواب/ ١ ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «من أكثر قراءة سورة الرّعد لم تُصبه صاعقةٌ أبداً، وإن كان ناصبيّاً، فإنّه لا يكون أشرّ من الناصب، وإن كان مؤمناً أدخله الله الجنّة بغير حسابٍ، ويُشفّع في جميع مَن يعرفُ من أهل بيته وإخوانه من المؤمنين»[١].

٢ ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «من كتبها في ليلةٍ مُظلمةٍ بعد صلاة العتمة، وجعلها مِن ساعته على باب السُلطانِ الجائر الظالم، قام عليه عسكرهُ ورعيّته، فلا يُسمع كلامُه، ويقصُر عُمُره وقوله، ويضيق صدره. وإن جُعلت على باب ظالمٍ أو كافرٍ أو زنديقٍ، فهي تُهلكُه بإذن الله تعالى»[٢].

❁ س٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [سورة الرّعد: ١]؟!

الجواب/ قال سفيان بن سعيد الثّوري: قلت لجعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام: يا بن رسول الله، ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿المر﴾؟

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٢، ح١.
(٢) خواص القرآن: ص٤٢ «مخطوط».

قال: ﴿المر﴾ معناه: أنا الله المُحيي المميت الرزّاق»[١].

وقال أبو جعفر عليه السلام لأبي لبيد: «يا أبا لبيد، إنّ في حروف القرآن لعلماً جمّاً، إنّ الله تبارك وتعالى أنزل ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[٢] فقام محمّد صلى الله عليه وآله حتّى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين، ثمّ قال: ـ وتبيانه في كتاب الله في الحروف المُقطّعة إذا عددتها من غير تكرارٍ، وليس من حرُوف مقطّعة حرف تنقضي أيّامه إلاّ وقائم من بني هاشم عند انقضائه ـ ثمّ قال ـ الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد ستون، فذلك مائة وإحدى وثلاثون، ثمّ كان بدء خروج الحسين بن علي عليه السلام: ﴿الٓمٓ ٱللَّهُ﴾[٣] فلمّا بلغت مُدّتها قام قائمٌ من وُلد العباس عند ﴿الٓمٓصٓ﴾[٤] ويقوم قائمُنا عند انقضائها. ﴿المر﴾ فافهمَ ذلك وعه واكتمه»[٥].

❁ س٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [سورة الرّعد: ٢]؟!

الجواب/ قال الحسين بن خالد: قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾[٦]. فقال: «هي محبوكةٌ إلى الأرض» وشبّك بين أصابعه.

فقلتُ كيف تكون محبوكةً إلى الأرض، والله يقول: ﴿رفع السموات

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٢، ح١.
(٢) البقرة: ١ ـ ٢.
(٣) آل عمران: ١ ـ ٢.
(٤) الأعراف: ١.
(٥) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٢، ح٢.
(٦) الذاريات: ٧.

بغير عمد ترونها﴾؟ فقال: «سبحان الله! أليس الله يقول: ﴿بغير عمد ترونها﴾؟» فقلت: بلى. فقال عليه السلام: «ثمّ عمدٌ، ولكن لا ترونها».

قلتُ: كيف ذلك، جعلني الله، فداك؟ قال: فبسط كفّه اليسرى، ثمّ وضع اليمنى عليها، فقال: «هذه أرض الدنيا، والسماء الدنيا عليها فوقها قُبّة، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا، والسّماء الثانية فوقها قُبّة، والأرض الثالثة فوق السّماء الثانية، والسّماء الثالثة فوقها قُبّة، والأرض الرابعة فوق السّماء الثالثة، والسماء الرابعة فوقها قُبّة، والأرض الخامسة فوق السّماء الرابعة، والسّماء الخامسة فوقها قُبّة، والأرض السادسة فوق السّماء الخامسة، والسّماء السادسة فوقها قُبّة، والأرض السابعة فوق السّماء السادسة، والسماء السابعة فوقها قُبّة، وعرشُ الرحمن تبارك وتعالى فوق السّماء السابعة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿خلق سبع سماوات﴾ طباقاً ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[١] فأمّا صاحبُ الأمر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، والوصيُّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائم على وجه الأرض، فإنّما يتنزّل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات والأرضين».

قلت: فما تحتنا إلاّ أرضٌ واحدةٌ؟ فقال: «ما تحتنا إلاّ أرض واحدة، وإنّ الستّ لهُنّ فوقنا»[٢].

س٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾

[سورة الرعد: ٣]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطوسي (رحمه الله تعالى): ذكر الله تعالى في الآية

---

(١) الطلاق: ١٢. (٢) تفسير القمي: ج٢، ص٣٢٨.

الأولى بالسماء والشمس والقمر، لأن أكثر ما في العالم متعلق بذلك وجار مجراه كالنبات والحرث والنسل، ثم ذكر في هذه الآية الأرض وتدبيره لها على ما فيه من المصلحة لينبه بذلك من ذهب عن الاستدلال به على حكمته تعالى، وتوحيده، فقال: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ يعني بسطها طولاً وعرضاً ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني جبالاً راسيات ثابتات، يقال: رسي هذا الوتد وأرسيته.

وواحد (الرواسي) راسية ﴿وأنهارا﴾ أي وخلق فيها أنهاراً يجري المياه فيها ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ ثم ابتدأ فقال: وجعل فيها من جميع الثمرات زوجين أي ضربين. قال الحسن يعني لونين من كل ما خلق من البنات. والزوج يكون واحداً ويكون اثنين، وههنا واحد.

وقريش تقول: للأنثى زوج وللذكر زوج قال الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] لآدم.

ومعنى ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي يجلل الليل النهار والنهار الليل. والمعنى أنه يذهب كل واحد منهما بصاحبه ومثله ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[2] والمعنى أن أحدهما يذهب الآخر. ثم أخبر تعالى أن فيما ذكره من الدلالات لآيات واضحات لمن فكر، واعتبر بها، لأن من لم يفكر فيها ولم يعتبر، كأنه لا آية له.

وقوله ﴿زوجين اثنين﴾ إنما أكد بـ﴿اثنين﴾ وإن كان قوله ﴿زوجين﴾ أفاد العدد لأمرين:

١ ـ على وجه التأكيد وهو مستعمل كثيراً.

---

(١) البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩.

(٢) الزمر: ٥.

٢ ـ أن الزوجين قد يقع على الذكر والأنثى، وعلى غيرهما، فأراد أن يبين أن المراد به ههنا لونين أو ضربين دون الذكورة والأنوثة، وذلك فائدة لا يفيدها قوله: ﴿زوجين﴾ فلا تكرار فيه بحال...»[1].

❁ س٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ [سورة الرّعد: ٤ ـ ٦]؟!

الجواب/ عن الخطّاب الأعور، رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمّد (عليه وآله السلام)، قال: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ يعني: هذه الأرض الطيّبة مجاورة لهذه الأرض المالحة وليست منها، كما يجاور القوم القوم وليسوا منهم»[2].

وقال عليّ بن إبراهيم: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي متّصلة بعضها ببعض ﴿وجنات من أعناب﴾ أي بساتين ﴿وزرع ونخيل صنوان﴾ والصّنوان: التّالة[3] التي تنبت من أصل الشجرة ﴿وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ فمنه حلوٌ، ومنه حامضٌ، ومنه

---

(١) التبيان: ج٦، ص٢١٥ ـ ٢١٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٣، ح٤.

(٣) التالُ: صغار النّخل. «المعجم الوسيط ـ تال ـ ج١، ص٩٠».

مرٌّ، يُسقى بماءٍ واحدٍ ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

ثم حكى الله عزّ وجلّ قول الدّهرية من قريش، فقال: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا ترابا أءنا لفي خلق جديد﴾ ثمّ قال: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وكانوا يستعجلون بالعذاب، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أي العذاب(١).

وقال إبراهيم بن العبّاس: كنّا في مجلس الرضا عليه السلام فتذاكرنا الكبائر، وقول المعتزلة فيها: إنّها لا تغفر، فقال الرضا عليه السلام: «قال أبو عبد الله عليه السلام: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله جلّ جلاله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾(٢).

❁ س٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [سورة الرّعد: ٧]؟!

الجواب/ قال الحسن عليه السلام: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، فقال بعد ما حمِد الله وأثنى عليه:

معاشِر الناس، كأني أُدعى فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثَّقَلَين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم، ولا تعلموهم فإنّهم أعلمُ منكم، لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت إذن لساخت بأهلها.

---

(١) تفسير القمّي: ج٢، ص٣٥٩.

(٢) التوحيد: ص٤٠٦، ح٤.

ثم قال عليه السلام: اللهمّ إني أعلم أنّ العلم لا يبيد ولا ينقطع، وأنك لا تخلي الأرض من حجّةٍ لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائفٍ مغمورٍ، كي لا تبطُل حجّتك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهُم، أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون قدراً عند الله.

فلمّا نزل عن منبره قلت له: يا رسول الله، أما أنت الحُجّة على الخلق كلّهم؟ قال: يا حسن، إنّ الله يقول: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ فأنا المنذر، وعليٌّ الهادي.

قلت: يا رسول الله، فقولك: إنّ الأرض لا تخلو من حُجّةٍ؟ قال: نعم، عليّ هو الإمام والحجّة بعدي، وأنت الإمام والحُجّة بعده، والحسين الإمام والحجّة والخليفة بعدك، ولقد نبّأني اللطيف الخبير أنّه يخرُج من صلب الحسين ولدٌ يقال له عليّ سميّ جدّه عليّ، فإذا مضى الحسين قام بالأمر بعده علي ابنه، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويُخرِجُ الله من صلب علي ولداً سميّ، وأشبه الناس بي علمه علمي، وحكمه حكمي، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب محمّدٍ مولوداً يقال له جعفر، أصدق الناس قولاً وفعلاً، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويُخرج الله تعالى من صُلب جعفر مولوداً يقال له موسى، سميّ موسى بن عمران عليه السلام، أشدّ الناس تعبّداً، فهو الإمام والحُجّة بعد أبيه، ويُخرج الله تعالى من صلب موسى ولداً يقال له علي، معدنُ علم الله، وموضع حكمه، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويخرج الله من صلب عليّ مولوداً يقال له محمّد، فهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب محمّدٍ ولداً يقال له عليّ، فهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب عليّ مولوداً يقال له الحسن، فهو الإمام والحجّة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب الحسن الحجّة القائم إمام شيعته، ومنقذ أوليائه، يغيب حتى لا يُرى، فيرجع عن أمره قومٌ، ويثبت

عليه آخرون ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(١)] ولو لم يكن من الدنيا إلا يومٌ واحد لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، فلا تخلو الأرض منكم، أعطاكم الله علمي وفهمي، ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي وزرعي وزرع زرعي»[(٢)].

❁ س٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

[سورة الرّعد: ٨ ـ ٩]؟!

الجواب/ قال زُرارة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ قال: «الذّكر والأنثى» ﴿وما تغيض الأرحام﴾ قال: «ما كان دون التسعة فهو غيض» ﴿وما تزداد﴾ قال: «كلّما رأت الدم في حال حَملها ازداد به على التسعة أشهر، إن كانت رأت الدم خمسة أيّام أو أقلّ أو أكثر، زاد ذلك على التسعة أشهر»[(٣)].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾.

فقال: «الغيب: ما لم يكن، والشّهادة: ما قد كان»[(٤)].

---

(١) يونس: ٤٨، الأنبياء: ٣٨، النمل: ٧١، سبأ: ٢٩، يس: ٤٨، الملك: ٢٥.

(٢) كفاية الأثر: ١٦٢.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٥، ح١٤.

(٤) معاني الأخبار: ص١٤٦، ح١.

❁ س٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الرّعد: ١٠]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾، قال: «فالسِّرُّ والعلانية عنده سواء»[1].

وقال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ مستخفٍ في جوف بيته. ﴿وسارب بالنهار﴾ يعني تحت الأرض، فذلك كلّه عند الله عزّ وجلّ واحدٌ يعلمه[2].

❁ س٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [سورة الرّعد: ١١]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم: إنّها قرئت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لقارئها: «ألستُم عرباً، فكيف تكون المُعقّبات من بين يديه؟! وإنّما المُعقّب من خلفه».

فقال الرجل: جُعلت فداك، كيف هذا؟ فقال: «إنّما نزلت (له مُعقّبات من خلفه ورقيبٌ من بين يديه يحفظونه بأمر الله) ومن ذا الذي يقدر أن يحفظ الشيء من أمر الله؟ وهم الملائكةُ الموكّلون بالناس»[3].

---

(١) تفسير القمّيّ: ج٢، ص٣٦٠.

(٢) تفسير القمّيّ: ج٢، ص٣٦٠.

(٣) تفسير القمّيّ: ج٢، ص٣٦٠.

قال: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾.

يقول: بأمرِ الله، من أن يقع في ركِيّ[١]، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر، خلّوا بينه وبينه، يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان بالنهار يتعاقبانه»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ «بأمر الله ـ ثمّ قال ـ ما مِن عبدٍ إلا ومعه ملكان يحفظانه، فإذا جاء الأمر من عند الله خلّياً بينه وبين أمر الله»[٣].

وكتب الحسين بن سعيد المكفوف، إليه عليه السلام في كتابٍ له: جُعلت فداك، يا سيّدي، علّم مولاكَ ما لا يُقبل لقائله دعوة، وما لا يؤخّر لفاعله دعوة، وما حدّ الاستغفار الذي وعد عليه نُوح، والاستغفار الذي لا يُعذّب قائله، وكيف يلفظ بهما؟ ومعنى قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾[٤] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٥] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾[٦]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾[٧] و ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾؟ وكيف يغيّر القومُ ما بأنفسهم؟

فكتب (صلوات الله عليه): «كافأكم الله عنّي بتضعيف الثواب، والجَزاء الحسن الجميل، وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله وبركاته، الاستغفار ألف،

(١) الرَّكِيُّ: جنسٌ للرَّكِيَّة، وهي البئر، وجمعُها، ركايا «النهاية ـ ركا ـ ج٢، ص٢٦١».
(٢) تفسير القمّي: ج٢، ص٣٦٠.
(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٥، ح١٦.
(٤) الطلاق: ٢، ٤، ٥.
(٥) الأنفال: ٤٩.
(٦) طه: ١٢٣.
(٧) طه: ١٢٤.

والتوكّل: مَن توكّل على الله فهو حسبه، ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأمّا قوله: ﴿فمن اتبع هداي﴾ أي من قال بالأئمّة واتّبع أمرهم بحسن طاعتهم، وأمّا التغيّر فإنّه لا يسيء إليهم حتى يتولّوا ذلك بأنفسهم بخطاياهم، وارتكابهم ما نهى عنه» وكتب بخطّه[١].

وقال عليّ بن إبراهيم القميّ في قوله تعالى: ﴿من وال﴾: أي من دافع[٢].

س١٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الرعد: ١٢ ـ ١٣]؟!

الجواب/ قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال لي أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ جعل السحاب غرابيل للمطر، هي تذيب البرد حتّى يصير ماءً كي لا يضُرّ به شيئاً يُصيبه، والذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله عزّ وجلّ يصيب بها من يشاء من عباده. ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تشيروا إلى المطر، ولا إلى الهلال، فإنّ الله يكره ذلك»[٣].

وقال يونس بن عبد الرحمن، أنّ داود قال: كنّا عنده عليه السلام فأرعدَت السّماء، فقال هو: «سبحان من يُسبّح له الرّعدُ بحمده والملائكة من خيفته»

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٦، ح٢١.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٠.

(٣) الكافي: ج٨، ص٢٤٠ ذيل الحديث (٣٢٦)، وقرب الإسناد: ص٣٥.

فقال له أبو بصير: جُعلتُ فداك، إنّ للرّعد كلاماً؟ فقال: «يا أبا محمّد، سل عمّا يعنيك، ودع ما لا يعنيك»[١].

وقال أبو بصير، سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الرَّعْد، أيَّ شيء يقول؟ قال: «إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي، كهيئة ذلك».

قلت: فما البرق؟ قال لي: «تلك من مخاريق[٢] الملائكة، تضربُ السَّحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر»[٣].

قال عليّاً عليه السلام - في حديثٍ، فيه - في قوله تعالى: ﴿وهو شديد المحال﴾ قال: «يريد المكر»[٤].

قال عليّ بن إبراهيم: قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا يعني يخافُه قومٌ، ويطمع فيه قوم، أن يُمطروا: ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ يعني يرفعها من الأرض. ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ وهو الملك الذي يسوق السَّحاب ﴿والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ أي شديد الغضب[٥].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٧، ح٢٢.

(٢) المخراق: منديل أو نحوه يُلوى فيضرب به، أو يُلفّ فيُفزع به، وأراد هنا أنّها آلة تزجُر بها الملائكة السَّحاب وتسوقه، انظر «لسان العرب - خرق - ج١٠، ص٧٦».

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٧، ح٢٣.

(٤) الغيبة: ص٢٧٨، ح٦٢.

(٥) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٦١.

س١١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

[سورة الرّعد: ١٤]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ «فهذا مثل ضربه الله للّذين يعبدون الأصنام، والذين يعبدون آلهةً من دون الله، فلا يستجيبون لهم بشيء، ولا ينفعهم ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾ ليبلغ فاه ليتناوله من بعيد ولا يناله»(١).

وقال في قوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي في بطلان(٢).

ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، رأيتُ أمراً عظيماً، فقال: وما رأيت؟

قال: كان لي مريض، ونُعِت له ماءٌ من بئرٍ بالأحقاف يُستشفى به في بَرَهُوت(٣)، قال: فانتهيت ومعي قربةٌ وقدح لآخُذ من مائها وأصُبَّ في القربة وإذا بشيءٍ قد هبط من جوّ السماء كهيئة السلسلة، وهو يقول: يا هذا، اسقني، الساعة أموت. فرفعتُ رأسي، ورفعتُ إليه القدح لأسقيه، فإذا رجلٌ في عنقه سلسلةٌ، فلمّا ذهبت أناوله القدح، اجتُذب منّي حتّى عُلّق بالشمس،

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦١.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦١.

(٣) بَرَهُوت: بفتح الأول والثاني وضمّ الهاء وسكون الواو، وادٍ باليمن يوضع فيه أرواح الكفار، وقيل: بئر بحضرموت، وقيل: هو اسم للبلد الذي فيه هذا البئر. «معجم البلدان: ج١، ص٤٠٥».

ثمّ أقبلتُ على الماء أغترف إذ أقبل الثانية وهو يقول: العطش العطش، يا هذا، اسقني، الساعة أموت. فرفعتُ القدح لأسقيه، فاجتذب منّي حتى عُلّق بالشمس، حتى فعل ذلك الثالثة، فقمت وشددت قربتي ولم أسقه.

فقال رسول الله ﷺ: ذاك قابيل بن آدم الذي قتل أخاه، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ إلى قوله: ﴿إلا في ضلال﴾»[١].

❁ س١٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

[سورة الرّعد: ١٥]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ الآية: «أمّا من يسجد من أهل السماوات طوعاً، فالملائكةُ يسجدون لله طوعاً، أمّا من يسجُد من أهل الأرض طوعاً، فمن ولد في الإسلام فهو يسجد له طوعاً، وأمّا من يسجد له كرهاً، فمن أجبر على الإسلام، وأمّا من لم يسجد فظلُّه يسجد له بالغداة والعشيّ»[٢].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾.

قال: «هو الدّعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وهي ساعة إجابة»[٣].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦١.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٢.

(٣) الكافي: ج٢، ص٣٧٩، ح١.

س١٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَٰتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَٰبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَٰحِدُ الْقَهَّٰرُ (١٦)﴾ [سورة الرّعد: ١٦]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): لما بين سبحانه في الآية الأولى أنه المستحق للعبادة، وأن له من في السماوات والأرض، عقبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿من رب السماوات والأرض﴾ أي: من مدبرهما ومصرفهما على ما فيهما من البدائع؟ فإذا استعجم عليهم الجواب، ولا يمكنهم أن يقولوا الأصنام ف﴿قل﴾ أنت لهم: رب السماوات والأرض وما بينهما من أنواع الحيوان، والنباتات، والجماد ﴿لله﴾ فإذا أقروا بذلك ﴿قل﴾ لهم على وجه التبكيت والتوبيخ لفعلهم ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ توجهون عبادتكم إليهم، فالصورة صورة الاستفهام، والمراد به التقريع.

ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ ومن لا يملك لنفسه ذلك، فالأولى والأحرى أن لا يملك لغيره، ومن كان كذلك، فكيف يستحق العبادة، وإذا قيل: كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله: ﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما يبينه من بعد لم يمتنع ذلك، فكأنه قال: الله الخالق، فلماذا اتخذتم من دون الله أولياء؟ لأن الأمر الظاهر الذي لا يجيب الخصم إلا به، لا يمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره، ثم يورد الكلام عليه تفادياً من التطويل، ويكون تقدير الكلام: أليس الله ربّ السماوات والأرض، فلم اتخذتم من دونه أولياء؟ ثم ضرب لهم سبحانه مثلاً بعد إلزام الحجة. فقال: ﴿قل هل يستوي

الأعمى والبصير﴾ أي كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر، لأن المؤمن يعمل على بصيره، ويعبد الله الذي يملك النفع والضر. والكافر يعمل على عمى، ويعبد من لا يملك النفع والضر.

ثم زاد في الإيضاح، فقال: ﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ أي: هل يستوي الكفر والإيمان، أو الضلالة والهدى، أو الجهل والعلم ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلق﴾ أي: هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة، خلقوا أفعالاً مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان، والطعوم والأرابيح، والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ أي: فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله، وما الذي خلق الأوثان. فظنوا أن الأوثان تستحق العبادة، لأن أفعالها مثل أفعال الله. فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً، إذ كان كله لله تعالى، لم يبق شبهة أنه الإله لا يستحق العبادة سواه فـ﴿قل﴾ لهم: ﴿الله خالق كل شيء﴾ يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها ﴿وهو الواحد﴾ ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره، فهو قديم لذاته، قادر لذاته، عالم لذاته، حي لذاته، غني لا مثل له، ولا شبه. وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ، ولا يتبعض. وقيل: هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم. ﴿القهار﴾: الذي يقهر كل قادر سواه، ولا يمتنع عليه شيء....»[1].

❁ س١٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص٢٥ ـ ٢٦.

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨)﴾ [سورة الرّعد: ١٧ ـ ١٨]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: قوله: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ يقول: الكبير على قدر كبره، والصغير على قدر صغره: ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾.

ثمّ قال: قول الله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ يقول: أنزل الحقَّ من السّماء فاحتملته القلوب بأهوائها، ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشكّ على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجُفاءً، فالماء هو الحقّ، والأودية هي القلوب، والسيل هو الهوى، والزَّبد هو الباطل، والحلية والمتاع هو الحقّ، قال الله: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ فالزَّبد وخبث الحديد هو الباطل، والمتاع والحلية هو الحقُّ، من أصاب الزَّبد وخبث الحديد في الدنيا لم ينتفع به، وكذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به، وأما المتاع والحلية فهو الحقّ، من أصاب الحلية والمتاع في الدنيا انتفع به، وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينتفع به، ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾[1].

ثمّ قال أيضاً: قوله: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ أي مرتفعاً، ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾ يعني ما يخرُج من الماء من الجواهر وهو مَثل، أي يثبُت الحقّ في قلوب المؤمنين، وفي قلوب الكفّار لا يثبُت ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ يعني يبطُل ﴿وأما ما ينفع الناس

---

(١) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٦٢.

فيمكث في الأرض﴾ وهذا مثل للمؤمنين والمُشركين، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا لهُ لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ فالمؤمن إذا سمع الحديث ثبت في قلبه وأجابه وآمن به، فهو مثل الماء الذي يبقى في الأرض فينبتُ النّبات، والذي لا يُنتفع به يكون مثل الزُبد الذي تضربه الرياح فيبطُل[1].

وقال الطَّبرسيّ في (الاحتجاج): عن أمير المؤمنين عليه السلام، في حديثٍ يذكره في أحوال الكفّار: «وضرب مثلهم بقوله: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ فالزُّبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع هي محلّ العلم وقراره»[2].

وقال الطَّبرسيّ في معنى سوء الحساب، عن أبي عبد الله عليه السلام: «هو أن هؤلاء لا يقبل منهم حسنة، ولا يغفر لهم سيئةً»[3].

وقال عليّ بن إبراهيم، في قوله: ﴿وبئس المهاد﴾ قال: يمتهدون[4] في النار[5].

---

(١) تفسبر القمي: ج١، ص٣٦٣.

(٢) الاحتجاج: ٢٤٩.

(٣) مجمع البيان: ج٦، ص٤٤٢.

(٤) والمِهاد: الفِراش، ومَهَد لنفسه: كسب وعمل، ومَهَد لنفسه خيراً، هيأه وتوطأه والتمهّد: التمكّن.

(٥) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٣.

س١٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩)﴾ [سورة الرعد: ١٩]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾ قال: «عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[١].

وقال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق﴾: عليّ عليه السلام ﴿كمن هو أعمى﴾ قال: الأوّل[٢].

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها، قيل: يا بنَ رسول الله، ومن أهلها؟ قال: «الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ ـ قال ـ هم أولو العقول»[٣].

س١٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾ [سورة الرعد: ٢٠ ـ ٢١]؟!

الجواب/ قال أبو الحسن الرضا عليه السلام قال: «إنّ رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله مُعلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صل من وصلني واقطع من قطعني، وهي تجري في كلّ رحم، ونزلت هذه الآية في آل محمّد، وما عاهدهم عليه، وما أخذ عليهم من الميثاق في الذرّ من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بعده، وهو قوله: ﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ الآية، ثمّ ذكر أعداءهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[٤] يعني في أمير

---

(١) المناقب: ج٣، ص٦١.

(٢) المناقب: ج٣، ص٦٠.

(٣) الكافي: ج١، ص١٥، ح١٢.

(٤) الرعد: ٢٥.

المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أخذ الله عليهم في الذرّ، وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ ثمّ قال: ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾[1]»[2].

وقال صفوان بن مهران الجمّال: وقع بين عبد الله بن الحسن وبين أبي عبد الله (صلوات الله عليه) كلام، حتى ارتفعت أصواتهما، واجتمع الناس، ثمّ افترقا تلك العشيّة، فلمّا أصبحتُ غدوتُ في حاجةٍ لي، فإذا أبو عبد الله عليه السلام على باب عبد الله بن الحسن، وهو يقول: «قولي ـ يا جارية ـ لأبي محمّد: هذا أبو عبد الله بالباب» فخرج عبد الله بن الحسن وهو يقول: يا أبا عبد الله، ما بكّر بك؟ قال: «إنّي تلوت البارحة آيةً من كتاب الله فأقلقتني». قال: وما هي؟ قال: «قوله عزّ وجلّ: ﴿الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾». قال: فاعتنقا وبكيا جميعاً ثم قال عبد الله بن الحسن: صدقت ـ والله ـ يا أبا عبد الله، كأن لم تمُرَّ بي هذه الآية قطّ[3].

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾.

قال: هو صلَة الإمام في كلّ سنة بما قلّ أو كثُر» ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: «وما أريد بذلك إلاّ تزكيتكم»[4].

وقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾. قال: «الاستقصاء والمُداقّة» وقال: «تُحسَب عليهم السيّئات، ولا تحسب لهم الحسنات»[5].

---

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٦٣.

(٣) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٨، ح٣١.

(٤) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٠٩، ح٣٤.

(٥) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٠، ح٣٩.

وقال أبو عبد الله عليه السلام لرجل: «يا فلان، مالك ولأخيك؟» قال: جعلتُ فداك، كان لي عليه حقّ فاستقصيت منه حقّي. قال أبو عبد الله عليه السلام: «أخبرني عن قول الله: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم؟ لا والله، خافوا الاستقصاء والمُداقّة»[1].

❁ س١٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الرّعد: ٢٢]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يعني يدفعون[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ (صلوات الله عليه): يا عليّ، ما من دارٍ فيها فرحةٌ إلاّ تبعتها ترحةٌ، وما من همٍّ إلاّ وله فرج، إلاّ همُّ أهل النار، فإذا عملت سيئةً فأتبعها بحسنةٍ تمحها سريعاً، وعليك بصنائع الخير، فإنّها تدفع مصارع السّوء. وإنّما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام على حدّ التأديب للناس، لا بأنّ لأمير المؤمنين عليه السلام سيئاتٍ عملها»[3].

وقال عليه السلام أيضاً: «أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، واضعاً يده على كتف العبّاس، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فعانقه رسول الله صلى الله عليه وآله وقبّل ما بين عينيه، ثمّ سلّم العبّاس على عليّ عليه السلام فردّ عليه ردّاً خفيفاً، فغضب العبّاس، فقال: يا رسول الله، لا يدع عليّ زهوه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبّاس، لا

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٠، ح٤٠.

(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٤.

(٣) تفسير القميّ: ج١، ص. ٣٦٤

تقل ذلك في عليّ، فإنّي لقيت جبرئيل آنفاً، فقال لي لقيني الملكان المُوكّلان بعليّ الساعة، فقالا: ما كتبنا عليه ذنباً منذ ولد إلى هذا اليوم»[1].

س١٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة الرّعد: ٢٣ ـ ٢٤]؟!

الجواب/ قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في حديث طويل ـ «... فإذا استقرّ لوليّ الله منازلُه في الجنان، استأذن عليه الملك المُوكّلُ بجنانه، ليُهنّئه بكرامة الله عزّ وجلّ إيّاه، فيقول له خُدام المؤمن من الوُصفاء والوصائف: مكانك، فإنّ وليّ الله قد اتّكأ على أريكته وزوجته الحوراء مُقبلةً وحولها وصائِفُها، وعليها سبعون حُلّةً منسوجةً بالياقوت واللؤلؤ والزّبرجد، وهي من مسكٍ وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وعليها نعلان من ذهب، مُكلّلتان بالياقوت واللؤلؤ، شراكهما ياقوتٌ أحمر، فإذا دنت من وليّ الله فهمّ أن يقوم إليها شوقاً، فتقول له: يا ولي الله ليس هذا يوم تعبٍ ولا نصبٍ، فلا تقُمْ، أنا لك وأنت لي، قال: فيعتنقان مقدار خمس مائة عام من أعوام الدنيا، لا يملُّها ولا تمله، قال: فإذا فتر بعض الفُتور من غير ملالةٍ نظر إلى عُنقها فإذا عليها قلائد من قصبٍ من ياقوتٍ أحمر، وسطُها لوحٌ، صفحتُه دُرّةٌ مكتوبٌ فيها، أنت ـ يا وليّ الله ـ حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتُك، إليك تاقتْ نفسي، وإليّ تاقتْ نفسُك.

ثمّ يبعث الله إليه ألف ملكٍ يُهنئونه بالجنّة، ويُزوّجونه بالحوراء، قال:

---

(١) تفسير القمي: ج١، ص٣٦٤.

فينتهون إلى أوّلِ بابٍ من جنانه، فيقولون للملك المُوكّل بأبواب جنانه: استأذنْ لنا على وليّ الله، فإنّ الله بعثنا إليه نُهنئه. فيقول لهم الملك: حتّى أقول للحاجِب، فيُعلمه بمكانِكُم. قال: فيدخُل الملك إلى الحاجِب، وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أول بابٍ، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك، أرسلهُم ربّ العالمين ليُهنّئوا وليّ الله، وقد سألوني أن آذن لهم عليه، فيقول الحاجب: إنّه ليعظُم عليّ أن أستأذن لأحدٍ على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء، قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان، قال: فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة، ألف ملك، أرسلهُم ربّ العزّة يُهنّئون وليّ الله فاستأذن لهم، فيتقدّم القيّم إلى الخدّام، فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألفُ ملك، أرسلهم الله يهنّئون وليّ الله، فأعلموه بمكانهم. قال: فيُعلمونه، فيؤذن للملائكة فيدخُلون على وليّ الله وهو في الغُرفة، ولها ألف باب، وعلى كلّ بابٍ من أبوابها ملك موكّل به، فإذا أُذِن للملائكة بالدُخول على وليّ الله، فتح كلّ ملكٍ بابه الموكّل به.

قال: فيُدخِل القيّم كلّ ملكٍ من باب من أبواب الغُرفة، قال: فيُبلغونه رسالة الجبّار جلّ وعزّ، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ـ من أبواب الغرفة ـ سلام عليكم﴾ إلى آخر الآية، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا رأيت نعيما وملكا كبيرا﴾ يعني بذلك وليّ الله، وما هو فيه من الكرامة والنعيم، والمُلك العظيم الكبير، وإنّ الملائكة من رُسل الله عزّ ذكره يستأذنون عليه، فلا يدخلون عليه إلاّ بإذنه، فذلك المُلك العظيم الكبير[١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ على الفقر في

---

(١) الكافي: ج٨، ص٩٥، ح٦٩.

الدنيا[١] ﴿فنعم عقبى الدار﴾ - قال - يعني الشهداء»[٢].

س١٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الرّعد: ٢٥]؟!

الجواب/ قال أبو الحسن عليه السلام لمحمد بن الفُضيل: «إن رحم آل محمد صلى الله عليه وآله مُعلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صل من وصلني واقطع من قطعني، وهي تجري في كلّ رحم، ونزلت هذه الآية في آل محمّد، وما عاهدهم عليه، وما أخذ عليهم من الميثاق في الذّر من ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بعده، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٣] الآية، ثمّ ذكر أعداهم، فقال: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ يعني في أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أخذ الله عليهم في الذّرّ، وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ ثمّ قال: ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾»[٤].

س٢٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرّعد: ٢٦ - ٢٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسي (رحمه الله تعالى): ﴿الله يبسط الرزق

---

(١) وفي رواية أخرى قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿علام عليكم بما صبرتم﴾ في الدنيا عن اللذّات والشهوات الحلال. (تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١١، ح٤٢).

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١١، ح٤٣.

(٣) الرعد: ٢٠.

(٤) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٦٣.

لمن يشاء ويقدر﴾: أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، بحسب ما يعلم من المصلحة، ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق، ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾. أي: فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر، ونسوا فناءه وبقاء أمر الآخرة وتقديره، وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا. ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ أي ليست هذه الحياة الدنيا بالإضافة إلى الحياة الآخرة إلا قليل ذاهب، لأن هذه فانية، وتلك دائمة باقية. . .

وقيل: إنه مذكور على وجه التعجب أي: عجباً لهم أن فرحوا بالدنيا الفانية، وتركوا النعيم الدائم، والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له، ولا بقاء له، مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر. . .

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أي: هلا أنزل على محمد معجزة من ربه يقترحها، ويجوز أنهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة، فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آية، ولم يعتدوا بتلك الآيات، فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إن الله يضل من يشاء﴾ عن طريق الجنة بسوء أفعاله، وعظم معاصيه. . . ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ أي: رجع إليه بالطاعة. . .[(١)].

❁ س٢١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

[سورة الرعد: ٢٨ ـ ٢٩]؟!

الجواب/ قال عليّ بن إبراهيم، الذين آمنوا: الشيعة، وذكر الله: أمير

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص٣٦.

المؤمنين والأئمة عليهم السلام، ثمّ قال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب[1] الذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مئاب﴾ أي حسن مرجع[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «طوبى: شجرةٌ في الجنّة، في دار أمير المؤمنين عليه السلام، وليس أحدٌ من شيعته إلاّ وفي داره غصنٌ من أغصانها، والورقة من أوراقها تستظلّ تحتها أمّةٌ من الأمم».

وقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثرُ تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكرت ذلك عائشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عائشة، إنّي لمّا أُسري بي إلى السّماء، دخلتُ الجنّة، فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى، وناولني من ثمارها فأكلته، فحوّل الله تعالى ذلك ماءً، في ظهري، فلمّا هبطتُ إلى الأرض، واقعتُ خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[3] [4].

❁ س٢٢: متى نزل قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الرعد: ٣٠]؟!

الجواب/ قال الطّبرسيّ في (مجمع البيان): في قوله تعالى: ﴿كذلك

---

(١) قال الصادق عليه السلام: «بمحمّد عليه السلام تطمئن القلوب، وهو ذكر الله وحجابه». (تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١١، ح٤٤).

(٢) تفسير القمّيّ: ج١، ص٣٦٥.

(٣) أقول وردت روايات عديدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام تقول أصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وآله ولا فرق بينها وبين ما ذكرناه، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: داري ودار علي في الجنة بمكانٍ واحد».

(٤) ـ (شواهد التنزيل: ج١، ص٣٠٤، ح٤١٧). ـ (ينابيع المودة: ص٩٦). ـ (تفسير القرطبي: ج٩، ص٣١٧). ـ (العمدة: ص٣٥١، ح٦٧٦).

أرسلناك في أمة﴾ نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصُلح فقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «اكتُب: بسم الله الرحمن الرحيم». فقال: سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرفُ الرَّحمٰنُ إلاّ صاحب اليمامة ـ يعنون مسيلمة الكذّاب ـ اكتب: باسمك اللّهمَّ. وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله». فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثمّ قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح محمّد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: دعنا نقاتلهم. قال: «لا، ولكن اكتبوا كما يريدون» فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿كذلك أرسلناك في أمة﴾ الآية.

وعن ابن عباس: أنّها نزلت في كفّار قريش حين قال لهم النبيّ ﷺ: اسجُدوا للرّحمن قالوا: وما الرّحمن![1].

أما معنى ﴿وإليه متاب﴾: أي: مرجعي وقيل: معناه إلى الرحمٰن توبتي[2].

❁ س٢٣: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الرّعد: ٣١]؟!

الجواب/ قال أبو إبراهيم عبد الحميد قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السلام: جُعلت فداك، أخبرني عن النبيّ ﷺ، ورث النبيّين كلّهم؟ قال: «نعم».

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص٤٥٠.
(٢) مجمع البيان: ج٦، ص٤٥١.

قلت: من لدُن آدم حتّى انتهى إلى نفسه؟ قال: «ما بعث الله نبيّاً إلاّ ومحمّد صلى الله عليه وآله أعلم منه».

قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله؟ قال: «صدَقْت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطّير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدرُ على هذه المنازل».

قال: وقال: «إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره، فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ (١) حين فقده فغضب عليه، فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) وإنّما غضب لأنّه كان يدُلّه على الماء، فهذا وهو طائرٌ قد أُعطي ما لم يُعط سليمان، وقد كانت الرّيحُ والنّملُ والإنس والجنُّ والشّياطينُ والمردةُ له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه. وإنّ الله يقول في كتابه ﴿ولو أن قرءاناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تُسيَّر به الجبال وتقطّع به البلدان وتحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء. وإنّ في كتاب الله لآياتٍ ما يُراد بها أمرٌ إلاّ أن يأذن الله به، مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون، وجعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) ثمّ قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٤) فنحنُ الذين اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء» (٥).

---

(١) النمل: ٢٠.

(٢) النمل: ٢١.

(٣) النمل: ٧٥.

(٤) فاطر: ٣٢.

(٥) الكافي: ج١، ص١٧٦، ح٧، وبصائر الدرجات: ص١٣٤، ح٣.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أفلم ييئس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ يعني جعلهم كلّهم مؤمنين. وقوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ أي عذاب[1].

وقال: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفرعَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾: «وهي النّقمة ﴿أو تحل قريبا من دارهم﴾ فتحُلُّ بقومٍ غيرهم، فيرون ذلك ويسمعون به، والذين حلَّت بهم عصاةٌ كفار مثلهم، ولا يتّعظ بعضهم ببعض، ولا يزالون كذلك حتّى يأتي وعد الله الذي وعد المؤمنين من النصر، ويخزي الله الكافرين»[2].

❁ س٢٤: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

[سورة الرّعد: ٣٢ ـ ٣٣]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم، في قوله: ﴿فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم﴾: أي طوّلتُ لهم الأمل، ثمّ أهلكتهم[3].

ثمّ قال علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفرعَلَيْهِ السَّلَامُ، في قوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول﴾ «الظاهر من القول هو الرّزق»[4].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٥.
(٢) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٥.
(٣) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٦.
(٤) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٦.

س٢٥: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾

[سورة الرّعد: ٣٤ ـ ٣٥]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿وما لهم من الله من واق﴾: أي من دافع ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ أي عاقبة ثوابهم النار(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد أطفئت سبعين مرّةً بالماء ثمّ التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدميٌّ أن يطفئها، وإنّها ليؤتى بها يوم القيامة حتى تُوضع على النار، فتصرخ صرخةً لا يبقى ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل إلاّ جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها»(٢).

س٢٦: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)﴾

[سورة الرّعد: ٣٦]؟!

الجواب/ قال علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿الذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ «فرحوا بكتاب الله إذا تلي عليهم، وإذا تلوه تفيض أعينهم دمعاً من الفزع والحزن، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام».

وهي في قراءة ابن مسعود: (والذي أنزلنا إليك الكتاب هو الحقّ، ومن

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٦.
(٢) تفسير القمّي: ج١، ص٣٦٦.

يؤمن به) أي عليّ بن أبي طالب عَلَيْتَكِلاِ يؤمن به ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ أنكروا من تأويله ما أنزله في عليّ وآل محمّد (صلوات الله عليهم) وآمنوا ببعضه، فأمّا المشركون، فأنكروه كلّه، أوّله وآخره، وأنكروا أنّ محمداً رسول الله[1].

❁ س٢٧: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الرّعد: ٣٧]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾، أي: كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم من الأنبياء بلسانهم. أنزلنا إليك حكمة عربية أي: جارية على مذاهب العرب في كلامهم، يعني القرآن. فالحكم ها هنا بمعنى الحكمة كما في قوله: ﴿وآتيناه الحكم والنبوة﴾.

وقيل: إنما سماه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام، وسماه عربياً لأنه أتى به نبي عربي.

﴿ولئن اتبعت أهوائهم﴾: خطاب للنبيﷺ والمراد به الأمة أي لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة ﴿بعدما جاءك من العلم﴾ بالله تعالى لأن ما أتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات. ﴿مالك من الله من ولي﴾، أي: ناصر يعينك عليه، ويمنعك من عذابه. ﴿ولا واق﴾ يقيك منه، ﴿من ولي﴾ في موضع رفع ومن مزيدة[2].

---

(١) تفسير القميّ: ج١، ص٣٦٦.

(٢) مجمع البيان: ج٦، ص٤٦.

❁ س٢٨: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الرّعد: ٣٨]؟!

الجواب/ قال جعفر بن محمد عليه السلام للمفضل بن صالح: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله الخَلْق قسمين، فألقى قسماً، وأمسك قسماً، ثمّ قسَّم ذلك القسم على ثلاثة أثلاث، فألقى ثلثين وأمسك ثلثاً، ثم اختار من ذلك الثُّلث قريشاً، ثم اختار من قريش بني عبد المطّلب، ثم اختار من بني عبد المطَّلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنحن ذرّيّته، فإن قلت للناس لرسول الله ذريّةٌ، جحدوا، ولقد قال الله: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ فنحن ذرّيّته».

قال: فقلتُ: أنا أشهدُ أنكم ذرّيّته. ثم قلت له: أُدع الله لي ـ جُعلت فداك ـ أن يجعلني معكم في الدنيا والآخرة. فدعا لي ذلك، قال: وقبَّلتُ باطن يده[(١)].

وفي رواية شُعيب، عنه عليه السلام أنّه قال: «نحن ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، والله ما أدري على ما يُعادونَنا! إلاّ لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله»[(٢)].

❁ س٢٩: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرّعد: ٣٩]؟!

الجواب/ وردت روايات عديدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام في معنى هذه الآية، نذكر منها:

١ ـ سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٤، ح٥٤. (٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٤، ح٥٥.

وعنده أم الكتاب﴾.

قال: «إنّ ذلك الكتاب كتابٌ يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوبٌ عليه: الذي يردّ به القضاء، حتى إذا صار إلى أمّ الكتاب، لم يغن الدعاء فيه شيئاً»[1].

٢ ـ قال صاحب (الثاقب في المناقب) عن أبي هاشم الجعفريّ، قال: سأل محمد بن صالح الأرضي أبا محمّد، يعني الحسن العسكري عليه السلام عن قول الله: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾. فقال عليه السلام: «هل يمحو إلاّ ما كان، وهل يثبتُ إلا ما لم يكن؟!».

فقلت في نفسي: هذا خلاف قول هشام، إنّه لا يعلم بالشيء حتى يكون. فنظر إليّ أبو محمّد عليه السلام، وقال: «الله تعالى، الجبّارُ، العالم بالأشياء قبل كونها، الخالق إذ لا مخلوق، والربُّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه»، فقلت: أشهد أنّك حجّة الله، ووليّه بقسط، وأنّك على منهاج أمير المؤمنين عليه السلام[2].

٣ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: «العلم علمان: فعلمٌ عند الله مخزُونٌ لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورُسُله، فما علّمه ملائكته ورسلُه فإنّه سيكون، لا يُكذِّبُ نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعِلمٌ عنده مخزونٌ، يُقدِّم منه ما يشاء، ويؤخّر منه ما يشاء، ويُثبت ما يشاء»[3].

٤ ـ قال حُمْران: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام: ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾؟

فقال: «يا حمران، إنه إذا كان ليلة القدر، ونزلت الملائكة الكَتَبة إلى

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٢٠، ح٧٥. (٣) الكافي: ج١، ص١١٤، ح٦.
(٢) الثاقب في المناقب: ص٥٦٦، ح٥٠٧.

السَّماء الدنيا، فيكتبون ما يُقضى في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّره، أو يُنقص منه أو يزيد، أمر الملك فمحا ما يشاء، ثمّ أثبت الذي أراد».

قال: فقلتُ له عند ذلك: فكلّ شيءٍ يكون فهو عند الله في كتاب؟ قال: «نعم».

قلت: فيكون كذا وكذا، ثمّ كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال: «نعم».

قلت: فأيّ شيءٍ يكون بيده بعد؟ قال: «سبحان الله، ثمّ يُحدثُ الله أيضاً ما شاء، تبارك الله وتعالى»[1].

❁ س٣٠: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الرّعد: ٤٠]؟!

الجواب/ قال الشيخ الطبرسيّ (رحمه الله تعالى): ﴿وإن ما نرينك﴾ يا محمد ﴿بعض الذي نعدهم﴾ أي: نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والأسر، واغتنام الأموال، ﴿أو نتوفينك﴾ أي: ونقبضنك إلينا قبل أن نريك ذلك. وبين بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته، وبعضه بعد وفاته، أي: فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك، وأن يكون مما لا بد أن تراه ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ أي: عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم، وتقول بما أمرناك بالقيام به، وعلينا حسابهم ومجازاتهم، والانتقام منهم، إما عاجلاً، وإما آجلاً. وفي هذه دلالة على أن الإسلام سيظهر على سائر الأديان، ويبطل الشرك في أيامه، وبعد وفاته، وقد

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢١٦، ح٦٢.

وقع المخبر به على وفق الخبر[١].

❁ س٣١: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الرّعد: ٤١ ـ ٤٢]؟!

الجواب/ قال الطبرسيّ: عن أبي عبد الله عليه السلام: «ننقُصها بذهاب عُلمائها وفُقهائها وخِيار أهلها»[٢].

وقال عليّ بن إبراهيم: في معنى الآية: موت عُلمائها. وقال: قوله: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ أي لا مدافع. وقوله ﴿وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا﴾ قال: المكر من الله هو العذاب ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ أي ثواب القيامة[٣].

❁ س٣٢: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الرّعد: ٤٣]؟!

الجواب/ قال بريد بن معاوية: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾، قال: «إيانا عنى، وعلي عليه السلام أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله»[٤].

وقال سدير: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: «يا عجباً

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص٥٠.
(٢) مجمع البيان: ج٦، ص٤٦١.
(٣) تفسير القمي: ج١، ص٣٦٧.
(٤) الكافي: ج١، ص١٧٩، ح٦.

لأقوامٍ يزعمون أنّا نعلمُ الغيب! ما يعلمُ الغيب إلا الله عزّ وجلّ، لقد هممتُ بضربِ جاريتي فلانة فهربت منّي، فما علمتُ في أيّ بيوت الدار هي».

قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلتُ أنا وأبو بصير ومُيسِّر، وقلنا له: جُعلنا فداك، سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب! قال: فقال: «يا سدير، أما تقرأ القرآن؟» قلت: بلى. قال: «فهل وجدت فيما قرأتَ من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1]» قال: قلت: جعلت فداك، قد قرأته. قال: «فهل عرفت الرجل، وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟»

قال: قلت: أخبرني به.

قال: جُعلت فداك، ما أقلّ هذا! فقال: «يا سدير، ما أكثر هذا أن ينسبه الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به! يا سدير، فهل وجدتَ فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً: ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ »؟

قال: قد قرأته، جُعلت فداك.

قال: «أفمن عنده علم الكتاب كلُّه أفهم، أم من عنده علمُ الكتاب بعضُه؟!»

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلّه، فأومأ بيده إلى صدره، وقال: «علم الكتاب والله كلُّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا»[2].

وروى هذا الحديث الصفّار: في (بصائر الدرجات) بتغيير يسير بزيادةٍ ونُقصان[3].

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٠٠، ح٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص٢٣٣، ح٣.

فهرس
تفسير سورة الأنفال

ما هو فضل سورة الأنفال؟! ... ٥
[سورة الأنفال: ١] وما هو سبب نزولها؟! ... ٥
[سورة الأنفال: ٢ ـ ٦]؟! ... ٧
[سورة الأنفال: ٧ ـ ٨]؟! ... ٢٤
[سورة الأنفال: ٩]؟! ... ٢٥
[سورة الأنفال: ١٠]؟! ... ٢٦
[سورة الأنفال: ١١]؟! ... ٢٦
[سورة الأنفال: ١٢ ـ ١٩]؟! ... ٢٧
[سورة الأنفال: ٢٠ ـ ٢١]؟! ... ٣٠
[سورة الأنفال: ٢٢]؟! ... ٣١
[سورة الأنفال: ٢٣]؟! ... ٣٢
[سورة الأنفال: ٢٤]؟! ... ٣٣
[سورة الأنفال: ٢٥]؟! ... ٣٤
[سورة الأنفال: ٢٦] وما هو تفسيرها؟! ... ٣٤
[سورة الأنفال: ٢٧]؟! ... ٣٥
[سورة الأنفال: ٢٨]؟! ... ٣٦
[سورة الأنفال: ٢٩]؟! ... ٣٧
[سورة الأنفال: ٣٠]؟! ... ٣٧
[سورة الأنفال: ٣١]؟! ... ٣٩
[سورة الأنفال: ٣٢ ـ ٣٣]؟! ... ٤٠
[سورة الأنفال: ٣٤ ـ ٣٥]؟! ... ٤٢

[سورة الأنفال: ٣٦]؟! ٤٣
[سورة الأنفال: ٣٧]؟! ٤٣
[سورة الأنفال: ٣٨]؟! ٤٤
[سورة الأنفال: ٣٩]؟! ٤٤
[سورة الأنفال: ٤٠]؟! ٥٠
[سورة الأنفال: ٤١]؟! ٥٠
[سورة الأنفال: ٤٢ ـ ٤٣]؟! ٥٢
[سورة الأنفال: ٤٤]؟! ٥٣
[سورة الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦]؟! ٥٣
[سورة الأنفال: ٤٧]؟! ٥٤
[سورة الأنفال: ٤٨]؟! ٥٤
[سورة الأنفال: ٤٩]؟! ٥٦
[سورة الأنفال: ٥٠]؟! ٥٦
[سورة الأنفال: ٥١]؟! ٥٨
[سورة الأنفال: ٥٢ ـ ٥٤]؟! ٥٩
[سورة الأنفال: ٥٥]؟! ٦١
[سورة الأنفال: ٥٦]؟! ٦١
[سورة الأنفال: ٥٧]؟! ٦١
[سورة الأنفال: ٥٨]، وما هو تفسيره؟! ٦٢
[سورة الأنفال: ٥٩]؟! ٦٣
[سورة الأنفال: ٦٠]؟! ٦٣
[سورة الأنفال: ٦١]؟! ٦٤
[سورة الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣]؟! ٦٤
[سورة الأنفال: ٦٤]؟! ٦٥
[سورة الأنفال: ٦٥ ـ ٦٦]؟! ٦٥
[سورة الأنفال: ٦٧]؟! ٦٨

[سورة الأنفال: ٦٨]؟! ٦٩
[سورة الأنفال: ٦٩]؟! ٦٩
[سورة الأنفال: ٧٠]؟! .. ٧٠
[سورة الأنفال: ٧١]؟! ٧١
[سورة الأنفال: ٧٢]؟! ٧٢
[سورة الأنفال: ٧٣ ـ ٧٥]؟! ... ٧٣

فهرس تفسير سورة التوبة

ما هو فضل سورة التوبة؟! ... ٧٧
ما هو السبب الذي جعل سورة التوبة لم تبدأ بالبسملة؟! ٧٧
[سورة التوبة: ١ ـ ٣]؟! ٧٧
[سورة التوبة: ٤]؟! ٨١
[سورة التوبة: ٥]؟! ٨٢
[سورة التوبة: ٦]؟! ٨٤
[سورة التوبة: ٧ ـ ٨]؟! . ٨٥
[سورة التوبة: ٩ ـ ١١]؟! ... ٨٧
[سورة التوبة: ١٢]؟! ... ٨٨
[سورة التوبة: ١٣]؟! ٨٩
[سورة التوبة: ١٤ ـ ١٥]؟! ... ٩٠
[سورة التوبة: ١٦]؟! ٩١
[سورة التوبة: ١٧ ـ ١٨]؟! ٩١
[سورة التوبة: ١٩ ـ ٢٢]؟! ٩٢
[سورة التوبة: ٢٣ ـ ٢٤]؟! ٩٣
[سورة التوبة: ٢٥ ـ ٢٦]؟! ٩٤
[سورة التوبة: ٢٧]؟! . ١٠٠
[سورة التوبة: ٢٨]؟! .. ١٠٠

[سورة التوبة: ٢٩]؟! ١٠١
[سورة التوبة: ٣٠]؟! ١٠٣
[سورة التوبة: ٣١]؟! ١١٣
[سورة التوبة: ٣٢]؟! ١١٤
[سورة التوبة: ٣٣]؟! ١١٦
[سورة التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]؟! ١١٦
[سورة التوبة: ٣٦]؟! ١١٧
[سورة التوبة: ٣٧]؟! ١١٩
[سورة التوبة: ٣٨]؟! ١١٩
[سورة التوبة: ٣٩]؟! ١٢١
[سورة التوبة: ٤٠ ـ ٤١]؟! ١٢١
[سورة التوبة: ٤٢]؟! ١٢٦
[سورة التوبة: ٤٣]؟! ١٢٩
[سورة التوبة: ٤٤ ـ ٤٧]؟! ١٣٠
[سورة التوبة: ٤٨]؟! ١٣٥
[سورة التوبة: ٤٩]؟! ١٣٦
[سورة التوبة: ٥٠-٥١]؟! ١٣٧
[سورة التوبة: ٥٢]؟! ١٣٧
[سورة التوبة: ٥٣ ـ ٥٧]؟! ١٣٨
[سورة التوبة: ٥٨ ـ ٦٠]؟! ١٣٩
[سورة التوبة: ٦١] وما سبب نزولها؟! ١٤٢
[سورة التوبة: ٦٢]؟! ١٤٥
[سورة التوبة: ٦٣]؟! ١٤٥
[سورة التوبة: ٦٤ ـ ٦٦] وما هو التفسير؟! ١٤٦
[سورة التوبة: ٦٧]؟! ١٥٥
[سورة التوبة: ٦٨ ـ ٦٩]؟! ١٥٦

[سورة التوبة: ٧٠]؟! ١٥٨
[سورة التوبة: ٧١]؟! ١٥٨
[سورة التوبة: ٧٢]؟! ١٥٩
[سورة التوبة: ٧٣]؟! ١٦٠
[سورة التوبة: ٧٤ ـ ٧٧]؟! ١٦٠
[سورة التوبة: ٧٨ ـ ٧٩]؟! ١٦٢
[سورة التوبة: ٨٠]؟! ١٦٣
[سورة التوبة: ٨١ ـ ٨٤]؟! ١٦٤
[سورة التوبة: ٨٥]؟! ١٦٥
[سورة التوبة: ٨٦]؟! ١٦٦
[سورة التوبة: ٨٧]؟! ١٦٧
[سورة التوبة: ٨٨]؟! ١٦٧
[سورة التوبة: ٨٩]؟! ١٦٨
[سورة التوبة: ٩٠]؟! ١٦٩
[سورة التوبة: ٩١ ـ ٩٣]؟! ١٧٠
[سورة التوبة: ٩٤]؟! ١٧٢
[سورة التوبة: ٩٥ ـ ٩٩]؟! ١٧٢
[سورة التوبة: ١٠٠]؟! ١٧٤
[سورة التوبة: ١٠١]؟! ١٧٥
[سورة التوبة: ١٠٢]؟! ١٧٦
[سورة التوبة: ١٠٣ ـ ١٠٤]؟! ١٧٧
[سورة التوبة: ١٠٥]؟! ١٧٨
[سورة التوبة: ١٠٦]؟! ١٧٩
[التوبة: ١٠٧-١٠٨]؟! ١٨٠
[سورة التوبة: ١٠٩]؟! ١٨٢
[سورة التوبة: ١١٠]؟! ١٨٣

[سورة التوبة: ١١١ ـ ١١٢]؟! ١٨٣
[سورة التوبة: ١١٣]؟! ١٩١
[سورة التوبة: ١١٤]؟! ١٩٢
[سورة التوبة: ١١٥]؟! ١٩٢
[سورة التوبة: ١١٧ ـ ١١٨]؟! ١٩٣
[سورة التوبة: ١١٩]؟! ١٩٥
[سورة التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١]؟! ١٩٦
[سورة التوبة: ١٢٢]؟! ١٩٦
[سورة التوبة: ١٢٣]؟! ١٩٨
[سورة التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]؟! ١٩٨
[سورة التوبة: ١٢٦ ـ ١٢٩]؟! ٢٠٤

فهرس تفسير سورة يونس

ما هو فضل سورة يونس؟! ٢٠٩
[سورة يونس: ١ ـ ٢]؟! ٢٠٩
[سورة يونس: ٣]؟! ٢١٠
[سورة يونس: ٤]وما هو وجه الاتصال بما قبلها؟! ٢١٢
[سورة يونس: ٥]؟! ٢١٣
[سورة يونس: ٦]؟! ٢١٤
[سورة يونس: ٧ ـ ٨]؟! ٢١٥
[سورة يونس: ٩]؟! ٢١٥
[سورة يونس: ١٠]؟! ٢١٦
[سورة يونس: ١١]؟! ٢١٧
[سورة يونس: ١٢]؟! ٢١٨
[سورة يونس: ١٣ ـ ١٦]؟! ٢١٨
[سورة يونس: ١٧]؟! ٢١٩

[سورة يونس: ١٨ ـ ١٩]؟! ٢٢٠
[سورة يونس: ٢٠]؟! ٢٢١
[سورة يونس: ٢١ ـ ٢٢]؟! ٢٢١
[سورة يونس: ٢٣]؟! ٢٢٣
[سورة يونس: ٢٤]؟! ٢٢٤
[سورة يونس: ٢٥]؟! ٢٢٥
[سورة يونس: ٢٦]؟! ٢٢٥
[سورة يونس: ٢٧]؟! ٢٢٦
[سورة يونس: ٢٨]؟! ٢٢٦
[سورة يونس: ٢٩]؟! ٢٢٧
[سورة يونس: ٣٠]؟! ٢٢٧
[سورة يونس: ٣١ ـ ٣٣]؟! ٢٢٨
[سورة يونس: ٣٤]؟! ٢٣٠
[سورة يونس: ٣٥]؟! ٢٣١
[سورة يونس: ٣٦]؟! ٢٣٢
[سورة يونس: ٣٧ ـ ٣٨]؟! ٢٣٢
[سورة يونس: ٣٩ ـ ٤٠]؟! ٢٣٤
[سورة يونس: ٤١ ـ ٤٦]؟! ٢٣٥
[سورة يونس: ٤٧]؟! ٢٣٥
[سورة يونس: ٤٨]؟! ٢٣٦
[سورة يونس: ٤٩]؟! ٢٣٦
[سورة يونس: ٥٠]؟! ٢٣٧
[سورة يونس: ٥١ ـ ٥٣]؟! ٢٣٧
[سورة يونس: ٥٤]؟! ٢٣٨
[سورة يونس: ٥٥ ـ ٥٨]؟! ٢٣٨
[سورة يونس: ٥٩]؟! ٢٣٩

سورة يونس: ﴿٦٠﴾ ٢٤٠

سورة يونس: ﴿٦١﴾ ٢٤٠

سورة يونس: ﴿٦٢ ـ ٦٤﴾ ٢٤١

سورة يونس: ﴿٦٥﴾ ٢٤٣

سورة يونس: ﴿٦٦ ـ ٦٧﴾ ٢٤٣

سورة يونس: ﴿٦٨ ـ ٧٠﴾ ٢٤٥

سورة يونس: ﴿٧١﴾ ٢٤٦

سورة يونس: ﴿٧٢ ـ ٧٣﴾ ٢٤٧

سورة يونس: ﴿٧٤ ـ ٧٨﴾ ٢٤٨

سورة يونس: ﴿٧٩ ـ ٨٢﴾ ٢٥٠

سورة يونس: ﴿٨٣﴾ ٢٥٢

سورة يونس: ﴿٨٤ ـ ٨٦﴾ ٢٥٤

سورة يونس: ﴿٨٧﴾ ٢٥٤

سورة يونس: ﴿٨٨ ـ ٨٩﴾ ٢٥٥

سورة يونس: ﴿٩٠ ـ ٩٢﴾ ٢٥٦

سورة يونس: ﴿٩٣﴾ ٢٥٧

سورة يونس: ﴿٩٤﴾ ٢٥٨

سورة يونس: ﴿٩٥﴾ ٢٦٠

سورة يونس: ﴿٩٦ ـ ٩٧﴾ ٢٦١

سورة يونس: ﴿٩٨﴾ ٢٦١

سورة يونس: ﴿٩٩ ـ ١٠٠﴾ ٢٦٩

سورة يونس: ﴿١٠١﴾ ٢٧٠

سورة يونس: ﴿١٠٢﴾ ٢٧١

سورة يونس: ﴿١٠٣﴾ ٢٧٢

سورة يونس: ﴿١٠٤﴾ ٢٧٢

سورة يونس: ﴿١٠٥﴾ ٢٧٣

[سورة يونس: ١٠٦] ؟! ٢٧٤
[سورة يونس: ١٠٧] ؟! ٢٧٤
[سورة يونس: ١٠٨ ـ ١٠٩] ؟! ٢٧٥

فهرس تفسير سورة هود

ما هو فضل سورة هود؟! ٢٧٩
[سورة هود: ١] ؟! ٢٧٩
[سورة هود: ٢] ؟! ٢٨٠
[سورة هود: ٣] ؟! ٢٨٠
[سورة هود: ٤] ؟! ٢٨١
[سورة هود: ٥] ؟! ٢٨١
[سورة هود: ٦] ؟! ٢٨٢
[سورة هود: ٧] ؟! ٢٨٣
[سورة هود: ٨] ؟! ٢٨٥
[سورة هود: ٩ ـ ١١] ؟! ٢٨٦
[سورة هود: ١٢] ؟! ٢٨٧
[سورة هود: ١٣ ـ ١٤] ؟! ٢٨٧
[سورة هود: ١٥ ـ ١٦] ؟! ٢٩٠
[سورة هود: ١٧] ؟! ٢٩١
[سورة هود: ١٨ ـ ٢١] ؟! ٢٩٢
[سورة هود: ٢٢] ؟! ٢٩٣
[سورة هود: ٢٣] ؟! ٢٩٤
[سورة هود: ٢٤] ؟! ٢٩٥
[سورة هود: ٢٥ ـ ٢٨] ؟! ٢٩٦
[سورة هود: ٢٩ ـ ٣١] ؟! ٢٩٩
[سورة هود: ٣٢ ـ ٣٣] ؟! ٣٠١

[سورة هود: ٣٤]؟! ٣٠١
[سورة هود: ٣٥]؟! ٣٠٢
[سورة هود: ٣٦ ـ ٤٩]؟! ٣٠٢
[سورة هود: ٥٠ ـ ٥٣]؟! ٣٠٨
[سورة هود: ٥٤ ـ ٥٦]؟! ٣١١
[سورة هود: ٥٧ ـ ٦٠]؟! ٣١٢
[سورة هود: ٦١ ـ ٦٨]؟! ٣١٤
[سورة هود: ٦٩-٨٣]؟! ٣٢٠
[سورة هود: ٨٤ ـ ٩٥]؟! ٣٢٥
[سورة هود: ٩٦ ـ ١٠١]؟! ٣٢٨
[سورة هود: ١٠٢ ـ ١٠٣]؟! ٣٢٩
[سورة هود: ١٠٤]؟! ٣٣٠
[سورة هود: ١٠٥ ـ ١٠٨]؟! ٣٣٠
[سورة هود: ١٠٩ ـ ١١٠]؟! ٣٣٣
[سورة هود: ١١١ ـ ١١٢]؟! ٣٣٤
[سورة هود: ١١٣]؟! ٣٣٤
[سورة هود: ١١٤]؟! ٣٣٥
[سورة هود: ١١٥]؟! ٣٣٦
[سورة هود: ١١٦]؟! ٣٣٧
[سورة هود: ١١٧ ـ ١٢٣]؟! ٣٣٩

فهرس تفسير سورة يوسف

ما هو فضل سورة يوسف؟! ٣٤٦
[سورة يوسف: ١-٣]؟! ٣٤٦
[سورة يوسف: ٤ ـ ٣٤]؟! ٣٤٦
[سورة يوسف: ٤ ـ ٣٤]؟! ٣٤٦

١ ـ ﴿لولا أن رءا برهان ربه﴾ ؟! ٣٥٤
٢ ـ ﴿لتنبههم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ ؟! ... ٣٥٤
٣ ـ ﴿وجاء وأعلى قميصه بدم كذب﴾ ؟! ٣٥٤
٤ ـ ﴿قد شغفها حبا﴾ ؟! ٣٥٤
﴿ولقد همت به وهم بها﴾ ؟! ٣٥٥
[سورة يوسف: ٣٥ ـ ٥٦] ؟! .. ٣٥٦
[سورة يوسف: ٥٧] ؟! ٣٦٢
[سورة يوسف: ٥٨ ـ ٨٢] ؟! ٣٦٣
[سورة يوسف: ٨٣ ـ ١٠١] ؟! ... ٣٧٠
[يوسف: ١٠٢-١٠٥] ؟! ٣٧٧
[سورة يوسف: ١٠٧] ؟! ٣٧٩
[سورة يوسف: ١٠٨] ؟! ٣٨٠
[سورة يوسف: ١٠٩] ؟! ٣٨١
[سورة يوسف: ١١٠] ؟! . ٣٨١
[سورة يوسف: ١١١] ؟! ٣٨٢

فهرس تفسير سورة الرّعد

ما هو فضل سورة الرعد؟! ٣٨٥
[سورة الرّعد: ١] ؟! ٣٨٥
[سورة الرّعد: ٢] ؟! ٣٨٦
[سورة الرّعد: ٣] ؟! ٣٨٧
[سورة الرّعد: ٤ ـ ٦] ؟! ... ٣٨٩
[سورة الرّعد: ٧] ؟! ٣٩٠
[سورة الرّعد: ٨ ـ ٩] ؟! ٣٩٢
[سورة الرّعد: ١٠] ؟! ٣٩٣
[سورة الرّعد: ١١] ؟! ٣٩٣

[سورة الرّعد: ١٢ ـ ١٣]؟! ٣٩٥

[سورة الرّعد: ١٤]؟! ٣٩٧

[سورة الرّعد: ١٥]؟! ٣٩٨

[سورة الرّعد: ١٦]؟! ٣٩٩

[سورة الرّعد: ١٧ ـ ١٨]؟! ٤٠٠

[سورة الرّعد: ١٩]؟! ٤٠٣

[سورة الرّعد: ٢٠ ـ ٢١]؟! ٤٠٣

[سورة الرّعد: ٢٢]؟! ٤٠٥

[سورة الرّعد: ٢٣ ـ ٢٤]؟! ٤٠٦

[سورة الرّعد: ٢٥]؟! ٤٠٨

[سورة الرّعد: ٢٦ ـ ٢٧]؟! ٤٠٨

[سورة الرّعد: ٢٨ ـ ٢٩]؟! ٤٠٩

[سورة الرّعد: ٣٠]؟! ٤١٠

[سورة الرّعد: ٣١]؟! ٤١١

[سورة الرّعد: ٣٢ ـ ٣٣]؟! ٤١٣

[سورة الرّعد: ٣٤ ـ ٣٥]؟! ٤١٤

[سورة الرّعد: ٣٦]؟! ٤١٤

[سورة الرّعد: ٣٧]؟! ٤١٥

[سورة الرّعد: ٣٨]؟! ٤١٦

[سورة الرّعد: ٣٩]؟! ٤١٦

[سورة الرّعد: ٤٠]؟! ٤١٨

[سورة الرّعد: ٤١ ـ ٤٢]؟! ٤١٩

[سورة الرّعد: ٤٣]؟! ٤١٩

AL Saeedi Designer
03/ 89 49 27